سلسلة تراث العلماء (١)

وفاة الإمام محمد الرضا عليه السلام

ويليه كتاب

وفاة الإمام محمد الجواد عليه السلام

تأليف

السيد عبد الزهراء المقرم

شعبة التراث الثقافي والديني
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
(١٥٦)

وفاة
الإمام الرضا عليه السلام

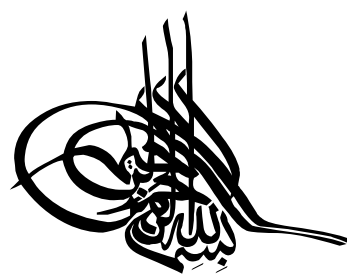

وفاة
الإمام الرضا عليه السلام

تأليف
السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرم(قدّس سرّه)

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير الأنبياء محمد وعترته المعصومين.

وبعد: فقد روى الشريف عبد العظيم الحسني عن أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أن الجليل سبحانه وتعالى إنما اتخذ إبراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته فمن نسي الصلاة على محمد وآله فقد أخطأ طريق الجنة.

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: إن الله خلقنا من نوره فكنا حول العرش نسبحه ونقدسه ولما خلق الملائكة أمرهم بالتسبيح له فقالوا: اللهم لا علم لنا فأمرنا بالتسبيح وبتعليمنا سبحت الملائكة ثم خلق شيعتنا من دون ذلك النور فإذا كان يوم القيامة التحقت السفلى بالعليا ثم قرن بين السبابة والوسطى وقال: كهاتين.

وإذا أحب الله تعالى أن يخلق الإمام أمر ملكاً بأخذ شربة من ماء تحت العرش فيسقيها أباه فمنها تكون نطفته ويمكث أربعين يوماً وليلة في بطن أمه لا يسمع الصوت ثم يسمع بعد ذلك الكلام فإذا ولد بعث الله تعالى ذلك الملك فكتب بين عينيه: وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ثم يرفع له عمود من نور ينظر به أعمال العباد.

هم النور نور الله جل جلاله هم التين والزيتون والشفع والوتر
وأسماؤهم مكتوبة فوق عرشه ومكنونة من قبل أن يخلق الذر
مهابط وحي الله خزان علمه ميامين في أبياتهم نزل الذكر
ولولاهم لم يخلق الله آدماً ولا كان زيد في الأنام ولا عمرو
ولا سطحت أرض ولا رفعت سماً ولا طلعت شمس ولا أشرق بدر
ولولاهم نار الخليل لما غدت سلاماً وبرداً وانطفى ذلك الجمر

ولادة الرضا

ولد أبو الحسن الرضى علي بن موسى بن جعفر عليه السلام بالمدينة لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة **١٥٣** بعد وفاة جده الصادق عليه السلام بخمس سنين[١] وأمه أم ولد اسمها تكتم وتلقب نجمة وتكنى أم البنين وهي من أشراف العجم وفيها يقول الصولي[٢]:

ألا إن خير الناس أماً ووالداً ورهطاً وأجداداً (علي) المعظم
أتتنا به للعلم والحلم ثامناً إماماً يؤدي حجة الله «تكتم»

اشتراها الإمام الكاظم عليه السلام لأمه «حميدة» من رجل من أهل المغرب بعد أن عرض عليه تسع جوارٍ فلم يرغب فيهن أبو الحسن موسى عليه السلام وسأله عن غيرهن فذكر له جارية مريضة وأبى أن يعرضها فانصرف الإمام وفي اليوم الثاني أمر هشام بن حمران أن يدفع ما يطلبه من الثمن ولا يماكسه فيه وهو ثمانون ديناراً

---

(١) إعلام الورى: ص١٨٢، وكشف الغمة: ص٢٧٢.
(٢) العيون للصدوق: ص١١.

فأتاه هشام وطلب منه الجارية المريضة فأبى عليه إلا أن يعرّفه الرجل الذي كان معه بالأمس فذكر له أنه من بني هاشم ولم يزد عليه.

فعند ذلك حدثه المغربي بأنه اشتراها لنفسه من أقصى بلاد المغرب فاستقبلته امرأة من أهل الكتاب وسألته عنها فأخبرها أنه اشتراها لنفسه قالت له إني لا أراها صالحة لك وإنما هي لرجل من خير أهل الأرض[١] تلد له غلاماً يدين له أهل المشرق والمغرب وكانت بكراً[٢].

ولما ابتاعها أبو الحسن جمع أصحابه وأخبرهم بأنه ما اشتراها إلا بأمر من الله ووحيه وسئل عنه فقال: بينا أنا نائم إذ أتاني جدي رسول الله وأبي عليهما السلام ومعهما شقة حرير فنشراها فإذا قميص وفيه صورة هذه الجارية فقالا: يا موسى ليكونن لك من هذه الجارية خير أهل الأرض بعدك ثم أمراني أن أُسميه علياً وقالا لي: إن الله تعالى يظهر به العدل والرأفة طوبى لمن صدقه وويل لمن عاداه وجحده[٣].

فكانت تكتم أفضل النساء عقلاً وديناً وورعاً وآداباً فإنها منذ

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٦٨، النجف.

(٢) العيون: ص١٣ و١٤.

(٣) إثبات الوصية: ص١٦٩.

ملكتها «حميدة» لم تجلس بين يديها إجلالاً لها وإكباراً لمقامها[١] لأنها والدة الإمام (الكاظم) علة الكائنات ومدار الموجودات.

ومن إعجابها بما رأته منها حدثت به ولدها موسى عليه السلام ـ وهو العليم بأنساب الناس وطهارة أعراقهم ومن هو الصالح لاستيداع النور الأقدس ـ وفي ما قالت له: إني لم أشك في طهارتها وطهارة نسلها وقد وهبتها لك فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام يقول لي: يا حميدة هي (نجمة) لابنك موسى عليه السلام فإنها ستلد له خير أهل الأرض[٢] ولما حملت بالرضى لم تشعر بثقل الحمل وكانت تسمع التسبيح والتحميد والتهليل منه وهو في بطنها ولما وضعته وقع على الأرض معتمداً بيديه عليها رافعاً رأسه نحو السماء ناطقاً بالشهادة لله ولرسوله ولأوصيائه على العادة الجارية في ولادة المعصومين من الأئمة عليهم السلام مختونين مقطوعة سررهم.

ودخل عليها أبوه عليه السلام فقال هنيئاً لك يا نجمة كرامة ربك ثم أخذه وأذن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى وحنكه بماء الفرات ورده إليها وقال خذيه فإنه بقية الله في أرضه[٣].

---

(١) إعلام الورى: ص١٨٢.

(٢) كشف الغمة: ص٢٧٣.

(٣) العيون للصدوق: ص١٤.

وسماه (علياً) ولقبه بالرضى أمر من الله لنبيّه على لسان الأمين جبرائيل[١] وكنى بأبي الحسن.

وليس كما يزعمون أن المأمون سماه (الرضى) لما تمت البيعة له.

ولقد قيل للإمام الجواد عليه السلام: أليس كل واحد من آبائك رضىً لله ولرسوله فلماذا خص أبوك من بينهم بالرضى فقال عليه السلام: إن المخالفين رضوا به كما رضي الموافقون ولم يكن لأحد من آبائه ذلك[٢].

وهذا التعليل إما لإقناع السائل على حسب فهمه وإدراكه أو لبيان السر الإلهي في تسميته بالرضى وإلا فحديث الصحيفة النازلة من السماء يشهد بأن ألقابهم كأسمائهم مختارة من منشئ كيانهم ومودع العصمة فيهم صلوات الله عليهم أجمعين.

---

(١) كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٣٠٦، من حديث جابر الأنصاري، وص٣١٢ من حديث عائشة.

(٢) علل الشرائع للصدوق: ص٩٠، باب ١٧٢.

النص على الإمام

آل النبي هم النبي وإنما بالوحي فرق بينهم فتفرقوا
أبت الإمامة أن تليق بغيرهم إن الرسالة بالإمامة أليق[١]

قال الشيخ المفيد: كان الإمام بعد أبي الحسن موسى بن جعفر ابنه علي لفضله على جماعة أهله وظهور علمه وحلمه وورعه واجتماع الخاصة والعامة على ذلك فيه[٢] وزادت المعرفة به لما أمر الإمام موسى عليه السلام أصحابه أن يشهدوا بأن ابنه علياً أفضل ولده وهو وصيه والحجة على الناس من بعده وأنه منه بمنزلته من أبيه ذرية بعضها من بعض من أطاعه رشد ومن عصاه كفر وشهد بذلك ستون رجلاً من وجوه أهل المدينة غير خواص أصحابه[٣].

---

(١) المناقب: ج١، ص١٧٨، للشيخ عبد المحسن الصوري.
(٢) الإرشاد.
(٣) عيون الأخبار: ص١٨.

ثم جمع سبعة عشر رجلاً من ولد علي وفاطمة وأشهدهم بأن الوكيل في حياته ابنه (علي) وهو الحجة على الناس بعد مماته وأنه يتصرف في وصايا أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق بما يراه فإن أنس من أهله رشداً وأحب إقرارهم فذاك له كما له أن يخرجهم وله أن يبيع ويهب أو يتصدق عليهم أو على غيرهم لا يعارض في شيء من الصدقات.

ومن أراد من إخوته أن يزوج أخته فليس له ذلك إلا بإذنه لأنه أعرف بمناكح قومه وجعل بيده امر نسائه دون إخوته[١] وأي سلطان كشف عن شيء أو حال بينه وبين ما ذكر فالله ورسوله بريئان منه وعليه لعنة الله ولعنة ملائكته المقربين والأنبياء والمرسلين وجماعة المؤمنين وليس لأحد أن يكشف هذه الوصية ومن أساء فعليه ومن أحسن فلنفسه وما ربك بظلام للعبيد وأشهد الله على ذلك[٢].

---

(١) روى الشيخ الكليني في أصول الكافي، بهامش مرآة العقول: ج١، ص٢٨٦، أن الرضا عليه السلام طلق زوجة أبيه أم فروة بنت إسحاق بعد وفاته بيوم، وتكلم المجلسي على هذا الطلاق من جهة أن النكاح ينكشف فساده بالإخبار بالموت فأي حاجة إلى الطلاق وأجاب عنه بأن أزواجهم كأزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدم جواز تزويجهن بعدهم إلا بالطلاق وإخراجها عن الحرمة كما فعل أمير المؤمنين مع عائشة.

(٢) العيون: ص٢١.

وفي حديث يزيد بن سليط أن أبا الحسن الأول موسى بن جعفر عليه السلام قال إني أُؤخذ في هذه السنة والأمر إلى ابني علي سميّ علي وعلي فأما علي الأول فعلي بن أبي طالب وأما علي الآخر فعلي بن الحسين أُعطي فهم الأول وحلمه وعلمه ونصره ووده وورعه ودينه وأُعطي محنة الآخر وصبره على ما يكره[١] وقد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أُوصي بالأمر إليه بعدي وأجمع ولدي وأُشهدهم جميعاً على هذا وكفى بالله شهيداً[٢].

فجمعهم عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت يده في يد ابنه علي فقال لهم: أتدرون من أنا، قالوا: أنت سيدنا وكبيرنا فقال: سموني وانسبوني، قالوا: أنت موسى بن جعفر، قال: من هذا الذي معي قالوا: على بن موسى بن جعفر، فقال: اشهدوا أنه وكيلي في حياتي وخليفتي من بعدي[٣] فمن كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا ومن كانت له عندي عدة فليستنجزها منه ومن لم يكن له بد من لقائي فلا يلقني إلا بكتابه[٤].

وكان عليه السلام يقول لبنيه: هذا أخوكم علي عالم آل محمد

---

(١) إرشاد المفيد.

(٢) العيون: ص١٧.

(٣) العيون: ص١٧.

(٤) إعلام الورى: ص١٨٣.

فاسألوه عن أديانكم ولقد سمعت أبي جعفر بن محمد يقول لي غير مرة إن عالم آل محمد لفي صلبك وليتني أدركته فإنه سميّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[١].

وقال عليه السلام لعلي بن يقطين: إن صاحبك يقتلني فبكى علي وقال: وأنا معه؟ قال: لا تكون معه ولا تشهد قتلي فقال علي: ومن لنا بعدك يا سيدي؟ قال: ابني علي خير من أُخلف بعدي هو مني بمنزلتي من أبي عنده علم ما تحتاجون إليه سيد في الدنيا والآخرة وإنه لمن المقربين[٢].

وقال علي بن جعفر الصادق عليه السلام: كنت عند أخي أبي إبراهيم موسى عليه السلام وكان حجة الله بعد أبي إذ طلع ابنه علي فقال لي: يا علي هذا صاحبك وهو مني بمنزلتي من أبي فثبتك الله على دينه فبكيت وقلت: نعى إلي نفسه فقال لي: يا علي لا بد أن تمضي فيَّ مقادير الله ولي برسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أُسوة وكان هذا قبل أن يحمله الرشيد في المرة الثانية بثلاثة أيام[٣].

---

(١) كشف الغمة: ص٢٧٤.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ص٦٢ طـ. الأعلمي.

(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ص٤٧ طـ. الأعلمي.

المعاجز

قضت الحاجة المؤكدة إلى معرفة الإمام في كل وقت بثبوت أمرين: النص من الإمام السابق والمعجز الخارق للعادة فإن طباع البشر متفاوتة في الخضوع والطمأنينة فمنهم من يتحرى النص من الإمام الثابتة حجته ومنهم من يتبع الخوارق وهناك من لا يبلغه النص أو أنه لا يذعن إلى طريق الرواية لكن من الميسور له مشاهدة المعجز الخارق للعادة فكان من الواجب في باب اللطف أن يجمع المولى سبحانه وتعالى لكل إمام كلتا الحجتين ليهتدي المستهدي بأي منهما أو بهما معاً وقد مر شيء من النصوص على إمامة الرضى عليه السلام وإليك نتفاً من معاجزه:

حدث الحسين بن موسى بن جعفر عليه السلام قال: كنت مع شباب من بني هاشم حول أبي الحسن الرضى فمر علينا جعفر بن عمر ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو رث الهيئة فضحكنا من هيئته فقال لنا الرضى عليه السلام: لا تضحكوا لترونه عن قريب كثير المال والتبع فما مضى إلا شهر حتى ولي

المدينة فحسنت حاله فكان يمر علينا ومعه الكثير من الغلمان والحشم[١].

ولما عزم الريان بن الصلت على الرجوع إلى العراق أقبل يودع الرضى عليه السلام وأضمر في نفسه أن يسأله قميصاً يلي جسده ليكفن به ودراهم يصوغ بها خواتيم لبناته فأغفله البكاء على مفارقة الإمام عليه السلام عن المسألة ولما خرج من عنده أرجعه الإمام عليه السلام وقال أتحب أن أُعطيك قميصاً من ثياب جسدي تكفن فيه إذا فني أجلك ودراهم تصوغ بها خواتيم لبناتك؟ فقال: قد كان ذلك في نفسي ولكن الغم بفراقك أنسانيه فأخرج له قميصاً وثلاثين درهماً[٢].

وكان الحسن بن علي بن زياد الوشا الخزاز البجلي الكوفي[٣] من الواقفة على الإمام الكاظم عليه السلام شخص إلى خُراسان ومعه حلل للتجارة ولما ورد مدينة (مرو) أتاه غلام الإمام الرضى يطلب منه حبرة ليكفن بها مولاه فعرّفه ببيعه الحبر والحلل كلها في الطريق فذهب الغلام ثم عاد يخبره بوجود حبرة معه فلم يعتنِ بذلك لقطعه بعدم وجود حبرة عنده فذهب الغلام

---

(١) العيون: ص٣٢٩.

(٢) إثبات الوصية: ص١٧٨، المطبعة الحيدرية النجف.

(٣) تنقيح المقال للمامقاني: ج١، ص٢٩٤ عن فهرست النجاشي والطوسي.

وعاد في الثالثة يخبر عن سيده الرضى عليه السلام بأن الحبرة موجودة في السفط الفلاني ولما فتح السفط وجدها في عرض ثيابه فدفعها إلى الغلام وقال له: إني لا آخذ عليها ثمناً فعاد إليه الغلام يقول: تهدي ما ليس لك فإنها لابنتك فلانة سألتك بيعها وأن تبتاع لها بثمنها فيروزجاً وسبحاً ووجه مع الغلام ما يساوي ثمن الحبرة بخراسان.

فتعجب الحسن من ذلك وعزم على أن يكتب له مسائل يمتحنه بها وقد سأل أباه عنها فأثبتها في درج وقصد بها دار الإمام الرضى عليه السلام فلما وافى الباب رأى من العرب والقواد والجند عدداً كثيراً فجلس ناحية ينتظر أن يخف الناس حتى يصل ولما طال الوقوف عليه همّ بالانصراف وإذا بالخادم خارج من الدار يتصفح الوجوه يسأل عن ابن بنت إلياس فقال الحسن: ها أنا ذا فأخرج الخادم درجاً من كمه وقال: هذا جواب مسائلك ولما فتحه وجد الإمام عليه السلام مجيباً عن المسائل التي في كمه فانكفأ مغموراً بالفيض الإلهي وما فيه بشرى الأبد ولسانه يلهج بالتوبة وطلب الغفران عما اقترفه من الإثم[1].

ولما مرض محمد بن الإمام الصادق عليه السلام عاده أبو الحسن الرضى فرأى أخاه إسحاق يبكي فالتفت أبو الحسن إلى يحيى بن محمد وقال

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٧٨.

له لا تبكِ إن أباك يبرأ ويموت إسحاق قبله فكان كما قال[١].

وحدث أحمد بن عبيد الله عن الغفاري قال: كان لرجل من آل أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله حق علي فتقاضاني وألح عليّ فتوجهت نحو الرضى عليه السلام وهو (بالعريض)[٢] فلما قربت من بابه طلع على حمار وعليه قميص ورداء وإذ نظرت إليه استحييت منه فلما لحقني وقف ونظر إلي فسلمت عليه فقلت له: جعلت فداك إن مولاك فلان له علي حق وقد شهرني ولم أزد على ذلك فأمرني بالجلوس فلم أزل حتى صليت المغرب وأنا صائم في شهر رمضان فضاق صدري وأردت الانصراف فإذا هو قد طلع علي وحوله الناس ورأيته يتصدق على أهل المسألة فدخل بيته ثم خرج يدعوني فدخلت معه فحدثته عن (ابن المسيب) أمير المدينة وكنت كثيراً ما أحدثه عنه فلما فرغت قال: ما أظنك أفطرت قلت: لا، فدعا لي بطعام وأمر الغلام بالأكل معي ولما فرغنا قال عليه السلام: ارفع الوسادة وخذ ما تحتها فرفعتها فوجدت دنانيراً فوضعتها في كمي وأمر أربعة من عبيده أن يبلغوا معي إلى منزلي فقلت له إن طائف (ابن المسيب) يدور وأكره أن يلقاني ومعي

---

(١) إعلام الورى: ص١٨٧.

(٢) في القاموس العريض كزبير وادٍ بالمدينة وفي تاج العروس إليه نسب أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأنه نزل به وسكنه ويقال لأولاده العريضيون وفيهم كثرة عدد.

عبيدك قال عليه السلام: أصبت أصاب الله بك الرشاد وأمرهم أن ينصرفوا إذا رددتهم فلما دنوت من منزلي وأنست رددتهم، وصرت إلى منزلي ودعوت بالسراج ونظرت إلى الدنانير فإذا هي ثمانٍ وأربعون وكان فيها دينار يلوح فأعجبني حسنه فأخذته وقربته من السراج وإذا عليه نقش واضح (حق الرجل عليك ثمانٍ وعشرون ديناراً وما بقي فهو لك) فوالله ما كنت أعرف ما له علي بالتحديد[١].

وفي حديث محمد بن الفضل الهاشمي أن عمرو بن هداب البصري كان من النواصب وينحو نحو التزيد والاعتزال فقال عمرو إن محمد بن الفضل الهاشمي ذكر عنك أشياء لا تقبلها القلوب وأخبر أنك تعرف كل ما أنزل الله وتعرف كل لسان ولغة فقال عليه السلام: صدق محمد فأنا أخبرته بذلك فهلموا واسألوا قال عمرو: أولا نختبرك بالألسن ثم أحضروا له رومياً وهندياً وفارسياً وتركياً فسأله كل واحد منهم مسألة بلسانه والإمام يجيبه بلغته فتعجب من حضر وأقر أولئك بأنه عليه السلام أفصح منهم بلغتهم.

ثم التفت عليه السلام إلى عمرو بن هداب وقال له: إن أخبرتك بأنك ستبتلى بدم ذي رحم أتصدقني؟ قال عمرو: لا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله فقال الإمام عليه السلام: أليس الله يقول ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا

(١) روضة الواعظين للفتال: ص١٩٠.

﴿يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فرسول الله عند الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون[1].

---

(١) ليس من الغريب إذا أعطى الله تعالى الأئمة من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوة قدسية يتمكنون بها من استعلام ما وقع أو يقع في الكون من حوادث ووقفوا على أسرار الطبائع وخواص الأشياء وإلى هذه القوة أشار الحديث: «إذا ولد المولود منا رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد» ولم يعزب عنهم كل شيء إقداراً لهم من منشئ كيانهم عظمت آلاؤه وليس هو من الغيب المختص بالله تعالى حتى يستحيل في حقهم عليهم السلام فإنه في الباري سبحانه ذاتي كإرادته وقدرته وسائر صفاته وفيهم عليهم السلام بواسطة فيضه ولطفه إذاً فالغيب على قسمين ذاتي وهو عين واجب الوجود بحيث لم يكن صادراً عن علة وجعل وجعلي وهو ما كان صادراً عن علة ومتوقفاً على وجود لطف المولى تعالى وفيضه وهو الموجود في الأئمة والأنبياء وأوصيائهم فالأئمة في جميع الآنات محتاجون إلى الفيض الإلهي بحيث لولا الجعل الربوبي واستمرار الفيض الرحماني لنفد ما عندهم وبعد هذا فأي غرابة في اعتقاد نسبة الغيب إليهم عليهم السلام إلا أن يقال بنقصانهم وعدم قابليتهم للفيض الرحماني ومن يقدر على هذه الدعوى ويأتي ببرهان يساعده على ذلك مع أن الأحاديث دلت بأن ما عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندهم ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام والله لو كنت بين موسى والخضر لأنبأتهما بما لا يعلمانه إنما أعطيا علم ما كان وأُعطينا علم ما كان وما هو كائن ويكون ولقد ورثنا رسول الله وراثة ولم يكن فرق بيننا وبينه إلا بالنبوة والأزواج وقد أفضنا القول في هذه المسألة في كتاب الإمام الحسن عليه السلام.

ثم قال عليه السلام إن أخبرتك يابن هداب بأنه كائن إلى خمسة أيام فإن صح تعلم أنك الراد على الله ورسوله.

وعندي دلالة أُخرى وذلك أنك بعد أيام ستصاب ببصرك وتصير مكفوفاً فلا تبصر سهلاً ولا جبلاً (ودلالة أُخرى) أنك ستحلف يميناً كاذبة فتضرب بالبرص (قال محمد بن الفضل): والله لقد نزل به كل ما قاله الإمام الرضى عليه السلام فقيل لابن هداب: صدق الرضى أم كذب؟ فقال: لقد علمت أنه كائن في الوقت الذي أخبر به وكنت أتجلد[1].

وفي حديث محمد بن عبد الله الأفطس أن المأمون أخبره بما عند أبي الحسن الثاني من عجيب أعلام الإمامة واستكتمه الحديث وذلك أن جاريته (زهرية) كلما تحمل يسقط منها وهي عنده من أحظى جواريه وقد حملت وأحب أن يعرف حال هذا الحمل فقال للإمام عليه السلام إن آباءك كلهم يعلمون حال الحمل وأنت وصيهم ووارثهم وعندك علمهم وهذه (زهرية) حاملة وإنها حظية عندي وقد حملت غير مرة كل ذلك يسقط فهل عندك في ذلك شيء تنتفع به فأوقفه أبو الحسن عليه السلام على غامض علم الله تعالى ومكنونه إذ قال له: لا تخشَ من هذا الحمل فستلد غلاماً

(١) الخرائج للراوندي: ص٤٥ الهند.

صحيحاً أشبه الناس بأمه زاده الله تعالى في خلقه مرتبتين في يده اليمنى خنصراً وفي رجله اليمنى خنصراً.

يقول المأمون فاغتنمت هذا فرصة في الوقيعة به إن خرج الأمر على خلاف قوله ولما أدركها المخاض قلت للقيمة إذا وضعت احملي إلي ما تلده ذكراً أو أنثى فلم أشعر إلا بالقيمة تحمل غلاماً كما وصفه زائد اليد والرجل كأنه كوكب دري فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ وأُسلِّم ما في يدي إليه فلم تطاوعني نفسي لكني دفعت إليه الخاتم وقلت له دبر الأمر فليس عليك مني خلاف وبالله أُقسم أن لو فعل لفعلت ولعن الله عبد الله وحمزة ابني الحسن فإنهما قتلاه[1].

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ص٦٧ طـ. الأعلمي.

فضله

لقد انثال الناس على أبي الحسن الثاني علي بن موسى الرضى بعد موت أبيه حيث شاهدوا منه أعلام الإمامة ودلائل الحجة القائم بالحق فأخذوا معالم دينهم وقد جمع محمد بن عيسى اليقطيني من مسائله ثمانية عشر ألف مسألة عدا ما لم يصل إليه[١] وناظره أهل الملل والأديان فكانت الحجة لأبي الحسن عليهم بالرغم مما يضمره المأمون له فإنه لم يزل يجلب من متكلمي الفرق وأهل الأهواء المضلّة كل من سمع به حرصاً على انقطاع (الرضى) عن الحجة حسداً لمنزلته وبغياً عليه.

ولكن لم يكلمه أحد إلا أقر له بالفضل وقام من عنده مخصوماً لأن الله تعالى أبى إلا أن يعلي كلمته ويتم نوره وينصر وليّه على مخالفيه وكذلك يفعل بهم في الآخرة إنه لا يخلف الميعاد[٢].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٠٤ إيران.

(٢) عيون الأخبار: ص١٠٦.

قال أبو الصلت: ما رأيت أعلم من علي بن موسى بن جعفر عليه السلام ولا رآه عالم إلا وشهد له بمثل شهادتي ولقد جمع المأمون له من علماء الأديان وفقهاء الشريعة في مجالس متعددة فما بقي منهم أحد إلا أقر له بالفضل على نفسه ولقد سمعته صلوات الله عليه يقول: كنت أجلس في الروضة والعلماء بالمدينة متوافرون فإذا عيَّ الواحد منهم عن مسألة أشاروا إلي بأجمعهم وبعثوا إلي بالمسائل فأجيب عنها[١].

وفي حديث النوشجاني: كنت واقفاً بين يدي المأمون في إيوان أبي مسلم (بمرو) وعلي بن موسى بن جعفر عليه السلام الرضى إلى جنبه فقال لي المأمون يا قاسم أي فضائل صاحبك أفضل قلت آية المباهلة فإن الله تعالى جعله نفس رسوله[٢] فقال المأمون لو قال الخصم عرفنا الأبناء والنساء وهم الحسن والحسين

---

(١) كشف الغمة: ج٣، ص١١٠، طـ. الأعلمي.

(٢) لا تخفى النكتة الدقيقة في جعل أمير المؤمنين نفس الرسول الأقدس مع تباينهما بالحدود الشخصية فإن المراد هو الإشارة إلى ما حواه أمير المؤمنين من المساواة للنبي الأعظم في الفضائل والفواضل كلها فهو المعين للخلافة الكبرى والمرجعية لما تحتاج إليه الأمة بعد انقضاء أمد النبوة فلقد كانت تلك الذات المكونة من جوهر القداسة والممتزجة بالعلم الإلهي والحكمة الربوبية مستمدة من اللوح المحفوظ للكشف عما يعرض عليها من الشبهات في أحكام الدين وأسرار التكوين.

وفاطمة عليها السلام وأما الأنفس فهي نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده على الحقيقة فأي شيء تقول له.

قال النوشجاني: فأُسقط ما في يدي وأُظلم علي وأمسكت حيث لم أهتدِ إلى حجة مقنعة.

فالتفت المأمون إلى الرضى وقال: ما تقول في هذا، فقال عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان داعياً فإن الله تعالى يقول ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا﴾ الآية، والداعي إنما يدعو غيره ولا يدعو نفسه ولما دعا الأبناء والنساء ولم يصح أن يدعو نفسه توجه دعاء الأنفس إلى علي بن أبي طالب عليه السلام إذ لم يكن بحضرته غيره ممن يجوز دعاء الأنفس إليه ولو لم يكن هذا كذلك لبطل معنى الآية.

قال النوشجاني: فانجلى عن بصري وأمسك المأمون قليلاً، ثم قال: يا أبا الحسن إذا أُصيب الصواب انقطع الجواب[1].

ودخل على الرضى عليه السلام سليمان الجعفري فرأى البيت مملوءاً بالناس وهم يسألونه عما أبهم عليهم من أمر الدين فقال في نفسه ينبغي أن يكونوا أنبياءً فترك أبو الحسن الناس والتفت إليه وقال يا سليمان إن الأئمة علماء حلماء يحسبهم الجاهل أنبياءً وليسوا بأنبياء[2].

---

(١) حقائق التأويل للشريف الرضي: ص١١٥، وذكر السيد المرتضى في الفصول المختارة: ص١٨ الحديث بدون إسناد إلى النوشجاني.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٣٩١.

وقال موسى بن سيار: سايرت الرضى عليه السلام يوماً وهو بطوس فمرت علينا جنازة فلما رآها نزل عن فرسه ورفعها حتى إذا وضعت على القبر وضع يده على صدره وقال يا فلان ابن فلان أبشر بالجنة فلا خوف عليك بعد هذه الساعة فتعجب ابن سيار من معرفته بالرجل ولم يطأ هذه البقعة من طوس فقال له الإمام: إن معاشر الأئمة يعرفون شيعتهم وإن أعمالهم تعرض عليهم كل صباح ومساء فما كان فيها من التقصير سألوا الله الصفح لصاحب العمل وما كان فيها من الخير سألوا الله الشكر لصاحبه ثم عرَّفه فضل تشييع الجنازة وأن الله يغفر للمشيع من أولياء آل محمد عليهم السلام ذنوبه كيوم ولدته أمه[1].

ينبئ في بيانه الكريم عن موجزات النبأ العظيم
يعرب عن جوامع العلوم بأحسن الحدود والرسوم
بنور علمه وحسن المنطق يكشف عن سر الوجود المطلق
وفي بيانه مكارم الشيم وفي معانيه بدائع الحكم
كل كلامه جوامع الكلم عقودها وثيقة لا تنفصم
به تجلت لأولي الأبصار حقائق الأسرار والأنوار
به سمت معاهد العلوم حتى علت على ذرى النجوم[2]

---

(١) البحار: ج١٢، ص٢٩.

(٢) من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني(قده).

أخلاقه

إن الواصف ليعجز عن إدراك كنه الإمام الذي انتجبه المولى سبحانه حجة ودليلاً للعباد وكيف يستطيع الواصف أن يأتي على ما حوته تلك الذات الطاهرة المعصومة عن كل خطل من مكارم الأخلاق بعد أن كان رشحة الفيض الأقدس ونبعة من دوح النبوة يفوح من أعراقه الكرم النبوي وتعلوه أبهة الخلافة الإلهية ومنهم الإمام الرضى عليه السلام:

يمثل النبي في أخلاقه ... فإنه النابت من أعراقه
له كرامات ومكرمات ... في صفحات الدهر بينات
شهود صدق لسمو ذاته ... كأنه النبي في صفاته
ترى الملوك سجداً ببابه ... فالعز كل العز في أعتابه

وقد شهد له بذلك حتى المخالفون قال إبراهيم بن العباس: ما رأيت ولا سمعت أحداً أفضل من أبي الحسن الرضى فإنه ما جفا أحداً قط ولا قطع على أحد كلامه ولا ردّه عن حاجة ولا

مد رجليه بين يدي جليسه ولا اتّكى قِبله ولا شتم مواليه ولا قهقه في ضحكه، وكان يجلس مع مماليكه على المائدة[١] فقال له رجل من أهل بلخ لو عزلت لهؤلاء مائدة فأفاض أبو الحسن عليه من خلق الإمامة ما فيه تنوير للقلوب إذ قال له يا هذا الرب واحد والأب واحد والأم واحدة والجزاء بالأعمال[٢].

وكان يجلس على مسح في الشتاء وعلى حصير في الصيف ويلبس الغليظ من الثياب فإذا خرج إلى الناس تزيا بما يرغبون[٣].

رآه سفيان الثوري لابساً ثوب خز فقال له: لو لبست أدنى منه لكان أحمد فكشف عما تحته فإذا هو جلد مسح وقال له: هذا للناس وهذا (للحق) جل شأنه[٤].

وكان جوابه عليه السلام لبعض الصوفية حين أنكر عليه هذا اللباس: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ﴾ إن يوسف الصديق عليه السلام لبس الديباج المنسوج بالذهب وجلس على متَّكآت فرعون وإن الإمام يراد منه قسطه وعدله إذا قال صدق وإذا حكم عدل

---

(١) كشف الغمة: ج٣، ص١١٠، طـ. الأعلمي.
(٢) البحار: ج١٢، ص٢٩ عن الكافي.
(٣) كشف الغمة: ص٢٧٤.
(٤) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤١٢.

وإذا وعد أنجز[١].

وكان عليه السلام يكثر صدقة السر ويقول سمعت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: التستر بالصدقة يعدل سبعين حسنة وهو مغفور له والمذيع بها مخذول. وسأله بعض الشيعة نفقة تبلغه إلى بلده لنفاد ما عنده وأنه إذا وصل بلده يتصدق بها فدخل عليه السلام الحجرة ودفع إليه مائتي دينار من خلف الباب وقال له: اخرج حتى لا تراني فسأله بعض من حضر عن تستره فأجابه بأن الحياء غالب عليه لذل السؤال[٢].

وقال له رجل: أعطني على قدر مروءتك فقال عليه السلام: لا يسعني ذلك، قال الرجل: على قدر مروءتي، فقال عليه السلام: أما ذا فنعم ثم أمر عليه السلام فدفع له مائتي دينار، وفرق عليه السلام ماله كله بخراسان في يوم عرفة فقال له الفضل بن سهل هذا هو المغرم قال عليه السلام: بل هو المغنم لا تعدن مغرماً ما أُتبعت فيه أجراً وكرماً.

---

(١) نزهة الناظر: ص٤٦، النجف المطبعة الحيدرية.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤١٢.

٣٠ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

مواعظه ونصائحه

لا يزال الإمام عليه السلام منة على البشر كافة من شتى النواحي ومنها إيقاف الملأ الديني على لاحب السنن من الآداب والأخلاق ليسعدوا بالملكات الفاضلة ويسلكوا إلى فوز الأبد في مهيع الطريق ولقد نهض بذلك كل من أئمة الدين عليهم السلام وإليك ما جاء عن مولانا الرضى عليه السلام من النصائح والمواعظ، قال عليه السلام: من علامة إيمان المؤمن كتمان السر فإن الأمين لا يخون ولكن قد يؤتمن الخائن، والصبر في البأساء والضراء ومداراة الناس فإن التودد إليهم نصف العقل وصديق كل امرئ عقله وأفضل العقل معرفة الإنسان بربه وعدوّه جهله، وصديق الجاهل في تعب.

الصفح الجميل في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ العفو عند الإساءة بغير عتاب.

لا يعدم المرء دائرة السوء مع نكث الصفقة.

لا يعدم العقوبة من ادرع بالبغي.

من عجب المرء بنفسه أن يزين له سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعاً وأن يمتن على الله تعالى بعمله ولله سبحانه المنة عليه.

من رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته ونعم أهله وبصَّره الله داء الدنيا ودواءها وأخرجه سالماً إلى دار السلام.

من رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل.

ليس لبخيل راحة ولا لحسود لذة ولا لملول وفاء ولا لكذوب مروءة يكفي لمن يريد نصحك بالنميمة ما يجده من سوء الحساب في العاقبة.

من لم تكن فيه خمس خصال لا ترجوه لدنيا ولا آخرة: الوثاقة في أرومته والكرم في طباعه والرصانة في خلقه والنبل في نفسه والمخافة من ربه جل شأنه[1].

الصمت يكسب المحبة وهو دليل على كل خير فإن الله يبغض القيل والقال، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: يأتي على الناس زمان العافية فيه عشرة أجزاء تسعة في اعتزال الناس وواحدة في الصمت وكان العابد من بني إسرائيل يصمت عشر سنين فإذا فعل ذلك صار عابداً.

---

(١) أعيان الشيعة: ج٤، قسم٢، ص١٩٢.

صل رحمك ولو بشربة ماء وأفضل ما توصل به الرحم كف الأذى عنه ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى.

من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن خاف أمن ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم وأفضل المال ما وقي به العرض.

المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ أكثر من حقه[١].

النظر إلى ذرية محمد ﷺ عبادة فقيل له يابن رسول الله العبادة في النظر إلى الأئمة منكم أم جميع الذرية قال عليه السلام بل إلى جميع الذرية ما لم يتلوثوا بالمعاصي[٢].

حد التوكل أن لا تخاف مع الله أحداً، وحد التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن يعطوك مثله.

تقليم الأظفار يوم الثلاثاء والاستحمام يوم الأربعاء والحجامة يوم الخميس والتطيب يوم الجمعة.

لا يزال العبد سارقاً حتى إذا استوفى ثمن يده أظهره الله عليه. لو تكاشفتم لما تدافنتم[٣].

---

(١) البحار: ج١٧، ص٢٠٦ إلى ص٢١٠.
(٢) روضة الواعظين للفتال: ص٢٣٤.
(٣) العيون: ص١٥٥ و١٦٠ و٢١٣ و٢١٤ و٢١٦.

٣٤ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

مع الرشيد

لقد كان الرشيد شديد الوطأة على العلويين دعا ليلة حميد بن قحطبة الطائي الطوسي فلما مثل أمامه قال له: كيف طاعتك لأمير المؤمنين فقال بالنفس والمال فأطرق الرشيد ثم أذن له بالانصراف، وبعد قليل أرسل إليه فلما حضر عنده قال له: كيف طاعتك لأمير المؤمنين قال: بالنفس والمال والأهل والولد فتبسم، وأذن له بالانصراف، ثم أرسل إليه فلما حضر قال له: كيف طاعتك لأمير المؤمنين، فقال: بالنفس والمال والأهل والولد والدين فضحك الرشيد وأمره أن يمتثل ما يأمره الخادم فجاء به إلى بيت فيه عشرون علوياً مقيدين فيهم الشاب والكهل والشيخ فأمره الخادم بضرب أعناقهم وطرحهم في البئر.

ثم أتى به إلى بيت ثانٍ فيه من ولد علي وفاطمة عليهما السلام بعددهم فقتلهم جميعاً، ثم فتح بيتاً ثالثاً فيه ذلك العدد وأخذ يقدم واحداً بعد واحد إلى أن انتهى إلى شيخ كبير فلما قدمه للقتل قال لحميد ابن قحطبة يا ويلك أي عذر لك يوم القيامة إذا قمت بين يدي

جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قتلت ولده وليس لهم ذنب فأُرعد حميد فزبره الخادم فقدمه وقتله وكان بعد ذلك يبكي ويقول لا ينفعني كل عمل مع فعلي هذا[١].

ولما خرج محمد بن الإمام الصادق عليه السلام بالمدينة بعث الرشيد إليه الجلودي وأمره بنهب دور آل أبي طالب وسلب نسائهم وأن لا يدع عليهن إلا ثوباً واحداً وكان هذا بعد شهادة الإمام الكاظم عليه السلام فصار الجلودي[٢] إلى المدينة وفعل مع الأمويين كما أمره الرشيد وهجم برجاله على دار الرضا عليه السلام.

فاضطربن العلويات وتجمّعن في بيت واحد فقال له الرضا عليه السلام: دعني أسلب ما عليهن وآتيك به وحلف له أن لا يترك عليهن شيئاً، فوقف الجلودي على الباب ودخل الإمام عليه السلام فأخذ جميع ما عليهن من ثياب وأسورة وخلاخيل وأقراط ودفعه إلى الجلودي[٣].

ولقد خاف الشيعة على أبي الحسن الثاني عليه السلام حينما جلس للناس فقالوا له: لقد شهرت نفسك وسيف هارون يقطر الدم فقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن أخذ أبو جهل من رأسي

---

(١) عيون أخبار الرضا: ص٦١.

(٢) في تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص١٧٦، هو عيسى بن يزيد الجلودي.

(٣) العيون ص٢٩٤.

شعرة فاشهدوا أني لست بنبي وأنا أقول: إن أخذ هارون شعرة من رأسي فاشهدوا بأني لست بإمام.

وسمع عليه السلام يقول وهو خارج من المسجد الحرام وهارون فيه: ما أبعد الدار وأقرب اللقاء يا طوس يا طوس ستجمعني وإياه فإننا كهذين وجمع بين سبابتيه فلما دفن إلى جنب هارون عرف مراده[١] وفي هذا يقول دعبل الخزاعي[٢]:

اربع بطوس على قبر الزكيّ إذا
ما كنت تربع من دين إلى وطر
قبران في طوس خير الأرض كلهم
وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما
على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت
به يداه فخذ ما شئت أو فذرِ

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٣٩٥.

(٢) الأغاني: ج١٨، ص٥٧ طبعة أساسي.

٣٨ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

مع المأمون

ولما شاع أمره وانثال عليه الناس حسده المأمون فأمر بمنع الناس عنه[١] وأشخصه من المدينة إلى خراسان وقبل خروجه منها دخل المسجد يودّع جده ﷺ فبكى حتى علا صوته ثم أخذ أبا جعفر (الجواد) وألزقه بحائط القبر واستحفظه رسول الله ﷺ وأمر جميع وكلائه بالسمع له والطاعة وترك مخالفته وعرَّف ثقات أصحابه بأنه القائم مقامه ثم جمع عياله وفرق فيهم اثني عشر ألف دينار وأمرهم بالبكاء عليه وسار على طريق البصرة كما أراد المأمون في سنة مائتين[٢].

وكان الموكل به رجاء بن أبي الضحاك قرابة الفضل بن سهل[٣] أوصاه المأمون بملازمته ليلاً ونهاراً وأن يأخذ به طريق

---

(١) عيون الأخبار: ص٣٠٣.

(٢) إثبات الوصية: ص١٧٦ النجف.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص١٧٦.

البصرة والأهواز وفارس ولا يمر على الكوفة[١] ولما وافى النباج[٢] نزل في المسجد الذي ينزله الحاج كل سنة يقول أبو حبيب النباجي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام قد وافى النباج ونزل في المسجد فسلمت عليه وكان عنده طبق فيه تمر صيحاني فقبض من ذلك التمر وناولني فإذا هو ثماني عشرة تمرة فتأولته المدة التي أعيش فيها وبعد عشرين يوماً قدم أبو الحسن الرضى من المدينة ونزل المسجد ورأيت الناس يهرعون إليه فجئت إليه فإذا هو في الموضع الذي كنت رأيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني فسلمت عليه فناولني قبضة منه بعدد ما ناولني جده فلما استزدته قال عليه السلام لو زادك جدي لزدناك[٣].

وفي الأهواز دخل عليه أبو هاشم الجعفري ولم يكن رآه قبل ذلك فانتسب له، وكان الرضى مريضاً فطلب قصب السكر قالوا: لا يكون إلا في الشتاء فأمر عليه السلام أبا هاشم أن يعبر (شاذروان الماء) فيرى هناك (بيدراً) وعنده رجل أسود له علم بمكان القصب فامتثل أبو هاشم أمره ووجد الأسود عند البيدر

---

(١) الخرائج للراوندي: ص١٠٤ الهند.

(٢) النباج بكسر أوله وجيم معجمة في آخره موضع يبعد عن البصرة عشر مراحل استنبط ماءه عبد الله بن عامر بن كريز فكان فيه نخل وسكنه ولده ورهطه بنو كريز «معجم البلدان»: ج٨، ص٢٤٣.

(٣) إعلام الورى: ص٣٢١، طـ الأعلمي. والصواعق المحرقة: ١٢٢.

فعرَّفه بمكان القصب فأخذ منه ما احتاج إليه فسأل الطبيب أبا هاشم إلى من ينتسب هذا الرجل فعرَّفه أنه ابن سيد الأنبياء (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: أعنده شيء من مقاليد النبوّة قال أبو هاشم: شاهدت منه بعضها وليس بنبي إلا أنه وصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما بلغ الضحاك ذلك قال لئن أقام ههنا لتمدن إليه الرقاب فارتحل به[1].

ولما وصل (نيسابور)[2] عرض له الحافظان أبو زرعة الرازي وأحمد بن أسلم الطوسي ومعهما كثير من أهل العلم والحديث وكان الرضى عليه السلام في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فسألوه بحق آبائه الطاهرين أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه وإذ كشف المظلة سطع النور الإلهي ورأى الناس أُبهة الخلافة الإلهية وهم بين باكٍ وصارخ ومقبّل حافر البغلة وعلا الضجيج من الجمع.

فصاح العلماء أيها الناس انصتوا فلما سكنت فورتهم أخرج

---

(١) الخرائج: ص١٠٤.

(٢) بفتح أوله والعامة تقول نيشابور بالشين المعجمة والسبب في التسمية أن سابور لما خرج من مملكته لقول المنجمين طلبه أصحابه فلما وصلوا إلى هذا الموضع ولم يجدوه قالوا نيست سابور ثم صحفت إلى نيسابور فتحها المسلمون أيام عمر بقيادة الأحنف بن قيس ثم انتقضت أيام عثمان ففتحها عبد الله بن عامر بن كريز سنة ٣١ صلحاً «معجم البلدان».

أبو الحسن رأسه من المظلة وقال: حدثني أبي الكاظم عن أبيه جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عن أبيه علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي الشهيد بكربلا قال: حدثني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شهيد أرض كوفان قال: حدثني أخي وابن عمي رسول الله قال: حدثني جبرائيل قال: سمعت رب العزة سبحانه يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي، ثم قال عليه السلام: بشروطها وأنا من شروطها[١].

قال صاحب الجواهر أعلى الله مقامه كثيراً ما أكتب هذا الحديث المبارك في كأس وأمحوه بماء وأضع عليه شيئاً من تربة الحسين عليه السلام فأرى تأثيره سريعاً ولي فيه رؤيا عن أمير المؤمنين عليه السلام تصدق ذلك بشرط التصدق بخمس قروش[٢].

---

(١) عيون الأخبار: ص٢٧٥، وأمالي الشيخ الطوسي.

(٢) انظر مبحث الكفن من طهارة «الجواهر» وفي كشف الغمة: ص٢٧١، أن بعض الأمراء السامانية كتب هذا الحديث بالذهب وأوصى أن يدفن معه فلما مات رئي في المنام فقيل له ما فعل الله بك قال: غفر الله لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله قال صاحب الجواهر نور الله ضريحه من أجل هذا سمي هذا الحديث بسلسلة الذهب وفي تأريخ بغداد للخطيب: ج٩، ص٣٨٦ أن بعض آل طاهر يسمي هذا الحديث سعوط المجانين.

وهذا الحديث يدل بصراحة على توقف ترتب الأثر على الشهادة لله تعالى بالوحدانية إذا اقترنت بالإذعان بإمامة خلفاء الرسول الأقدس المقترنين بالكتاب العزيز.

في حديث الثقلين (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً) ومما يؤكده ما ورد في أخبارهم عليهم السلام المتواترة من تقييد الطاعة له سبحانه بالاعتراف بولايتهم عليهم السلام ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام دعائم الإسلام خمس فرض الله لأربع منها حدوداً لا يسع أحداً جهلها أولها الصلاة ثم الزكاة والصيام والحج والولاية خاتمتها والحافظة لجميع الفرائض والسنن[١].

ويقول أبو جعفر الأول: إن الله تعالى رخص لأربع منها فالمريض يصلي جالساً ويفطر شهر رمضان ومن لا مال له لا زكاة ولا حج عليه ولم يرخص في الولاية فهي لازمة على الصحيح والمريض وذي المال ومن لا مال له[٢] وقال الصادق عليه السلام عمل الناس بالأربع واستخفوا بالخامسة والله لا يستكملوا الأربع حتى يستكملوها بالخامسة[٣]

---

(١) المحكم والمتشابه للسيد المرتضى: ص٨٧.

(٢) الخصال للصدوق: ج١، ص١٣٣.

(٣) المستدرك للنوري: ج١، ص٥ عن بشارة المصطفى.

ولما وصل الإمام أبو الحسن الرضى عليه السلام إلى (سرخس)[١] ظهرت له كرامات كثيرة فساء الموكلون به فحبس وقيد ومنع الناس من الدخول عليه والاستضاءة بأنوار تعاليمه إلا أبو الصلت فإنه تلطف إلى السجان ببذل المال فأذن له ولما سطعت له أنوار الإمامة بكى ثم أخبره بما تلهج به ألسنة العامة من أنّ أهل البيت يدّعون بأن الناس عبيد لهم فغضب الإمام عليه السلام من هذا الافتراء عليهم وقال: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت الشاهد بما لنا من المظالم عند هذه الأُمة ومنها هذه[٢].

ولما وافى أبو الحسن عليه السلام مدينة (مرو) استقبله المأمون وأظهر فضله وبالغ في الاحتفاء به ثم عزم على عقد الخلافة لعلي ابن موسى بن جعفر عليه السلام وكان السبب الدقيق في ذلك ما يحدث به عبد الله بن سهل بن نوبخت وكان صاحب سر المأمون فقال لما رأى المأمون آل علي عليه السلام مختفين من بني العباس وقد اعتقد بهم العوام ما اعتقدوه بالأنبياء وقالوا فيهم ما يخرجهم عن الشريعة بالغلو فأراد معاقبة العامة على هذا ولكنه فكر إذا فعل

---

(١) بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الخاء المعجمة آخره سين مهملة مدينة قديمة من نواحي خراسان متوسطة بين نيسابور وبين مرو تبعد عن كل واحدة ست مراحل سميت باسم سرخس بن خوذرز «معجم البلدان».

(٢) العيون: ص٣١١.

بهم ازداد إغراؤهم فنظر في الأمر نظراً دقيقاً وقال: لو ظهروا للناس ورأوا فسق الفاسق منهم وظلم الظالم لسقطوا من أعينهم ولانقلب شكرهم لهم ذماً.

ثم قال: إذا أمرناهم بالظهور خافوا واستتروا وظنوا بنا سوءاً فالرأي أن نقدم أحدهم ليظهر لهم إماماً فإذا رأوا هذا أنسوا وظهروا وأظهروا ما عندهم من الحركات الموجودة في الآدميين فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء فإذا تحقق ذلك أزلت من أقمته ورددت الأمر إلى حالته الأُولى وقوي هذا الرأي عنده وكتم باطنه عن خواصه وأظهر للفضل بن سهل أنه يريد أن يقيم إماماً من آل أمير المؤمنين علي عليه السلام ثم فكرا في من يصلح لذلك فوقع إجماعهما على الرضى فأخذ الفضل في تقرير ذلك وترتيبه وهو لا يعلم باطن الأمر وأخذ في اختيار وقت لبيعة الرضى عليه السلام فاختار طالع السرطان وفيه المشتري.

فأردت أن أعلم نية المأمون في هذه البيعة وأنّ باطنه كظاهره أم لا لأن الأمر عظيم فأنفذت قبل العقد رقعة مع ثقة خدمه وكان يجيء في مهمّ أمره وقلت له: إن هذه البيعة في الوقت الذي اختاره ذو الرياستين لا تتم بل تنقض لأن المشتري وإن كان في الطالع في بيت شرفه إلا أن السرطان برج منقلب وفي الرابع وهو بيت العاقبة للمريخ وهو نحس وقد غفل ذو الرياستين عن هذا.

فكتب إلي: قد وقفت على ذلك أحسن الله جزاءك فاحذر كل الحذر أن تنبه ذا الرياستين على هذا فإنه إن زال عن رأيه علمت أنك المنبه له وما فهم ذو الرياستين بذلك وما زلت أصوب له رأيه الأول خوفاً من اتهام المأمون لي حتى مضى أمر البيعة فسلمت من المأمون[١].

وحيث إن المأمون لم يسعه إيقاف الناس على هذا السر لم يرَ بداً من التصنع بغيره فأحضر العباسيين[٢] وقال لهم: إني نظرت في صنع علي بن أبي طالب مع ولد العباس بن عبد المطلب لما ولي الخلافة ولم أر أحداً ممن تقدمه من الخلفاء فعل معهم مثله فإنه ترك ولد أبي طالب وولى عبد الله البصرة، وعبيد الله اليمن ومعبداً مكة وقثماً البحرين وما ترك أحداً ممن ينتمي إلى العباس إلا ولّاه فهلا نكافئه في ولده[٣] فنعقد هذه الخلافة لولده الرضا عليه السلام فقالوا له: إنك تولي رجلاً لا بصيرة له بهذا الأمر فابعث إليه ليظهر لك ما يكون دليلاً على ما قلناه فأرسل إليه المأمون ولما استقر المجلس بأبي الحسن عليه السلام قال له

---

(١) أخبار الحكماء للقفطي: ص١٤٩، ونقله السيد ابن طاووس في فرح المهموم: ص١٤٢، ط النجف والطبرسي في إعلام الورى: ص١٩٤، عن الفضل بن سهل عن أخيه والظاهر أنه المذكور في أخبار الحكماء.

(٢) عيون أخبار الرضى: ص٢٨٥.

(٣) تذكرة الخواص: ص٢٠٠.

بنو هاشم يا أبا الحسن اصعد المنبر وانصب لنا علماً نعبد الله عليه فرقي المنبر وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه وأهل بيته صلوات الله عليهم، ثم قال:

أول عبادة الله معرفته وأصل معرفته توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة وموصوف مخلوق وشهادة كل مخلوق أن له خالقاً ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كل صفة وموصوف بالاقتران وشهادة الاقتران بالحدوث وشهادة الحدوث بالامتناع من الأزل فلم يعرف الله من عرف ذاته بالتشبيه ولا إياه وحَّده من اكتنهه ولا حقيقته أصاب من مثَّله ولا إياه عنى من شبَّهه ولا له تذلل من بعضه ولا إياه أراد من توهمه. . . إلى آخر خطبته[1].

فبهر المأمون ومن حضر المجلس ببيان أبي الحسن عليه السلام ودحضت حجة العباسيين وسقط قولهم وبان الانكسار في وجوههم فعندها قال المأمون إني عرفت فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك وأراك أحق بالخلافة مني فقال له الرضى عليه السلام: إن كانت هذه الخلافة قد جعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع لباساً خصك الله به وتجعله لغيرك وإن لم تكن لك فلا يجوز أن تجعل لي ما ليس لك[2].

---

(١) تمامها في توحيد الصدوق: ص٣٤ ح٢، طـ. الأعلمي.

(٢) علل الشرائع: ص٩٠، باب١٧٣.

فلم يزل المأمون يعالجه نحواً من شهرين وأبو الحسن عليه السلام شديد الامتناع من ذلك[١] حتى تنازل إلى ولاية العهد فلم يقبل فأغلظ له في القول فقال الرضى عليه السلام: لقد حدثني أبي عن آبائه عن أمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أني أخرج قبلك من الدنيا مقتولاً بالسم مظلوماً تبكي عليّ ملائكة السماء والأرض وأُدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد فبكى المأمون وقال من الذي يقتلك أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حيّ قال الرضى: أما إني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت، فقال المأمون: إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك ليقول الناس إنك زاهد في الدنيا قال الرضى: والله ما كذبت منذ خلقني الله وما زهدت في الدنيا للدنيا وإني لأعلم ما تريد، ثم عرَّفه أبو الحسن بأنه يريد أن يقول الناس لم يزهد علي بن موسى بن جعفر عليه السلام في الدنيا بل الدنيا زهدت فيه ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة فغضب المأمون وقال إنك تتلقاني دائماً بما أكره حيث أمنت سطوتي فبالله أُقسم لئن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك عليها[٢].

---

(١) عيون الأخبار: ص٢٨٥.

(٢) الصدوق في علل الشرائع: ص٩٠، باب ١٧٣، والأمالي: ص٤٢، مجلس ١٦. وعيون الأخبار ج٢، ص١٥١، ح٣، طـ. الأعلمي.

فقال عليه السلام: اللهم إنك نهيتني عن الإلقاء بيدي في التهلكة وقد أُكرهت واضطررت كما اضطر يوسف ودانيال إذ قبل كل منهما الولاية من طاغية زمانه اللهم لا عهد لي إلا عهدك ولا ولاية لي إلا من قِبلك فوفقني لإقامة دينك وإحياء سنة نبيك فإنك أنت المولى وأنت النصير.

ثم قبل عليه السلام ولاية العهد على شرائط اشترطها وهي أن لا يأمر ولا ينهى ولا يقضي بين الناس ولا يغير شيئاً قائماً[1].

فأجاز له المأمون ذلك وأحضر الناس للبيعة وقال لهم: لقد جئتكم ببيعة علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والله لو قرأت هذه الأسماء على الصم البكم لبرئوا بإذن الله عز وجل[2].

---

(١) عيون الأخبار: ج٢، ص١٦١، طـ. الأعلمي.

(٢) المصدر: ج٢، ص١٥٨، ح١٨، طـ. الأعلمي.

٥٠ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

نص العهد

كتب العهد لسبع خلون من شهر رمضان سنة **٢٠١** هـ[١] وفيه:

بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإن الله تعالى اصطفى الإسلام ديناً واختار له من عباده رسلاً دالين عليه يبشّر أولهم بآخرهم ويصدّق تاليهم ماضيهم حتى انتهت النوبة إلى محمدﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي والحجة واقتراب من الساعة فختم الله به النبيين وجعله شاهداً على الأمم للمرسلين وأنزل عليه كتابه العزيز المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد بالحلال والحرام، والنوازل والأحكام، وعد فيه وأوعد، وخوَّف فيه وهدّد، وزجر وحذر وبلَّغ وأنذر ليكون له الحجة البالغة على خلقه الصحيح منهم والسقيم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيَّ عن بينة وإنه لسميع عليم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص١٧٦.

فبلغ عن الله تعالى رسالاته ودعا إلى سبيل نجاته بما أمر به من الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ثم بالجهاد والغلظة حتى إذا قبضه الله إليه واختار له ما عنده، جعل قوام الدين بالخلافة كما هو بالرسالة فنظام أمور عباده بالخلافة وإتمامها وإعزازها والقيام بأمر الله فيها بالطاعة التي بها تقام فرائض الله وحدوده وشرائع الإسلام وسننه ويجاهد بها عدوه، وجعل لها خلفاء على رعيته في ما استحفظهم من أمر دينه وعبادته وعلى المسلمين الطاعة لهم والمعاونة على إقامة حق الله في عباده وإظهار العدل في بلاده وأمن السبل وحقن الدماء وإصلاح ذات البين.

وفي خلاف ذلك اضطراب أمر المسلمين وقهر دينهم واستعلاء عدوهم وتفريق الكلمة وخسران الدنيا والآخرة، فحق على من استخلفه الله في أرضه وائتمنه على خلقه أن يجهد لله نفسه ويؤثر ما فيه رضاه عنه ويعمل بالعدل والإحسان في ما حكَّمه الله فيه وقلده إياه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ الآية.

ولم أزل منذ أفضت الخلافة إليّ أنظر في من أُقلدها أمرها وأجتهد في من أُوليه عهدها فلم أجد من يصلح لها إلا أبا الحسن علي بن موسى الرضى عليه السلام لما رأيت من فضله البارع وعلمه النافع وورعه الباطن والظاهر وتخليه عن الدنيا وأهلها وميله إلى

الآخرة وإيثاره لها وقد تحقق ذلك عندي وتيقنت فيه والأخبار فيه متواترة والألسن عليه متفقة فعقدت له (العهد) واثقاً بخيرة الله في ذلك نظراً للمسلمين وإيثاراً لإقامة شعائر الدين وطلباً للنجاة يوم يقوم الناس لرب العالمين[١].

(١) كشف الغمة: ج٣، ص١٢٤، باختصار.

٥٤ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

توقيع الإمام عليه السلام

وكان من جملة ما كتبه أبو الحسن عليه السلام في طومار العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعال لما يشاء لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، والصلاة على نبيه (محمد) خاتم النبيين وآله الطيبين.

(أقول) ـ وأنا علي بن موسى بن جعفر ـ إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحاماً قطعت وآمن نفوساً فزعت مبتغياً رضى رب العالمين وسيجزي الله الشاكرين.

وإنه جعل إليّ عهده والأمر بعده وما أمكنني مخالفته ولله عليّ أن لا أسفك دماً حراماً وأُبيح فرجاً ولا مالاً وأن أتخير الكفاة جهدي وطاقتي ولا أُغيّر على نفسي حالة من أحوال الدنيا إلا ما تدعو الضرورة إليه وقد جعلت الله عليّ كفيلاً فإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للتغيير مستحقاً وللنكال متعرضاً وأعوذ

بالله من سخط الرب وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والمباعدة بيني وبين معصيته[١].

ثم رفع يديه بالدعاء قائلاً: اللهم إنك تعلم أني مكره ومضطر فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك ونبيك يوسف حين رفع إلى ولاية مصر[٢].

فأمر المأمون ابنه العباس أن يتقدم للبيعة فبايع أول الناس فرفع الرضى عليه السلام يده فكان ظاهرها تلقاء وجهه وباطنها تلقاء وجوههم فقال له المأمون: ابسط يدك للبيعة فعرَّفه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هكذا يبايع له فبايعه الناس ويده فوق أيديهم[٣].

وكان الناس في بيعتهم يصفقون بأيديهم من أعلى الإبهام إلى الخنصر حتى جاء آخرهم فتى من الأنصار فصفق بيمينه من أعلى الخنصر إلى الإبهام فتبسم أبو الحسن عليه السلام وقال: كل من بايعنا يفسخ البيعة غير هذا الفتى فإنه بايعنا بشرطها فإن عقد البيعة من أعلى الخنصر إلى الإبهام وفسخها بالعكس فأمر المأمون بإعادة البيعة على نهج ما فعل الأنصاري.

وأخذت الأندية تلهج بالثناء على أبي الحسن عليه السلام والحط من

---

(١) تذكرة الخواص: ص١٩٨.

(٢) أمالي الصدوق: ص١٩٢، مجلس ٩٤.

(٣) روضة الواعظين للفتال: ص١٩٣.

المأمون وقالوا: كيف يستحق الخلافة من لا يعلم عقد البيعة من فسخها[١].

وبعد أن تمت البيعة قال الرضى عليه السلام: أيها الناس إن لنا عليكم حقاً برسول الله صلى الله عليه وآله ولكم علينا حق به فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم[٢].

وقام أبو عباد يدعو العلويين والعباسيين لقبض جوائزهم حتى نفدت وقد طبع الدراهم باسم (الرضى عليه السلام) وأمر المأمون أن يخطب في كل بلد للرضى بولاية العهد فخطب عبد الجبار بن سعيد بذلك في المدينة على منبر الرسول صلى الله عليه وآله وقال في الدعاء له: وإن ولي عهد المسلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ستة آباء أفضل من شرب من صوب الغمام وقام الخطباء والشعراء يذكرون فضل (الرضى عليه السلام)[٣] غير أبي نواس فإنه لم يتقدم بمدحه فعاتبه المأمون على تركه وقال: مع تشيعك وميلك لأهل هذا البيت تركت مدح علي بن موسى الرضى مع اجتماع خصال الخير فيه فأنشأ يقول:

---

(١) علل الشرائع للصدوق: ص٩٠، باب ١٧٤.

(٢) روضة الواعظين: ص١٩٣.

(٣) روضة الواعظين للفتال: ص١٩٣.

قيل لي أنت أشعر الناس طراً إذ تفوهت بالكلام النبيه
لك من جوهر القريض مديح يثمر الدر في يدي مجتنيه
فعلام تركت مدح ابن موسى والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا أهتدي لمدح إمام كان جبريل خادماً لأبيه
قصرت ألسن الفصاحة عنه ولهذا القريض لا يحتويه

فدعا المأمون بحقة لؤلؤ فحشا فاه لؤلؤاً وهكذا فعل بعلي بن ماهان فإنه لما جلس الرضى عليه السلام في الدست قال المأمون يا علي ابن ماهان ما تقول في علي بن موسى وأهل هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين ما أقول في طينة عجنت بماء الحيوان وغرس غرس بماء الوحي والرسالة هل ينفح منها إلا رائحة التقى وعنبر الهدى فحشا فاه لؤلؤاً[1].

وحدث ياسر أن الرضى عليه السلام خرج من دار المأمون راكباً بغلة فارهة وعليه ثياب فاخرة وهو أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى إن كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام لم يشك فيه إذا رأى الرضى عليه السلام فاستقبله أبو نؤاس في الدهليز فأنشأ يقول:

مطهرون نقيات جيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ص٩٧، طبع النجف.

الله لـمّـا بـرى خـلـقـاً فـأتـقـنـه صفاكم واصطفاكم أيها البشر
فأنتم الملأ الأعلى وعندكم علم الكتاب وما جاءت به السور

فقال له الرضى عليه السلام يا حسن بن هاني قد قلت أبياتاً لم تسبق إلى مثلها فأحسن الله جزاك ثم قال لغلامه كم معنا من النفقة قال: ثلاثمائة دينار فأمره بحملها إلى أبي نؤاس مع البغلة[١].

ثم إن الرضى عليه السلام نظر إلى بعض الشيعة مستبشراً بما فعله المأمون مع إمامه وقيام الخطباء والشعراء بمدحه فاستدناه منه وقال له خفياً لا تفرح فإنه شيء لا يتم[٢] ولما سأله محمد بن عرفة عن السبب الذي دعاه إلى قبول ولاية العهد قال له هو الذي دعا جدي أمير المؤمنين عليه السلام إلى الدخول في الشورى[٣].

وفي حديث محمد بن زيد الرازي: رأيت مدية مسمومة عند بعض الخوارج وسمعته يقول إني داخل على هذا الذي يزعم أنه ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وأسأله عن موافقته لهذا الطاغية في ولاية العهد فإن كانت له حجة وإلا أرحت الناس منه فلما دخل على الإمام ابتدأه أبو الحسن عليه السلام بقوله: أجيبك عن مسألتك بشرط فقال الخارجي: وما هو قال الإمام عليه السلام: تكسر الذي معك إذا

---

(١) بشارة المصطفى: ص٩٧.
(٢) روضة الواعظين: ص١٩٤، وإرشاد الشيخ المفيد.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤١٥.

اقتنعت بالجواب فتحير الخارجي وبهت وأخرج المدية وكسرها ثم قال له: خبرني عن موافقتك لهذا الطاغي وأنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم عندك كفار.

فقال أبو الحسن عليه السلام أرأيت هؤلاء أكفر أم عزيز مصر وأهل مملكته إن هؤلاء يزعمون أنهم موحدون وأولئك لم يوحدوا الله ولم يعرفوه ويوسف بن يعقوب نبي وابن نبي وقد قال للعزيز اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم فكان يجالس الفراعنة وأنا أُجبرت على هذا الأمر وكرهت الدخول فيه فما الذي نقمت منه؟.

فقال الخارجي: لا عيب عليك فإنك صادق وإنك ابن نبي الله[1].

واتفق بعد البيعة قلة المطر فأكثر الناس التشؤم من البيعة فسأل المأمون أبا الحسن عليه السلام أن يستسقي لهم فقال عليه السلام: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام يقول لي يا بني انتظر يوم الاثنين وابرز إلى الصحراء واستسقِ فإن الله تعالى يسقيهم وأخبرهم بما يريد الله وهم لا يعلمون حالك ليزداد علمهم بفضلك ومكانك من ربك. وفي يوم الاثنين صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال: اللهم يا رب أنت عظمت حقنا أهل البيت فتوسلوا بنا كما أمرت وأملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا إحسانك ونعمتك فاسقهم

---

(١) الخرائج للراوندي: ص١٣٥. ط بمبئ.

سقياً نافعاً عاماً غير ضائر ولا رائث وليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا إلى منازلهم.

فرعدت السماء وأبرقت وهاجت الرياح فتحرك الناس للذهاب إلى منازلهم فقال أبو الحسن عليه السلام: على رسلكم إن هذا العارض لبلد كذا إلى تمام عشر سحابات ثم بدا عارض آخر فقال عليه السلام: إن هذا الغيث لكم فعليكم بمنازلكم ولا تمطر السماء حتى تبلغوا منازلكم فانصرف الناس وأبو الحسن عليه السلام معهم[1] ولم تزل السحابة مسامتة لرؤوسهم ممسكة عنهم حتى دخلوا بيوتهم فجاءت بالمطر ما ملأت الأودية والحياض والغدران.

وصادف بعد عقد ولاية العهد عيد الفطر لأن البيعة كانت في سابع شهر رمضان سنة ٢٠١ فسأل المأمون أبا الحسن عليه السلام أن يخرج لصلاة العيد فاستعفاه من ذلك فلم يقبل وقال: إنما أردت بهذا تطهير النفوس والإقبال عليك لما يظهر لهم من فضلك وغزارة علمك فقال أبو الحسن عليه السلام: إن لم تعفني فأخرج بمثل ما يخرج به رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام فأجابه المأمون إلى ذلك وأمر القواد ورؤساء المملكة بالركوب إلى دار الرضى عليه السلام والخروج معه لصلاة العيد.

ولما طلعت الشمس اغتسل أبو الحسن عليه السلام وتعمم بعمامة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٤، ص٦٨٦، طـ. الأعلمي.

بيضاء ألقى طرفاً منها على صدره والطرف الآخر بين كتفيه وتشمر وفعل مواليه مثله ثم خرج حافياً قد شمر سراويله إلى نصف الساق متوكئاً على عكازة فرفع رأسه إلى السماء وكبر أربع تكبيرات رافعاً بها صوته ومواليه معه فلما صار على الباب قال الله أكبر على ما هدانا الله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام الحمد لله على ما أبلانا ولما نظر إليه القواد والرؤساء نزلوا من دوابهم واحتفوا مثله وارتفعت أصواتهم بالتكبير فضج الناس بالبكاء وكثر الصياح وصارت (مرو) صيحة واحدة وكلما مشى عشر خطوات كبر ثلاث مرات والناس بأجمعهم يكبرون معه بأصوات رفيعة فتخيل لذلك الجمع أن السماء والأرض والجبال تجاوبه.

فاضطرب المأمون من هذا الحال وقال له ذو الرياستين الفضل بن سهل إن بلغ الرضى عليه السلام (المصلى) على هذا افتتن به الناس فاسأله الرجوع إلى محله فأرسل إليه المأمون[1]: إنّا كلفناك شططاً وأتعبناك ولسنا نحب أن يلحقك مشقة فارجع وليصلِّ بالناس من كان يصلي بهم على رسمه فدعا أبو الحسن عليه السلام بخفه فلبسه وركب ورجع من فوره واختلف أمر الناس في ذلك اليوم ولم تنتظم صلاتهم[2].

---

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج١، ص٤١٠.

(٢) إعلام الورى: ص١٩٥.

شهادة الإمام عليه السلام

لقد كان لأئمة الدين المكانة السامية في كل فضيلة فلم يلحق مداهم أي أحد وكما شاء لهم المولى سبحانه السبق في تلكم المآثر جمعاء قدَّر أن لا تعدوهم فضيلة الشهادة على الموت حتف الأنف لئلا يكون في الأمة من يربو عليهم في فضيلة أو يدانيهم في صفة وقد أعلمنا النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بما أعد الله للشهيد من فضل سامٍ وغاية كبرى فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

إن فوق كل ذي بر برّاً حتى يقتل في سبيل الله فإذا قتل فليس فوقه بر[1].

وفي ما حدث به ابنته الصديقة الزهراء عليها السلام أنّ أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا الذين بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة

---

(١) الخصال للصدوق: ج١، ص٩، ح٣١، طـ. الأعلمي، وشرح الصحيفة السجادية للسيد علي خان: ص٥٨.

والإنجيل والزبور فما عند الله خير من الدنيا، وما فيها قتلة أهون من ميتة[١].

وهذا الإخبار من النبي الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم يحتم علينا الإذعان بأن ما أصاب أئمة الهدى من القتل الذريع تحصيلاً لمنازل عالية وكرامة كبرى لم يبلغوها إلا بتلك الشهادة، ولأجل ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول في صفين (اللهم ارزقني أشرف القتل في سبيلك أنصرك وأنصر رسولك أشتري به الحياة الباقية بالحياة الدنيا)[٢].

ويقول عليه السلام في بعض حروبه: (اللهم إنك أعلنت سبيلاً من سبلك جعلت فيه رضاك وندبت إليه أولياءك وجعلته أشرف سبلك عندك ثواباً وأكرمها لديك مآباً وأحبها إليك مسلكاً، ثم اشتريت من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليك حقاً فاجعلني ممن اشتريت فيه منك نفسه ثم وفى لك ببيعه الذي بايعك عليه غير ناكث ولا ناقض عهداً ولا مبدل تبديلاً استيجاباً لمحبتك وتقرباً إليك فاجعله خاتمة عملي وصيِّر فيه فناء عمري)[٣].

---

(١) تفسير فرات: ج١، ص١٧٢، ح٢١٩.
(٢) الصحيفة العلوية: ص١٦٤.
(٣) شرح الصحيفة للسيد علي خان: ص٥٨.

وأمير المؤمنين عليه السلام وإن كان على يقين من تأخر شهادته عن هذه الحروب إلا أنه أظهر حبه لمواقف الشهداء في تلك المعركة ليفوز بالأجر الجزيل (فإن من أحب عمل قوم شاركهم في عملهم) على أنه عليه السلام لم يطلب في دعائه تعجيل قتله وإنما كانت طلبته أن تكون الشهادة خاتمة أمره ولا ينافيه علمه بتأخرها فإن في دعائه هذا إظهاراً للرضا بمجاري القضاء وخضوعاً للأمر المحتوم وكل ذلك عبادة يجب أن يكون مثله فائزاً بها.

وإلى مثل هذا كان الإمام الحسن السبط عليه السلام يشير بقوله لجنادة: لقد عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة عليهما السلام ما منا إلا مقتول أو مسموم[1].

ومن هؤلاء الأطهار الأصفياء أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر فقد استفاض الحديث في شهادته على يد أعداء الله وأعداء رسوله وفي ذلك يقول الرضى عليه السلام: والله ما منا إلا مقتول شهيد فقيل له فمن يقتلك يابن رسول الله قال عليه السلام: شر خلق الله يقتلني بالسم ثم يدفنني في دار مضيعة وبلاد غربة[2] ويحدث الحسن بن فضال عن رجل من أهل خراسان أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وهو

---

(١) كفاية الأثر للخزاز: ص٣١٧، وقد أفضنا القول في كتاب الحسن عليه السلام في هذه المسألة ومسألة الإقدام على القتل مع العلم به نسأل الله أن يوفقنا لطبعه وإخراجه للقراء.

(٢) أمالي الصدوق: ص٣٩، مجلس ١٥، وعيون الأخبار: ص٣٦٣.

يقول له: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي واستحفظتم وديعتي وغيِّب في ثراكم نجمي ولما قصها على الرضى قال له: أنا المدفون في أرضكم وأنا بضعة نبيكم وأنا الوديعة والنجم، ثم عرَّفه صدق هذه الرؤيا بقوله: لقد حدثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من رآني في منامه فقد رآني لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي ولا في صورة أحد من أوصيائي ولا في صورة أحد من شيعتهم وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة.

وفي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام سيقتل رجل من ولدي بأرض خراسان بالسم ظلماً اسمه اسمي واسم أبيه اسم ابن عمران موسى عليه السلام وقال الصادق عليه السلام: يقتل حفيدي بأرض خراسان في مدينة يقال لها «طوس» وفي حديث آخر عنه يقتل لهذا وأومى بيده إلى موسى عليه السلام ولد بطوس لا يزوره من شيعتنا إلا الأندر في الأندر.

وسمع سليمان بن حفص المروزي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: إن ابني عليّاً مقتول بالسم ظلماً ومدفون إلى جنب هارون بطوس من زاره كمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال الإمام الرضى عليه السلام للحسن الوشا: إني سأُقتل بالسم مظلوماً فمن زارني عارفاً بحقي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[1].

---

(١) عيون الأخبار: ص٣٦٣، وص٣٦٥، وص٣٦٧.

وذكر الشيخ المفيد من الأسباب التي أوجبت إقدام المأمون على الفتك بأبي الحسن عليه السلام: أن الإمام عليه السلام لم يزل يكثر وعظ المأمون إذا خلا به ويعرِّفه جرأته على انتهاك الحرمات واقترافه الآثام وتعديه الحدود الشرعية، ولقد رآه يتوضأ للصلاة والغلام يصب الماء على يديه فقال له: لا تشرك بعبادة ربك فصرف المأمون الغلام وتولى الوضوء بنفسه وهو مغضب.

وزاد على ذلك طعنه في الحسن والفضل ابني سهل ووصفه مساوئهما ونهيه عن الإصغاء إلى قولهما وعدم تدبيرهما الأمور وقد ظهر ذلك لهما فأخذا يختلقان على الإمام أشياءً توجب نفرة المأمون منه وخوفاه عاقبة احترامه وذكر فضله والثناء عليه أمام العامة وما زالا على ذلك حتى أوغرا عليه قلبه فعزم على الفتك به.

قال هرثمة بن أعين دعاني سيدي الرضى عليه السلام فلما حضرت عنده قال لي هذا أوان رحيلي إلى الله تعالى ولحوقي بجدي وآبائي صلوات الله عليهم وقد بلغ الكتاب أجله وإن هذا الطاغي قد عزم على سمي في عنب ورمان مفروك أما العنب فإنه يغمس السلك في السم ويجذب الخيط في العنب وأما الرمان فإنه يضع السم في كف بعض غلمانه فيفرك الرمان بيده وسيدعوني إليه ويسألني أكلهما فإذا أكلتهما نفذ القضاء وجرى المحتوم.

فإذا مت سيقول إني أتولى غسله بيدي فقل له سراً: لا

تعرض لذلك فإنك إن فعلت عاجلك من العذاب ما أُخر عنك وإذا انتهى سيشرف من مكان عالٍ على موضع الغسل لينظر.

وسترى بعد ذلك فسطاطاً مضروباً في الدار فاحملني من فراشي وضعني على المغتسل داخل الفسطاط وقف خارجه إلى أن يرتفع فتراني مدرجاً في أكفاني.

وسيقول لك المأمون يا هرثمة أليس زعمتم أن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله فمن يغسل أبا الحسن علي بن موسى وابنه محمد بالمدينة ونحن (بطوس) فأجبه بأن الإمام وإن وجب أن لا يغسله إلا إمام لكنه إذا تعدى متعدٍّ وغسل الإمام لم تبطل إمامة السابق واللاحق ولو ترك أبو الحسن عليه السلام بالمدينة لغسله ابنه «محمد» ظاهراً مكشوفاً ولا يغسله الآن إلا ولده «محمد» من حيث يخفى.

وسيجعل قبر أبيه هارون قبلة لقبري وهذا لا يكون أبداً فإن المعاول لا تؤثر في ذلك أصلاً ولا مثل قلامة ظفر فإن اجتهدوا في ذلك فقل له إني أُمرت أن أضرب «معولاً» واحداً في قبلة قبر أبيك الرشيد فإنه ينفذ إلى قبر محفور وضريح مشقوق ولا تنزلني حتى يمتلئ الضريح ماءً أبيض ويصير الماء مع وجه الأرض ثم تضطرب فيه حوت بطوله فإذا غاب الحوت وغار الماء فأنزلني في القبر ولا يضع أحد في القبر تراباً فإن القبر ينطبق بنفسه.

قال هرثمة: لما أوقفني سيدي على هذا الأمر المكنون وعلمت وقت ارتحاله إلى جوار جده صلى الله عليه وآله وسلم وما يفعله الطاغي به من العدوان لم أتمالك عن البكاء وكنت كالحديدة المحماة ولم أستطع إظهار ذلك لأحد حذراً من تنكيل المأمون.

وفي نهار تلك الليلة دعاني المأمون وأمرني أن أذهب إلى أبي الحسن عليه السلام أدعوه للحضور عنده فلما حضر في الدار وبصر به المأمون قام إليه وعانقه وقبّل ما بين عينيه وأجلسه إلى جنبه وأقبل يحدثه.

ثم أمر بعض غلمانه بأن يأتيه بعنب ورمان فقامت قيامتي وعلمت أنّ سيدي مقتول مظلوم وتراجعت القهقرى لئلا يبين ذلك علي فيكون هلاكي.

وقرب الزوال خرج أبو الحسن عليه السلام من عند المأمون ولم أتبعه غير أني سمعت الناس يقولون عرضت لأبي الحسن عليه السلام علة[1].

قال أبو الصلت: لما خرج الإمام من عند المأمون مغطى الرأس لم أكلمه لأنه نهاني عن الكلام إن خرج على هذا الحال وقد أمرني بسد الباب ونام على فراشه يتقلب من حرارة السم

---

(١) عيون الأخبار: ص٣٥٥.

وبينا أنا واقف في الدار وإذا بشاب حسن الوجه أشبه الناس بالرضى عليه السلام فعجبت من دخوله الدار والباب مغلق فقال لي: إن الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت قادر على أن يدخلني الدار والباب مغلق أنا حجة الله عليك يا أبا الصلت أنا محمد ابن علي عليه السلام.

ودخل على أبيه فلما نظر إليه الرضى عليه السلام ضمه إلى صدره وقبّل ما بين عينيه وانكب الجواد عليه السلام عليه يقبله ويسارّه[١].

وبقي الإمام أياماً عليلاً يعاني ألم السم والمأمون يعوده في اليوم مرتين وفي آخر أيامه كان يغمى عليه ساعة بعد أُخرى فقال لياسر الخادم: هل أكل الناس شيئاً فعرّفه بأن العيال في وجل وبكاء فكيف يأكلون وهم يشاهدونه بهذا الحال، فعندها انتصب الإمام عليه السلام وأمر بأن تقدم المائدة وأخذ يتفقد غلمانه واحداً بعد واحد ولما فرغوا أمر برفع الطعام إلى العيال وهو متماسك لأجل أن يتهنّأوا بالطعام[٢].

وفي الليلة السابعة عشرة من شهر صفر سنة **٢٠٣**[٣] قضى

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٣.

(٢) عيون الأخبار: ص٣٥٢.

(٣) الأقوال في زمان وفاة الإمام عليه السلام ثمانية الأول: ما أثبتناه وبه قال الكفعمي في المصباح: ص٢٦٩، والجدول والسيد السند السيد محمد جد بحر =

نحبه مسموماً مظلوماً مضطهداً وأخبر المأمون بموته فكتم موته يوماً وليلة ثم وجه خلف محمد بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وجماعة من آل أبي طالب فلما حضروا عنده كشف لهم عن جسده وقال إنه صحيح ليس فيه أثر ضربة أو طعنة أو غيرها وأخذ يبكي ويقول لقد عزّ عليّ أن أراك بهذا الحال وقد كنت أُؤمل أن أقدم قبلك فأبى الله إلا ما أراد وأظهر جزعاً شديداً[1].

ويحدث هرثمة بن أعين أن المأمون عزم على أن يغسله بيده فخلوت به وقلت له إن الرضى عليه السلام أمرني أن أخبرك ألا تعرض لغسله وتكفينه ودفنه فإذا خالفت أمره عاجلك من العذاب ما أُخر

= العلوم في رسالة مواليد الأئمة عليهم السلام، الثاني: آخر ذي الحجة ذكره المسعودي في إثبات الوصية: ص١٨٠، ط النجف، الثالث: خامس ذي الحجة، ذكره اليافعي في مرآة الجنان: ج٢، ص١٢، الرابع: ثالث عشر ذي القعدة حكاه اليافعي قولاً، الخامس: الثالث والعشرون من ذي القعدة ذكره المفيد في مسار الشيعة والفيض في أحسن التقويم وحكاه المجلسي عن العدد القوية لأخ العلامة الحلي، السادس: الرابع والعشرون من ذي القعدة اختاره في جنات الخلود، السابع: تاسع شهر رمضان، رواه الصدوق في عيون الأخبار: ص٣٥٥، الثامن: آخر صفر، ذكره الطبري في التأريخ: ج١٠، ص١٥١، وكامل ابن الأثير: ج٦، ص١١٩، واختاره الطبرسي في إعلام الورى: ص١٢٢.

(١) مقاتل الطالبيين: ص١٩٦ والإرشاد للشيخ المفيد وروضة الواعظين للفتال: ص١٩٩.

عنك فانتهى عما عزم عليه ولكنه جلس في (علية) مرفاً على موضع الغسل ليرى من يغسله ثم ضرب الفسطاط في الدار فحملت الإمام إليه كما أمرني وجرى من المأمون مع هرثمة كما أخبر به الرضى عليه السلام وبعد أن ارتفع الفسطاط حمل إلى قبة حميد ابن قحطبة حيث هنالك هارون[١].

---

(١) دفن الإمام في قبة حميد بن قحطبة ذكره جماعة منهم الشيخ المفيد في الإرشاد والمسعودي في إثبات الوصية: ص١٨٠، والفتال في روضة الواعظين: ص٢٠٠، وابن شهرآشوب في المناقب: ج٢، ص٤١٧، ط إيران، وابن الأثير في التأريخ: ج٦، ص١١٩، وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين: ص١٩٦.

وحميد هذا هو ابن قحطبة بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائي الطوسي قال المقريزي في الخطط ج٢، ص٩٢: تولى الصلاة والخراج في مصر من قبل أبي جعفر المنصور لخمس خلون من شهر رمضان سنة ١٤٣ فقدمها في عشرين ألف جندي وفي ثمانٍ بقين من ذي القعدة سنة ١٤٤ صرفه عنها لشيء بلغه وذلك أن علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل مصر داعية لأبيه وعمه ذي النفس الزكية وفي قضاة مصر للكندي: ص١١١، ط بيروت أنّ صاحب السكة أخبر حميد ابن قحطبة به فكذبه ثم إنه أرسل إلى العلوي أن يتغيب وفي الصباح فتش عنه فلم يجده فقال لصاحب السكة ألم أعلمك أنه كذب فكتب صاحب السكة إلى أبي جعفر فسخط عليه وعزله.

ويظهر من هذا موالاته للعلويين وإن تقلب في نعمة بني العباس ولعل نهضة أبيه قحطبة مع العباسيين حتى قتل قائداً لهم في حرب ابن هبيرة سنة ١٢٨=

فأمر المأمون أن يحفر له خلف قبر أبيه وكلما ضربوا بالمعاول لم يؤثر شيئاً فلما أعيوا عن ذلك قال هرثمة للمأمون أمرني الرضى أن أضرب معولاً واحداً في قبلة قبر هارون فينفذ إلى قبر محفور فقال المأمون سبحان الله ما أعجب هذا الكلام ولا عجب من أمر أبي الحسن عليه السلام فافعل يا هرثمة كما أمرك سيدك فضرب معولاً واحداً في الموضع الذي أمر به عليه السلام فانكشفت الأرض عن القبر المعد لخليفة الله في أرضه.

= أيام الدعوة لبني العباس نشأت من الموالاة لأهل البيت لا حباً لبني العباس إذ لم يعرف لهم قدم راسخ في الفضائل كما عرف واشتهر عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حتى إن قيام بني العباس كان باسم استرجاع الحق إلى أهله وهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكن الدنيا استولت عليه فأنسته ما وجب عليه من أداء أجر الرسالة باحترام ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنصرة لهم والدفاع عنهم وفعلته الشنيعة مع العلويين الذين قتلهم في ليلة واحدة «إن صح التأريخ» فلا يتوفق معها قطعاً لحسن العاقبة أعني الإقرار بإمامة الاثني عشر من آل النبي الأقدس وإذا كان أصغر الذنوب يحول عن الممات على دين الحق كما في الحديث فمثل تلك الدماء لا تذهب جباراً وفي الحديث كما في أمالي الصدوق: ص٣٩٦، مجلس ٩٥ أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال: لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل يزداد كل يوم إحساناً ورجل يتدارك سيئته بالتوبة وأنّى له بالتوبة والله لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت ومات حميد بن قحطبة سنة ١٥٩ بعد أن تولى على خراسان سنة ١٥٢.

وأمر المأمون بإنزاله في مقره فعرَّفه هرثمة بما أمره أبو الحسن من تأخير إنزاله حتى يظهر الماء والحيتان فتعجب المأمون وأُدهش من حضر فما أسرع أن نبع ماء أبيض حتى امتلأ القبر منه ثم ظهرت الحوت فيه ولما غابت الحوت وغار الماء وضع النعش على جانب القبر فغطي بثوب أبيض لم يبسطه أحد ثم أُنزل إلى القبر من دون أن يروا أحداً أنزله وأشار المأمون إلى الحاضرين بوضع التراب في القبر فعرَّفه هرثمة أن أبا الحسن عليه السلام أخبره بأن القبر يمتلئ من نفسه ويتربع على وجه الأرض فكان كما قال فانصرف المأمون معجباً مما شاهده من أعلام الإمامة ثم سأل هرثمة عما أسرَّ إليه الرضى عليه السلام فأخبره بحديث العنب والرمان فأخذ يتلون يصفر مرة ويحمر أُخرى ويسود ثالثة ويقول ويل للمأمون من الله ويل له من رسول الله ويل له من علي ويل له من فاطمة ومن الحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر ويل للمأمون من علي بن موسى الرضى هذا والله هو الخسران المبين، وأخذ يومه كله على هذا الحال ثم أخذ العهود والمواثيق من هرثمة أن لا يطلع أحداً على ما سمعه وشاهده[1].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢١، وعيون أخبار الرضى: ص٣٥٥.

ثم إن المأمون دعا أبا الصلت الهروي وسأله أن يعلمه الكلام الذي أخبره الإمام الرضى عليه السلام حتى ظهر الماء والحيتان في القبر فقال له: إني نسيته من ساعتي تلك فلم يقنع المأمون بقوله وأمر به فحبس سنة وضاق عليه الحبس فدعا الله وأقسم عليه بمحمد وآله أن يفرج عنه مما هو فيه فإذا هو بإمامه غوث الصريخ ومفزع اللاجئ أبي جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام ففك القيود من رجليه وأخرجه من الحبس والحرس يرونه ولم يستطيعوا أن يتكلموا أو يمنعوا، ثم قال له: امضِ في وديعة الله فإنك لن تصل إليه ولا يصل إليك أبداً[1].

(١) روضة الواعظين: ص١٩٨، وعيون الأخبار: ص٣٥٤.

٧٦ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

الشهادة بالسم

إن شهادة الإمام الرضى عليه السلام مسموماً من المسلَّمات التي لا يتطرقها أي تمحُّل وقد صافق على ذلك التأريخ الصحيح والحديث الثابت وأقوال المحققين من العلماء كما أنها جاءت مبثوثة في كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين والإمام الصادق عليهما السلام على ما عرفت ونوَّه به الإمام الرضى للملأ من بطانته إبان حياته بالإجمال مرة وبالتصريح أُخرى.

ففي حديث أبي الصلت عنه عليه السلام: ما منا إلا مقتول شهيد يقتلي بالسم شر خلق الله في زماني[1] وقال للمأمون: أما إني لو شئت أن أقول من الذي يقتلني لقلت ويروي محمد بن الجهم أن الرضى عليه السلام كان يعجبه أكل العنب فأُخذ له شيء وجعل في موضع أقماعه الإبر المسمومة أياماً ثم نزع منه وجيء به إليه فأكل منه ومات[2].

---

(١) أمالي الصدوق: ص٣٩، مجلس ١٥.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٢.

من أجل هذا لم يتأخر عن الإذعان به الشيخ الصدوق فرواه في عيون أخبار الرضا والأمالي من طرق كثيرة وأثبته الشيخ المفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الورى والفتال في روضة الواعظين: ص١٩٧، والكفعمي في جدول المصباح والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية: ص١٢٥، والسيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز: ص٩٢، وقال في معالم الزلفى ص٩٩: الروايات في شهادته مسموماً كثيرة اقتصرنا على بعضها خوف الإطالة ونص عليه ابن أمير الحاج في شرح ميمية أبي فراس وشيخنا الحر العاملي في مزار الوسائل رواه من طريقين وذكره في المنظومة بقوله:

قتله بسمّه المأمون في نقل صحيح مستفيض فاعرف

والشيخ الجليل الفتوني قال في المنظومة:

قد غاله المأمون سماً بالعنب وخان عهد الله في الزاكي الحسب

وقال السوسي كما في مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٢:

بأرض طوس نائي الأوطان إذ غره المأمون بالأماني
حين سقاه السم في الرمان

وقال أبو فراس الحمداني:

باءوا بقتل الرضى من بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رشدهم فعموا

وقال الحجة آية الله السيد محمد جد السيد بحر العلوم في رسالته (مواليد الأئمة) إنه المشهور بين الإمامية ودلت عليه الروايات الكثيرة فلا يلتفت إلى ما قيل إنه مات حتف أنفه.

وقال العلامة الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني(قدس) في أرجوزته:

فاغتاله بالعنب المسموم ويل لذاك الظالم الغشوم
لولا رضاه بالقضاء الجاري لاسودّ وجه الدهر بالبوار
ومادت الأرض بلابتيها وساخت الأرض بمن عليها
قضى شهيداً صابراً محتسبا وهو غريب بلا غريب الغربا

هذا ما عليه العلماء الأعلام من أصحابنا الإمامية.

وأما غيرهم فممن جزم به الخزرجي في خلاصة تهذيب الكمال ص٢٣٥، قال: مات مسموماً بطوس وقال ابن حجر في تهذيب التهذيب ج٧، ص٣٨٨: استشهد بسناباد من طوس والتعبير بهذا اللفظ لا يكون إلا في مقام القتل ثم إنه نقل عن أنساب السمعاني أنه سم في ماء الرمان، وفي تأريخ اليعقوبي

ج٣، ص١٨٠: قيل إن علي بن هشام أطعمه رماناً فيه سم فمات منه، ولم يعقب عليه.

وفي الصواعق المحرقة: ص١٢٢، ومطالب السؤول: ص٨٧، ونور الأبصار: ص١٤٥، والفصول المهمة: ص٢٧٧، ذكروا أخبار الإمام الرضى عليه السلام قبل موته بأنه يأكل عنباً ورمّاناً مبثوثاً فيموت وهذا هو حديث هرثمة وإن لم ينقلوه على ظاهره إلا أن الظاهر منهم الإذعان بشهادته مسموماً، وهناك قسم من المؤرخين نسبوا إلى القيل موته بالسم منهم ابن خلكان في الوفيات واليافعي في مرآة الجنان: ج٢، ص١٢، وابن العماد في الشذرات: ج٢، ص٦، وليس التعبير بالقيل توهيناً منهم للرواية وإنما الغرض الإيعاز إلى وجود القائل فحسب من دون إشارة إلى مبلغ النقل من القوة والضعف لأن الغرض من ذلك سرد الجمل التاريخية مقطوعة الأسناد من دون إسهاب بإيراد الطرق حيث لا تمس إليها حاجة على أن التأمل في كلامهم يشهد له فإن اليافعي يقول: كان سبب موته على ما حكوا أنه أكل عنباً فأكثر منه وقيل بل مات مسموماً. وإسناده الموت حتف الأنف إلى الحكاية وعدم رده للقول الثاني دليل على عدم تباعده عما دل عليه التأريخ من شهادته مسموماً وكذلك قول ابن العماد: وكان موته بالحمى وقيل بالسم فإنه لا ينفي اجتماع الحمى مع كونه مسموماً.

ومن الغريب العجيب ما في تأريخ الطبري وابن الأثير وتاريخ أبي الفدا أنه أكل عنباً فأكثر منه فمات فجأة فإن فيه (أولاً) أن ذلك لا يعد أقوالاً في قبال ما تقدم وإنما هو في الحقيقة قول واحد للطبري لأن الكامل مختصره وأبو الفدا تلخيصهما بإضافة ما لم يذكراه من السنين (وثانياً) إن قول الطبري لا يصغى إليه بعد أن كان من القائلين بشهادته مسموماً من هو أقدم منه في السنين وأقرب إلى تحصيل الحقائق التأريخية من مظانها كالصدوق والمفيد وأضرابهما (وثالثاً) إن من سبر تأريخ الطبري يجده كحاطب ليل يخلط الدرة بالبعرة ويدع الموضوعات مزيجة بالصحاح ولا سيما في ما يعود إلى المذهب أو تدعيم مبدئه أو الوقيعة في جانب أهل البيت عليهم السلام وهو في ذلك يسرّ حسواً في ارتغاء وها هو في التأريخ له سبعمائة أكذوبة أو أكثر على ما أحصاها شيخنا الحجة ميرزا عبد الحسين الأميني في الغدير وكلها برواية السري أو كتابته عنه ورجال السند بين وضاع أو زنديق وهذا هو السبب في من صافقه في النزعة أن يتهالك في النقل عنه وإطرائه بكل جميل (ورابعاً) أن المتأمل في أحاديث الأئمة عليهم السلام يتجلى له كذب هذه الدعوى فإنهم عليهم السلام قالوا: كثرة الأكل مكروهة وأبعد ما يكون العبد إلى الله إذا امتلأ بطنه وأقرب ما يكون منه إذا خف بطنه فإن البطن إذا شبع طغا، ولا بد لكل أحد إذا أكل أن يجعل ثلث بطنه للطعام وثلثه للشراب وثلثه

للنفَس[١] إلى غير ذلك من المفاسد المترتبة على كثرة الأكل والامتلاء والشبع فهل يعتقد أحد أن أئمة الدين الهداة إلى شرع جدهم الأقدس يردعون الأمة عن مضار الأكل وينبهونهم على مفاسد الامتلاء ويرشدونهم إلى ما فيه الصلاح ثم يتنكّبون ما أسسوه ـ كلا ـ لا يقول به إلا فاسد السريرة منطمس البصيرة فكيف بمثل الإمام الرضى عليه السلام يقدم على الأكل إلى أن تصيبه التخمة فيموت منها؟!

ولا عجب من ابن جرير إذا افتعل على الإمام عليه السلام وقال كما شاء له الهوى وجرته العصبية إلى مهوى سحيق وإنما الغريب من مؤرخ يزعم أنه يتحرى حقائق التأريخ كيف يذهب إلى هذا الرأي الغير مدعوم بحجة قوية فيقول في (مختصر تأريخ العرب) ص٢٣٠: توفي الإمام فجأة وما أدري من أين اعتمد على نقل الطبري وهناك أقوال الأعلام تثبت الشهادة مسموماً وفيهم من هو أدق منه نظراً وأضبط في النقل وأحرص على نقل الحقائق كالشيخ المفيد وأضرابه، ولقد قال في الكتاب المذكور ص٢٦٦: (إن في زمن القادر بالله إئتلق أنجم عدة من العلماء الأفذاذ الذين تركوا آثاراً خالدة في التأريخ الإسلامي منهم الشيخ المفيد أكبر مجتهدي الشيعة).

---

(١) هذا مضمون أحاديث ذكرت في الوسائل: ج٣، ص٢٦٣، عين الدولة.

فإذا كان مثل المفيد المتحري لحقائق التأريخ بنظره قائلاً بشهادته مسموماً كيف يعدل عن رأيه مع موافقة جمع كثير من العلماء له ويأخذ بقول واحد والعذر لهذا السيد أنه لم يقف على كتب الشيعة ولا قرأ أحاديثهم الواردة في الآداب وتطهير النفوس ليتجلى له مقام أئمتهم من الشريعة المقدسة وأغرب شيء أنه يقول في هامش الكتاب ص٢٣٠: (إن القصة القائلة بأن المأمون هو المحرض على قتل الفضل وتسميم الإمام الرضى مختلقة لا أساس لها من الصحة) وليته ذكر لنا جميع ما قيل في هذا الشأن ثم يعقبه بالقرائن الدالة على تأكيد ما ذكره ابن جرير الطبري.

٨٤ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

أولاده

ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد والحافظ الكنجي في كفاية الطالب ص٣١٠، طبع النجف، أن علي بن موسى عليه السلام لم يترك ولداً سوى أبي جعفر محمد ويشهد له ما عن دلائل الحميري عن حنان بن سدير قلت لأبي الحسن الرضى: أيكون إمام ليس له عقب؟ قال أما إنه لا يولد لي إلا واحد ولكن الشيخ الفتوني ذكر في حديقة النسب أن له علياً والحسن والحسين وموسى والإمام الجواد عليه السلام ولم يذكر لهم عقب إلا أبا جعفر الجواد عليه السلام وذكر الشبراوي في الإتحاف وابن حجر في الصواعق: ص١٢٣، أنه توفّي عن خمسة رجال وبنت وعند ابن طلحة في مطالب السؤول: ص٨٧، وابن الصباغ في الفصول المهمة: ص٢٨٠، هم محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين وعائشة، وأسقط السبط في تذكرة الخواص: ص٢٠٢. الحسين وعدَّ أربعاً وبنتاً.

٨٦ ..... وفاة الإمام الرضا عليه السلام

المديح والرثاء

لقد تواتر الحث من الأئمة عليهم السلام على نظم الشعر فيهم مدحاً ورثاءً لعلمهم أن القول المنظوم أسرع تأثيراً في النفوس لرغبة الطباع إليه فتتحفظ به القلوب وتتلقاه جيلاً بعد جيل ومما ورد من آثارهم في ذلك قول الصادق عليه السلام: من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنة وفي آخر: حتى يؤيد بروح القدس وفي ثالث بنى الله له في الجنة مدينة يزوره فيها كل ملك مقرب ونبي مرسل[١].

وقال أبو جعفر الباقر للكميت لما أنشده قصيدته (من لقلب متيم مستهام): لا تزال مؤيداً بروح القدس[٢] وفي أيام التشريق استأذنه لينشده قصيدته فكبر على الإمام أن يتذاكروا الشعر في الأيام العظام ولما قال له الكميت إنها فيكم أنس أبو جعفر عليه السلام

(١) عيون أخبار الرضا: ص٥.
(٢) رجال الكشي: ص١٣٦.

وقال اللهم اغفر للكميت[١] وأما الإمام الصادق عليه السلام فقرب أهله ليسمعوا الشعر لأنه من الذكر الذي هو حياة أمرهم فلما أنشد الكميت القصيدة كثر البكاء من العيال ولما أتى على قوله (يصيب به الرامون عن قوس غيرهم) رفع الصادق عليه السلام يديه بالدعاء قائلاً اللهم اغفر للكميت ما قدم وأخر وما أسرّ وأعلن وأعطه حتى يرضى[٢] وكتب أبو طالب القمي إلى أبي جعفر الثاني أبيات شعر ذكر فيها أباه وسأله أن يأذن له أن يقول فيه فقطع عليه السلام الشعر وكتب في صدر ما بقي من القرطاس: قد أحسنت فجزاك الله خيراً، اندبني واندب أبي[٣].

من أجل الزلفى إلى المولى سبحانه والفوز بالرضوان الأكبر بادر الشعراء الذين لهم ولاء صميم لأئمة الدين عليهم السلام إلى الإكثار من مدحهم وبيان ما منحهم الباري جل شأنه من المنازل العالية التي لم ينلها أي فرد من البشر مهما عظم قدره وكثر جهاده ومجاهدته في سبيل مرضاة رب العالمين ولم يجرهم إلى ذلك الطمع في الدنيا وما فيها من لذائذ ونفائس ومن هنا لما أنشأ الفرزدق قصيدته الميمية في مدح زين العابدين وبلغ علي بن

---

(١) الأغاني: ج١٥، ص١٢٠.
(٢) الأغاني: ج١٥، ص١١٨، ومعاهد التنصيص: ج٢، ص٢٧.
(٣) رجال الكشي: ص٣٥٠.

الحسين حبس هشام إياه بسببها أرسل إليه اثني عشر ألف درهم واستعذره حيث لم يكن عنده أكثر منه ردها الفرزدق عليه وهو يقول: إني لم أقل ذلك إلا غضباً لله عز وجل ولرسوله وما كنت لآخذ عليه شيئاً فشكر السجاد عليه السلام نيته وعرَّفه أن عادة أهل البيت الطاهر أن لا يرجع إليهم ما يهبونه فقبلها منه[١].

ولما أنشد الكميت قصيدته للإمام الصادق عليه السلام أعطاه ألف دينار وكسوة فقال الكميت إني ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هي في يديه ولكنني أحببتكم للآخرة فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأقبلها لبركاتها وأما المال فلا أقبله[٢].

وأما دعبل الخزاعي فإنه لما نظم قصيدته التائية قصد الرضى عليه السلام بخراسان وقال له آليت على نفسي أن لا أُنشدها أحداً قبلك فقال هاتها[٣] فأنشده إلى أن بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبو الحسن عليه السلام وقال: صدقت يا خزاعي: ولما وصل إلى قوله:

---

(١) شرح شواهد المغني للسيوطي: ص٢٥٠، ط مصر

(٢) الأغاني: ج١٥، ص١١٨.

(٣) كشف الغمة: ص٢٧٥.

إذا وُتروا مدّوا لواتريهم أكفاً عن الأوتار منقبضات

جعل أبو الحسن يقلب كفيه ويقول: أجل والله منقبضات ولما وصل إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال له الرضى عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر ولما وصل إلى قوله:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمن بالغرفات

قال الرضى عليه السلام: أفلا أُلحق لك هذا الموضع ببيتين يكون بهما تمام قصيدتك؟ قال بلى يابن رسول الله فقال عليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة توقد في الأحشاء بالحرقات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل: لمن هذا القبر قال عليه السلام: هو قبري ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري ألا ومن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له ثم نهض وأمره ألا يبرح من موضعه وأرسل مع ياسر الخادم مائة دينار رضوية فقال دعبل: والله ما لهذا جئت ولا قلت هذه

القصيدة طمعاً في شيء وردّ الصرّة ولكنه طلب ثوباً من ثياب الرضى عليه السلام ليتبرّك به فانفذ إليه الرضى عليه السلام مع الصرة جبة خز وأمر الخادم أن يقول له ستحتاج إلى الصرة ولا تراجعني فيها.

فأخذ دعبل الصرة والجبة وانصرف من (مرو) وفي بعض الطريق وقع عليهم اللصوص وأخذوا القافلة بأسرها وكتفوا أهلها وكان دعبل في من كتف وجعلوا يقتسمون ما أخذوه من القافلة فتمثل رجل من اللصوص بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

فقال له دعبل لمن هذا البيت قال لرجل من خزاعة يقال له دعبل بن علي فعرَّفه دعبل بنفسه وأن القصيدة له ولما تبين للصوص أنه دعبل ردوا جميع ما أخذوه من القافلة.

ولما وصل دعبل إلى (قم) سأله أهلها أن ينشدهم القصيدة ولما اجتمع الناس في (الجامع) أنشد القصيدة بتمامها فوصلوه بمال وخلع كثيرة واتصل بهم خبر الجبة فسألوه بيعها بألف دينار فأبى عليهم فتنازلوا إلى قطعة منها بألف دينار فأبى عليهم ولما سار من قم تبعه أحداث من أهل قم وسلبوا الجبة فرجع إلى قم وسأل الشيوخ إرجاع الجبة فأبى الأحداث ويئس منها فطلب قطعة من الجبة فأعطوه القطعة مع ألف دينار.

ولما وصل إلى وطنه باع المئة دينار بعشرة آلاف درهم فأصلح بها شؤونه لأنه وجد جميع ما في البيت قد أخذه اللصوص، ووجد جارية له أصابها رمد ذهبت لأجله عينها اليمنى واليسرى محتمل برؤها فلما مسح عيني الجارية بالجبة عاد إليها بصرها بأحسن مما كانت عليه من قبل[١].

وكتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه[٢].

وقد اختلفت نسخ القصيدة ففي البحار: ج١٢، ص٧٣، أنها تبلغ مائة وثلاثة وعشرين بيتاً، وفي معجم الأُدباء ج١١، ص١٠٣ أنّها إلى خمسة وأربعين بيتاً وفي الإتحاف بحب الأشراف: ص إلى ثلاثين بيتاً وفي مطالب السؤول: ص إلى أربعة وعشرين وزاد عليه في نور الأبصار خمسة أبيات.

وفي الحديث عن دعبل كنت بقم فأتاني خبر وفاة الرضى عليه السلام فقلت قصيدتي الرائية في رثائه:

أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذر
أولاد حرب ومروان وأسرتهم بنو معيط ولاة الحقد والوغر

---

(١) عيون أخبار الرضى: ص٣٤٨.
(٢) معجم الأدباء: ج١١، ص١٠٣، ط مصر.

قوم قتلتم على الإسلام أولهم حتى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
أربع بطوس على قبر الزكي به إن كنت تربع من دين على وطر
قبران في طوس خير الأرض كلهم وقبر شرهم هذا من العبر
ما ينفع الرجس من قرب الزكي وما على الزكي بقرب الرجس من ضرر
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت به يداه فخذ ما شئت أو فذر[1]

ولم يروِ أبو الفرج في الأغاني: ج١٨، ص٥٧، البيت الثاني والثالث وزاد على الأول:

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذي يمانٍ ومن بكر ومن مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم كما تشارك أيسار على جزر
قتل وأسر وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر

توفي دعبل في سنة ٢٤٦ في الطيب بلدة بين واسط العراق وبين خوزستان بينها وبين كل واحدة ثمانية فراسخ من ضربة بعكازة مسمومة وقعت على قدمه فمات منها في غده ودفن في تلك البلدة وقيل حمل إلى السوس فدفن بها وهي من بلاد خوزستان فتحت أيام عمر وكانت ولادته سنة ١٤٢ واسمه محمد وقيل حسن وفي نص آخر عبد الرحمن وكنيته أبو جعفر وأبو علي ولقبه (دعبل) بكسر أوله وثالثه وسكون المهملة بينهما

(١) عيون الأخبار: ج٢، باب ٦٥، ص٢٨١، ح٢، ط. الأعلمي.

وهو من اليمانية ينتهي نسبه إلى مزيقياء ولولاء جده رزين لعبد الله بن خلف الخزاعي والد طلحة الطلحات قيل له (الخزاعي).

(انظر تاريخ بغداد: ج٨، ص٣٨٢، والأغاني: ج١٨، ص٢٩ إلى ص٦٠، ولسان الميزان: ج٢، ص٤٣١، ووفيات الأعيان لابن خلكان ومعجم الأدباء: ج١١، ص٩٩ ورجال النجاشي).

وقال علي بن عبد الله الخواتي في رثاء الرضى عليه السلام كما في العيون ص٣٥٩:

يا أرض طوس سقاك الله رحمته ماذا حويت من الخيرات يا طوس
طابت بقاعك في الدنيا وطيَّبها شخص ثوى بسناباد مرموس
شخص عزيز على الإسلام مصرعه في رحمة الله مغمور ومغموس
يا قبره أنت قبر قد تضمّنه حلم وعلم وتطهير وتقديس
فافخر فإنك مغبوط بجثته وبالملائكة الأبرار محروس

وقال العلامة الحجة السيد حسين الطباطبائي آل بحر العلوم(قدّس الله سرّه)، وقد أُصيب ببصره فقصد قبر الإمام أبي الحسن عليه السلام للاستشفاء فعافاه الله ببركة ثامن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم:

كم أنحلتك ـ على رغم ـ يد الغير فلم تدع لك من رسم ومن أثر
أراك من عظم ما تحويه من كرب تجوب قفر فيافي البيد في خطر
أحشاك من لوعة الأشجان مضرمة ودمع عينيك يحكي جدولي نهر
لا غرو أن لا يطيق الصبر ذو نصب مضنى الفؤاد قريح الجفن من سهر
فالصبر يحمد كل الحمد جارعه لكن بشرب مراد الهم غير مري
ما زلت من ألم الأسقام في غصص لم تخلو يوماً من الأحزان والكدر
ولم تخلف دواهي الدهر منك سوى زفير وجد يضاهي لفحة الشرر
فلا ينجيك من بلوى شدائده سوى علي بن موسى خيرة الخير
ذاك الإمام الذي إن صال يوم الوغىً حكى أبا الحسن الكرار خير سري
ومن أقام صروح الدين في حجج بنورها يهتدي الغاوي من الخطر
لو أن لي الْسُناً تثنى عليه لما أحصت غرائب ما فيه من الغرر

* * * * *

يا آية الحق بل يا معدن الدرر يا أشرف الخلق يابن الصيد من مضر
قد جزت فضلاً عن الرسل الكرام كما في الفضل جازت ليالي القدر عن أُخر
وكم بدت لك آيات تشع على سماء فضلك مثل الأنجم الزهر
فلا يضرك قرب الرجس إنّ رسول الله بين أذخر وبين حبتر
لقد تجرعن كأس الموت مترعة من كف أعدى عدو الله ذي البطر
واسيت جدك في أشجان غربته حتى قضيت بفتك الغادر الأشر
لهفي لرزء أبيِّ الضيم حين هوى إلى الثرى دامي الخدين والنحر
لم أنسه وهو عارٍ بالعرا جدلاً أفديه من جَدِلٍ بالترب منعفر

إني لكم يا بني المختار في كرب أذري المدامع من شجو مدى عمري
أشكو إلى الله من دهر أبادكم بالسم طوراً وطوراً بالقنا السمر
متى نرى الدين مرفوعاً دعائمه بخير شبل لكم للدين منتصر

* * * * *

أعظم بأزكى غصون للعلى نبعت من دوحة الفضل والإحسان والفخر
هم خيرة الله من كانت مودتهم أجراً لهادي البرايا سيد البشر
لهم مدى الدهر عن مدح الأنام غنىً بمدح باري الورى في محكم السور
فإنهم لي في الدنيا أعز حمىً وهم رجائي في الأُخرى وهم ذخري

* * * * *

يا نيراً فاق كل النيرات سناً فمن سناك ضياء الشمس والقمر
قصدت قبرك من أرض الغريّ ولا يخيب الله راجي قبرك العطر
رجوت منك شفا عيني وصحتها فامنن علي بها واكشف قذى بصري

للشيخ العالم الكامل الشيخ عبد الحسين نجل العلامة الشيخ أحمد شكر على ما في «الدمعة الساكبة»: ج٢، ص٨٩:

ماذا أطل بعالم التكوين فتجلببت آفاقها بشجون
أقيامة للحشر قامت أم ترى سبع الطباق هوت على الأرضين
أم غاب عن آفاقها بدر الرضى شمس الهداية من بني ياسين
لا غرو إنْ حزن الوجود على فتىً هو علة الإيجاد والتكوين
من معشر صيد بهم رب العلى قد قال للأشياء طراً كوني

لـلَّـه رزء هـد أركـان الـهـدى ... مـن بـعـده قـل لـلـرزايـا هـونـي
حطمت قناة الدين حزناً بعده ... وبكت بقاني الدمع عين الدين
لـلَّـه يـوم لابـن مـوسـى زلـزل ... السبع الطباق فأعولت برنين
يـوم به أشجى البـتـولـة خـائـن ... يـدعـى بعكس الأمر بالمأمون
يوم به أضحى الرضى متجرعاً ... سـمـاً بـكـأس عـداوة وضـغـون
جعلوه في عنب ورمان لكي ... يخفى على علّام كل مصون
أوما دروا أن الخلائق طوعه ... في عالم التكوين والتدوين
لكنه لبى ندا من قد قضى ... مـثـوىً لـه فـي دار عـلـيـيـن
فمن المعزي المرتضى أن الرضى ... نـال الـعـدى مـنـه قـديـم ديـونِ
ومـن الـمـعـزي مـن لـؤيٍّ أُسـرةً ... ألفت شبا بيض وقب بطون
أذوي الحمية من بعين إبائهم ... في كل أبيض مفرق وجبين
هبّوا من الأجداث إنّ عِداكمُ ... خطت لكم ضيماً على العرنين
تركت بني طاها وهم أُمراؤهم ... ما بين مسموم وبين طعين
فبطيبة وثرى الغري وكربلا ... قد غيبت منكم شموس الدين
وبأرض بغداد وسامرا لكم ... حفر بها الإيمان خير دفين
وبطوس قبر ضم أي معظم ... أبكى الأمينَ عليه أيُّ خؤون
للَّه مفتقد عليه تجلبب الد ... ين الحنيف بذلّة وشجون
كم في وثوب الأسد يوم بأمره ... فتكت بعزم الحاجب الملعون
آيات حق قد أبان لجاحد ... كيما يبدل شكه بيقين
يا ضامن الجنات يدخل من يشا ... فيها ومن قد شاء في سجين

خذني إلى مثواك في الأُولى وفي الأُخرى إلى مثواك عليين
وصحيفتي مشحونة وزراً ففضلاً نجّني في فلكك المشحون
وعليك صلّى ذو الجلال مسلّماً ما دمت علة عالم التكوين

للعلامة الحجة آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني نور الله ضريحه:

قد استوى سلطان إقليم الرضا باليمن والعز على عرش القضا
عرش الخلافة الإلهية في عباده فيا له من شرف
لا بل على أريكة الهوية ومركز المشيّة الفعلية
له الولاية المحمدية في سر ذاته على البرية
ولاية التكوين والإبداع أكرم بهذا الملك المطاع
إذ يده العليا يد الأيادي فهو مثال مبدأ المبادي
أسماؤه الحسنى له صفات وهي لذاته تجليات
أعظم ما أحب أن يعرف به في ذاته وفي معالي رتبه
فهو من الكنز الخفيّ الباهر ذاتاً ووصفاً أعظم المظاهر
مقامه الرفيع في أعلى القلم ولوح ذاته صحيفة الحكم
فاتحة الكتاب في الجلالة إذ هو سر خاتم الرسالة
بل نقطة البا هي عين في الرضا فإنه سر أبيه المرتضى
آيات كبريائه والعظمة بينة في الزبر المعظمة
صحيفة الوجود من آياته لطيفة الشهود سر ذاته

ومحكمات الكلمات الباهرة لذاته العليا شؤون ظاهرة
تحكي عن الغيب المصون ذاته تعرب عن شؤونه صفاته
ظهوره ظهور نور النور فلا أتمَّ منه في الظهور
شمس سماء عالم اللاهوت والقمر الزاهر في الناسوت
والجبروت كالمسخرات لأمره في المحو والإثبات
والملأ الأعلى سرادقاته والعرش والسبع العُلى مرقاته
غرته نور رواق العظمه ديباجة الكون بها منتظمه
طلعته مطلع أنوار الهدى ولا ترى لها أُفولاً أبدى
ووجهه قبلة كل عارف ومستجار كعبة المعارف
وفي محياه حياة الأوليا وكيف وهو روح خير الأنبيا
وعينه عين الرضاء بالقضا نفسي لك الفدا يا عين الرضا
ولا تسل عن قلبه السليم إذ لا تنال نقطة التسليم
وهو بما فيه من الجواهر ممثل الكنز الخفيّ الباهر
جل عن الحدود والرسوم ما فيه من جواهر العلوم
وعز شأنه عن المُشاكل في حله لعقدة المَشاكل
مفاتح الغيوب في لسانه مصابح الشهود في بيانه
لسانه عين الحياة الدائمه به مبادئ الحياة قائمه
لسانه ناطقة التوحيد ومنطق التجريد والتفريد
منطقه منطقة الشوارق في الفلك الدوار بالبوارق
يفصح عن مصادر الأمور وكيف وهو مبدأ الصدور

رموز علمه كنوز المعرفه حقائق الدين بها منكشفه
بنور علمه وحسن المنطق يكشف عن سر الوجود المطلق
وفى ببذله العلوم حقها كرامة على من استحقها
كلامه هدى لمن به اهتدى وقوله فصل على من اعتدى
كلامه نور ونور الطور كأنه ظهور ذاك النور
به تجلت لأُولي الأبصار حقائق الأسرار والأنوار
به سمت معاهد العلوم حتى علت على ذرى النجوم
بل جازت السدرة منتهاها تكاد أن تدنو إلى أدناها
كيف وربّانيها عليّ فلا ينال قدرها العلي
علي الرضا سليل المرتضى ومن بكفه مقاليد القضا
عقل العقول في علوّ المرتبة نفس الرسول في سموّ المنقبة
أصل الأصول فهو أسمى شجرة فرع البتول فهو أزكى ثمرة
وباسمه استدارت الدوائر وباسمه استقامت السرائر
وباسمه السامي جرى فلك الفلك وذكره عنوان تسبيح الملك
وذكره تحيى به القلوب وتنجلي بذكره الكروب
هو المثاني بل هو التوحيد هو الكتاب المحكم المجيد
فمن يضاهي شرفاً وجاها روح الوصي المرتضى وطاها
بيضاء موسى هي في يمينه ونور ياسين على جبينه
وآية النور سناء نوره والنور كل النور في ظهوره
في لوح نفسه مقام للرضا عن وصفه تكلّ أقلام الرضا

لقد تفانى في الرضاء بالقضا ... حتى تسامى وتسمّى بالرضا
بل في رضا الباري رضاه فانِ ... بل ذاته بذلك العنوان
بل جاز عن أقصى مراتب الفنا ... حتى تجلى قائلاً (إني أنا)
هو ابن من دنا إلى أدناه ... ما كذب الفؤاد ما رآه
وهو لذلك الفؤاد ثمره ... فأين منه الطور أين الشجره
ترى الملوك سجداً ببابه ... فالعز كل العز في أعتابه
تطوف حول قبره الأملاك ... كأنه المحور والأفلاك
تبكي على محنته وكربته ... وبعده عن داره وغربته
ويل بل الويلات للمأمون ... ويل لذاك الغادر الخؤون
لم يحفظ النبيَّ في سليله ... وتاه في الغيِّ وفي سبيله
خان أمين الله في أمانته ... فهل ترى أعظم من خيانته
أخرجه عن مهبط التنزيل ... إليه بالخداع والتسويل
ولا يحيق المكر أيُّ مكر ... إلا بأهله كما في الذكر
ولاء عهده وجلّ جهده ... في نقض عقده ونكث عهده
فيا لها ولاية مشومة ... كانت لها نتيجة مسومة
وبان من مآثر الإمام ... بأنه أحق بالمقام
فقد بدت في مدة الولاية ... خوارق ليس لها نهاية
وكان ما يبدو من الخوارق ... أمضى على الخصم من البوارق
فازداد ذلك الحقود حسدا ... وإنه نار تذيب الجسدا
فاغتاله بالعنب المسموم ... ويل لذاك الظالم الغشوم

لولا رضاه بالقضاء الجاري لاسودّ وجه الدهر بالبوار
ومادت الأرض بلابتيها وساخت الأرض بمن عليها
قضى شهيداً صابراً محتسبا وهو غريب بل غريب الغربا
تقطعت أمعاؤه بالسمِّ فداه نفسي وأبي وأمي
بكت عليه هاطلات القدس ناحت عليه نفحات الأنس
ناح الأمين وهو ذو شجون مما جنت به يدا المأمون
عليه سيد الورى ينوح حزناً فكيف لا ينوح (الروح)
ناحت عليه الأنبياء والرسل بل العقول والنفوس والمثل
ناحت عليه الحور في الجنان تأسِّياً بخيرة النسوان
بكى عليه ما يُرى ولا يُرى والبر والبحر وأطباق الثرى
وقد بكاه المشعر الحرام والحجر الأسود والمقام
لفقد عزها ومن حماها بعزه عن كل ما دهاها
بل هو عز الأرض والسماء والملأ الأعلى على سواء

للعلامة الحجة ميرزا محمد علي الأوردبادي الغروي:

وافى الربيع يفوح في أزهاره متأرجاً في شيحه وعراره
ونمارق مصفوفة بعراصه كل تبلج سندسي إزاره
والأُكم تبسم في أقاح ثغورها والروض ينفح في شذا أزهاره
الغيث طرز من محبَّر وشيه ما سيطت الأكمام في أزراره
والشيخ صخب في قشور عظاته والصب منهمك بحسو عقاره

وبأنكر الأصوات يهتف زاهد ... قد أرهج الأجواء في أطماره
فإليك عن مستهتر عرف الهوى ... بحجاه إذ ألهاه لحن هزاره
أأصيخ يوماً للعذول ودون ما ... يرتاده مني خزي بواره
والدهر أسلس لي زماماً جامحاً ... من قبل يزلفني إلى استبشاره
والليل غض والنسيم منادم ... هيف الغصون لمنتهى أسحاره
فيه الندامى كل لمياء إلى ... ألمى يهزّ الجمع في أوتاره
والطير تشدو والكؤوس مدارة ... والحقل زاهٍ في شذا أنواره
وتضوع في الأجواء أنفاس الكبا ... عن نشر مضطجع (الرضا) ومزاره
من واجب في اللطف ظل وجوده ... حكم قضاه اللب في مضماره
أما الهدى فولاه من أشراطه ... ومديحه فالذكر من أشطاره
عن رأيه الذهبي في أحكامه ... قلم القضاء يخط في أقداره
وإليه من لدن الحكيم مفوض ... أمر النعيم ومن يحاط بناره
ما العرش إلا قبره فيه استوى ... حتى استقام الدهر في أدواره
فيه النبوة والإمامة والهدى ... ومن المهيمن ملتقى أسراره
الروح يحييها سطا لمعاته ... والحور يكحلها خُطا زُواره
والرسل تستاف العبير بتربه ... ما إن أُنيلت حظوة بجواره
وتقمّ باحته الملائك والورى ... بجناحه كل وفي أشفاره
عنت الوجوه له فتلك خواشع ... بفنائه الأصوات من إكباره
وتود لو تقضي بساحته المدى ... صيد الملوك تجول حول دياره
والروح عند هبوطها وصعودها ... كل يواصل ليله بنهاره

يا دارة الشرف المؤثل مجدها ... طلت الضراح بمشرف من داره
وتحكّ قبّتك السماء بمنظر ... يحكي تجلي ربها بنضاره
جمت مآثره وجلّ ثناؤه ... ندب كيان الدهر من آثاره
قمص الوجود فضيلة من نزره ... والله يعلم ما يرى لكثاره
القاتل المحل الملم بوفره ... والمنقذ المحتار عن أوزاره
قد علم البحر الندى وبجوده ... علم الغمام الشح في مدراره
وبنطفة من سيبه سقت الورى ... حمل العباب الدر في تياره
الشمس إن بزغت فأخمد جذوة ... عند القِرى من ناره ومناره
والبدر إن يشرق فأصغر لمعة ... صدع الفضاء يلوح من أنواره
ألق النبوة لائح عنه وذا ... عبق الخلافة منه حشو إزاره
إن ابن موسى من أرى بفنائه ... موسى الكليم مشرفاً بغباره
فهناك آنس منه في شجر الهدى ... نوراً رآه قبسة من ناره
ولقد تجلى نور طوس في طوى ... وغداة موسى قد هوى لحذاره
وغدا سلاماً للخليل ضرامه ... بعُلىً حواه من عليّ نجاره
حكم الإله له فليس تعدد ... إلا لأحول ضل في إبصاره
الله مطريه فأين بمدحه ... ما عن رضيّ القول أو مهياره
واشتق منه المكرمات بأسرها ... فعلا يحار العقل في إصداره
رمز الحقيقة فهو لو كشف الغطا ... لم تلفِ إلّاه وراء ستاره
من فاته شرف الولاء له فلا ... يعدوه إلا النجح يوم خساره
وزه بهذا الصنع فهو لبارئ ... أبدى سجنجل ذاته بدثاره

لوح المشيّة لم يخطَّ به القضا منذ الخليقة مثل خط عذاره
إنسان عين أبيه وهو المرتضى وأبوه عين الله في أنظاره
وبه استقر العالمون وإن يكن صخب العدو ولجّ في إنكاره
أمناطحاً جبلاً أشمَّ ودون ما حاولت من قول ردى مهذاره
البدر تنبحه الكلاب ولم يكن نبح الكلاب يحط من مقداره
أين الثعالب من ضبارمة الشرى حسب المداجي سبة من عاره
شتان من لبس الخلافة مئزراً ومخلط يخزى بردّ مُعاره

الخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي منقولة من كتابه الذخائر في مدح ورثاء آل الرسول ﷺ:

أقوت معالم دين أنت حاميه وكاد ينسخ ثقل ثانيه
تفضي وقد أصبح الإسلام منطمس الأعلام قد حكمت فيه أعاديه
وعاد فينا غريباً لا نصير له كأنه وهو فرد في مباديه
وإن ديناً أقامته صوارمكم قد قامت اليوم في الدنيا نواعيه
ألست تسمع يابن الصيد دعوته وهل سواك مجيب صوت داعيه
يا حجة الله قد ضاق الخناق بنا فأي هول من الدنيا نقاسيه
جور العدا أم هوان الغاصبين لنا أم طول غيبة مولىً عن مواليه
لقد منينا بما لو مس أيسره رضوى تدكدك وانهدت أعاليه
أكل يوم لكم يابن الزكي دم يطلّ هدراً وما من ثائر فيه
فمن صريع قضى تحت الظُبى عطشاً وفوق عجف المطا سيقت ذراريه

ومن طريد لكم لم يحوه بلد ... ولم يجد ملجئاً في الأرض يحويه
وبين من مات صبراً بعدما سقيت ... بالسم أحشاؤه ويل لساقيه
يا طاوي البيد يرجو نيل مقصده ... أرح بطوس تفز في ما ترجّيه
إنزل وحيِّ بها عني ضريح عليً ... أهل السماوات ما زالت تُحيِّيه
فيه علي بن موسى لم يخب أبداً ... لاجٍ إليه ولا راجٍ أياديه
أبو الجواد ومَن جدوى يديه إذا ... مرّت على ميت الآمال تحييه
أفدي غريباً عن الأوطان قد شحطت ... به النوى عن مغانيه وأهليه
الضامن الخلد في أعلى الجنان لمن ... يزور في طوس مثواه ويأتيه
لم أنس إذ غاله المأمون حيث غدا ... يبدي له غير ما في القلب يخفيه
ألقى مقاليد عهد الملك في يده ... والغدر بابن رسول الله ينويه
ودس بالعنب السم النقيع له ... فبات مضطهداً مما يعانيه
حتى إذا أزف المقدور جاء له ... الجواد والدمع يجري من مآقيه
سرعان ما جاءه من طيبة فغدا ... أبوه يدنيه للنجوى ويوصيه
وكيف يبعد في المسرى عليه مدىً ... لديه سيّان قاصيه ودانيه
لكن جسم حسين بالطفوف ثوى ... عارٍ ثلاثاً ووحش القفر تبكيه
ظمآن لم يروِ عذب الماء غلته ... والسمر تروي نجيعاً من بوانيه
عريان بات بلا غسل ولا كفن ... وما دنا أحد منه يواريه

العلامة الألمعي الشيخ سليمان ظاهر العاملي:

منقولة من كتابه (الذخيرة إلى المعاد في مدح محمد وآله الأمجاد):

عنك الهوى أخذ الشجي فنونه ... ولكم خليٍّ فيك جنّ جنونه
من كان فيك كثيراً في حبه ... فهواك صيَّرني به مجنونه
لك من مواضي اللحظ مرهف صارم ... الله إن جردت عنه جفونه
وإذا هززت قناة قدك لم يكن ... إلا فؤاد المستهام طعينه
لي في الهوى بادٍ وخافٍ في الحشى ... الله إن أظهرت منه كمينه
ما حال من أذكى الغرام ضلوعه ... واستنزف الشوق الممضّ شؤونه
إن حن فوق أراكه ابن أراكة ... شجواً يحن إلى الديار حنينه
وإذا شجاه إلفه أذكى تذكر ... ه لمن قد هام فيه شجونه
ما أن ترنم في فنون لحونه ... إلا وسابق في الشجون لحونه
ومحلَّأً عن ورد أعذب مورد ... لكنّ من فيض العيون عيونه
ما مر ذكر البان منه خاطراً ... في خاطر إلا أمرَّ معينه
وإذا جرى ذكر اللوى هجر الكرى ... وصفاه إن ذكر الصفا وحجونه
كم راح في ليل السليم مرجّماً ... في من نفى عنه الرقاد ظنونه
ويخال مسودّ الدجى ممن يجبّ قرونه وسنا الصباح جبينه
يهوى الغميم وكم له قد راح يستسقي الغمام رذاذه وهتونه
وبمنزل فيه لعلوة دارس ... كم مدمع فيه أذال مصونه

ما زال يسقي روضه من دمعه ... حتى جنى من روضه نسرينه[١]
مستعذبًا أبداً هواه ولم يرد ... في دهره إلا أذاه وهونه
يهوى القوام ولينه ولأجله ... يهوى من الرمح المثقف لينه
ويرى المنى في حبه ولو انه ... في الحب يلقى ذله ومنونه
كم راح ينشد في الغوير أحبة ... هجروا الغوير سهوله وحزونه
ويسائل الأظعان عنه علّه ... يوماً يرى بين الظعون ظعونه
يستعرض البرق اللموح يخاله ... ثغراً جلا من لؤلؤ مكنونه
أو من سيوف الهند مرهف صارم ... خلت الوغى من حده مسنونه
أو أنه نور محا في هديه المو ... لى (الرضى) ليل العمى ودجونه
هو ثامن النقباء من فيهم أقا ... م الله ما بين البرية دينه
وأب لأربعة ولولاهم لما ... وجد الإله على الكتاب أمينه
علم النبي حوى كما في صدره ... من علمه الخافي طوى مخزونه
يرد المحب على الظما سلساله ... وعلى الظما يرد العدو أُجونه
من لا يعي (أخباره) في صدره ... (بعيونها) فليجلُ منه عيونه
كم راع من أسد وما يرحب تحامي ... الأسد تضرى في العرين عرينه
كم معجز من فضله قد راض فيه ... من العدو شماسه وحرونه
ضل الذي قد راح يقرن فيه من ... يأبى الإله بأن يكون قرينه
من كان يقرن في (علي) جده ... العباس فليقرن به (مأمونه)

---

(١) الورد الأبيض.

قل للذي قد ظن يشفي في دم ... منه هراق سقامه وضغونه
ما أنت إلا كالذي من دائه ... بالداء أصبح يستطبّ دفينه
شلت يمين خليفة لم يرع عه ... د الله فيه ولا أبر يمينه
كما راح يبرم عهده مفروضه ... فيه ويحكم في الورى مسنونه
سرعان ما نقضت يداه موثقاً ... في عنقه عقد الإله متينه
لم يكفه أن ضيع العهد الذي ... تخذ الإله كفيله وضمينه
حتى أراه بأكلة العنب الذي ... دسوا به السم النقيع منونه
قد راح متبعاً به من رأيه ... غثّاً وكان به أصاب سمينه
وأراه بحراً زاخراً بحياته ... وبقبره منه أراه (نونه)[1]
ما راقب الجبار فيه وآيه ... ونبيّه ووصيّه وأمينه
بأبي غريباً قد قضى ومشرداً ... عن داره دامي الفؤاد حزينه
إنْ أنَّ من ألم يكاد معظم الأ ... فلاك شجواً أن يئنّ أنينه
قد بات مختلفاً لشيعته ثرا ... ه وكم به كحل المحب جفونه
يا ثامن النقباء هل يرقى امرؤ ... لك مرتقىً أن تكبو الكواكب دونه
يهوى الضراح ضريح قبرك و ... الثريا من ثراه جليّه وكنينه
أنتم سفين للنجاة فضلَّ مَن ... لم يتخذكم للنجاة سفينه
وغدا لكل رزية غرضاً فتىً ... لم يتخذكم للمعاد حصونه
هل كان علم في الأنام وما عزا ... لكم الأنام شروحه ومتونه

---

(١) أشار إلى ما ظهر في القبر من الماء والحوت والحديث ذكرناه في فصل شهادته عليه السلام.

هل كان وارد حوضكم من لم يرد من حبكم سلساله ومعنيه
صلى عليكم من لكم جعل الإما مة والولاية في البرية دينه

الأديب الكامل السيد مهدي الأعرجي رحمه الله:

ما شجاني ذكراي رسما دريسا أقفر البين ربعه المأنوسا
لا ولم تجرِ أدمعي لظعون سار فيها الحادي يسوق العيسا
لا ولا للألى تحمّل فيهم سائق البين للسرى تغليسا
لا ولا للدمى على أظهر الأقتـ ـاب شعت تخالهن شموسا
لا ولا للمدام أشربها صرفاً شمولاً حمية خندريسا
بل بكائي وحسرتي لغريب شرّدوه فحلَّ بالرغم (طوسا)
سيد لو أردت أدنى معا ليه بحصر لكنت أُفني الطروسا
من قبيل بدورهم ينزل الروح يطيل التسبيح والتقديسا
من بهم أسس الوجود إلّه العر ش قدماً فأحكم التأسيسا
آل بيت النبي من قد تسامى قدرهم رفعة فطابوا نفوسا
علمه من علومهم فهو بحر تجتني الناس منه دراً نفيسا
كم له من معاجز باهرات قصرت دونها معاجز عيسى
يابن موسى لا ينقضي لك حزني لك حزني لا ينقضي يابن موسى
لست أنساك حين جرعك الخا ئن بالعهد سمه المدسوسا
قد توليت عهده كارهاً لكـ ـن بدا حقده به محسوسا
وتطلعت في سما الدست بدراً من سعود فرحت تجلو النحوسا

وأتتك القسوس تحتج في الد ين فأفحمت بالجواب القسوسا
قسماً في علو شأنك يابن المصطفى واليمين ليست غموسا
إن يوماً أرداك سم بني العباس فيه قد كان يوماً عبوسا
يا إماماً برفع نعشك خلنا رفع الله للسما إدريسا
شيعت نعشه النفوس ولكن رزؤه شيع الأسى والنفوسا

* * * * *

وفاة
الإمام الجواد عليه السلام

تأليف
السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرم(قدّس سرّه)

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين محمد وعلى عترته الأئمة المعصومين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين:

وبعد فقد روى الفضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام أنه قال: ما من مجلس اجتمع فيه أبرار وفجار فيقومون على غير ذكر الله إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة وروى النوفلي عن الصادق عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما من قوم اجتمعوا في مجلس ولم يذكروا اسم الله ولم يصلّوا على نبيّهم إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم ووبالاً[1].

---

(١) الوافي للملا محسن الفيض: مجلد ٢، جزء٥، ص٢١٦، في باب ذكر الله في كل مجلس.

وفي حديث أبي الصلت الهروي سمعت أبا الحسن علي بن موسى عليه السلام يقول: رحم الله عبداً أحيى أمرنا، فقلت له: وكيف يحيي أمركم، قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا[١].

وروى ابن عياش بالإسناد إلى سلمان الفارسي قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما نظر إلي قال: يا سلمان إن الله لم يبعث رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً قلت قد عرفت هذا من الكتابين، فقال: هل علمت نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة بعدي، قلت: الله ورسوله أعلم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا سلمان إن الله خلقني من صفاء نوره فدعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه وخلق من نوري ونور علي فاطمة فدعاها فأطاعته وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه فسمانا الله بخمسة أسماء من أسمائه فالله المحمود وأنا محمد والله العلي وهذا علي والله فاطر وهذه فاطمة والله الإحسان وهذا حسن والله المحسن وهذا حسين.

ثم خلق من نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماءً مبنية وأرضاً مدحية وهواءً وماءً وملكاً وبشراً فكنا بعلمه نسبحه ونقدسه ونسمع له ونطيع[٢].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ص١٧١.

(٢) الظاهر من قوله فكنّا بعلمه أن تسبيحهم وتقديسهم وكذا طاعتهم لله =

فقال سلمان: يا رسول الله ما لمن عرف هؤلاء فقال: يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم ووالى وليَّهم وتبرأ من عدوهم فهو منا يرد حيث نرد ويسكن حيث نسكن، قال سلمان: قلت يا رسول الله يكون إيمان بهم بغير معرفتهم وأسمائهم وأنسابهم قال: لا يا سلمان.

قلت: يا رسول الله فأنى لي بهم، قال ﷺ: قد عرفت إلى الحسين ثم سيد العابدين علي بن الحسين ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين ثم ابنه جعفر بن محمد اللسان الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله ثم علي بن موسى الرضا لأمر الله ثم محمد بن علي الجواد

= سبحانه لم يكن في عالم الأنوار وإنما هو بعد نشأتهم في عالم الشهود إلا أن الأحاديث الكثيرة أفادت أنهم يسبحون الله ويمجدونه حتى في ذلك العالم ففي أصول الكافي في باب مولد النبي ﷺ أن المفضل بن عمر قال للصادق عليه السلام كيف كنتم في الأظلة فقال عليه السلام: كنا عند ربنا وليس عنده احد غيرنا نسبحه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذي روح غيرنا حتى بدا له في خلق الأشياء فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ثم أنهى علم ذلك إلينا.

وقد أفاد المجلسي(قده) في مرآة العقول: ج١، ص٣٥٦، أن لهم في عالم الأنوار أجساماً مثالية بلا أرواح حيوانية وهو المراد من الأشباح التي نطقت بها الأحاديث فعلى ما أفاده أعلا الله مقامه تكون تلبيتهم لله سبحانه بالطاعة والإقرار بالعبودية والتسبيح والتهليل على الحقيقة بلا تجوّز فيه.

المختار من خلق الله ثم علي بن محمد الهادي إلى الله ثم الحسن ابن علي الصامت الأمين العسكري ثم ابنه الحجة بن الحسن المهدي الناطق القائم بأمر الله.

قال سلمان: قلت يا رسول الله ادعُ الله لي بإدراكهم قال إنك مدركهم وأمثالك ومن تولاهم بحقيقة المعرفة فشكرت الله كثيراً فقلت مؤجل لي أن أُدركهم قال صلى الله عليه وآله اقرأ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾.

قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي وقلت بعهد منك يا رسول الله فقال أي والذي أرسل محمداً إنه بعهد مني وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة وكل من هو منا ومظلوم فينا أي والله ثم ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الإيمان ومحض الكفر محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار ولا يظلم ربك أحداً ونحن تأويل هذه الآية ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[1].

وفي حديث يونس بن ظبيان عن الصادق عليه السلام: إن الله إذا أراد

---

(١) البحار: ج٧، ص١٨١، كبني عن المقتضب.

خلق إمام أُتي بسبع ورقات من الجنة فيأكلها الإمام الذي يكون منه الإمام فتكون النطفة منها فإذا مكث في بطن أمه أربعين يوماً سمع الصوت وإذا مضى عليه أربعة أشهر كتب على عضده الأيمن:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ فإذا سقط من بطن أمه أُوتي الحكمة وجعل له مصباح نور يرى به أعمال العباد[١] ويؤيد بروح من الله مقدسة مطهرة ليست بملك ولم تكن مع أحد إلا مع رسول الله ﷺ والأئمة من أبنائه تسددهم وتوفقهم وهي عمود نور يكون بينهم وبين الله سبحانه[٢]:

ومعنف ما طاب إصلاً لامَني ... بولاء آل المصطفى الأطياب
ويلُ أُمه أوما إني درى أني امرؤ ... منهم علقت بأوثق الأسباب
إني ادخرت ولاءهم ليكون ما ... بيني وبين النار خيرَ حجاب
لا أدلجت في الركائب إذا كن ... في غير واديهم حبست ركابي
أأخاف إن نشرت غداً كتب الورى ... وبمدح حيدر قد ملأت كتابي
أو أنني أخشى الحساب وهوله ... وعلى يديه غداً يكون حسابي[٣]

---

(١) بصائر الدرجات: ص١٢٩.

(٢) البحار: ج٧، ص١٩١، والعيون: ص١١٩.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد والتحرير للعلامة الحلي.

المجلس الأول

في تعريف أمه، وولادته، وأسمائه، وصفاته، والنص عليه

كانت والدة الإمام الجواد عليه السلام، من أهل بيت مارية القبطية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١] اسمها سبيكة[٢] وسماها الرضى عليه السلام، الخيزران[٣] وكنيتها أم الحسن[٤] اشتراها أبوه في مكة وكان معه يزيد بن سليط من ولد زيد بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عليه السلام، الذي أمره الإمام موسى بن جعفر أن يبلغها سلامه[٥] ويقول فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي ابن خيرة الإماء

---

(١) أصول الكافي بهامش مرآة العقول: ج١، ص٤١٢.

(٢) الذخائر في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ص٨٣، للخطيب المصقع الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي.

(٣) روضة الواعظين للفتال: ص٢٠٩.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٦ إيران.

(٥) أصول الكافي في باب النص على الرضا.

الطيبة،[١] الفم، المنتجبة الرحم[٢] ويقول الرضى عليه السلام قدست أُم ولدته خلقت طاهرة مطهرة[٣].

وقد أخذت بمجامع الشرف وحازت أصل الفضل وفرعه ولا بدع في أمهات أوصياء الأنبياء اللاتي صاغهن رب العالمين من طينة طاهرة وكونهن من ماء النزاهة واصطفاهن أوعية زاكية للخلفاء على بريته وتراجمة وحيه بعد انقضاء أمد نبوة رسوله الأمين كيف لا ورسول الله يقول: لم يزل الله ينقلني والأوصياء من ذريتي من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لم يخالطنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر.

ولما علقت الخيزران بأبي جعفر عليه السلام كتبت حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى أخيها الرضى عليه السلام تخبره بأن جاريته الخيزران علقت فأظهر أبو الحسن عليه السلام من مكنون علم الإمامة ومخزون الوصية ما يحار فيه العقل وهو تبصرة لكل يقظان وفي ما كتب إليها: إنها علقت يوم كذا من شهر كذا فإذا ولدته الزميها سبعة أيام[٤].

---

(١) إعلام الورى للطبرسي: ص٢٠٠.

(٢) أصول الكافي في باب النص على الجواد.

(٣) عيون المعجزات: ص١٠٨ النجف.

(٤) الأنوار البهية للشيخ عباس القمي عن الدر النظيم وإثبات الوصية للمسعودي: ص١٨٢، النجف.

ولما قربت منها الولادة أمر أبو الحسن أخته حكيمة بأن تحضر ولادتها وتدخل هي والقابلة البيت على الخيزران وقد وضع فيه المصباح فلما أخذها الطلق طفئ المصباح فلم يبصرا أم الجوادعليه السلام ولم يعرفا ما صنع بها فقلقت حكيمة لذلك واعترتها الدهشة في ما فاجأها[١] وقد فاتها أن الأئمة الهداةعليهم السلام لا يمسهم إلا ذوات مقدسة من حور الجنان.

وبينا هي على هذا وإذا بالنور الإلهي والجمال الربوبي يسطع إلى عنان السماء وعمَّ البيت بأجمعه وأبو جعفر الجوادعليه السلام في الطشت وعليه شيء رقيق كهيئة الثوب[٢] شاخصاً ببصره نحو السماء لأن منادياً يناديه من بطنان العرش يا فلان بن فلان اثبت أنت صفوتي من خلقي وموضع سري وعيبة علمي وأميني على وحيي وخليفتي في أرضي لك ولمن تولاك أوجبت رحمتي ومنحت جناني وحللت جواري وعزتي وجلالي لأُصلين من عاداك أشد عذابي وإن وسعت عليهم من سعة رزقي.

فإذا انقطع صوت المنادي أجابه الإمامعليه السلام وهو واضع يده على رأسه: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم[٣].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٧.

(٢) المصدر.

(٣) البحار: ج٧، ص١٩١، عن بصائر الدرجات.

وإلى قصة الطست والثوب يشير العوني بقوله[١]:

هـذا الـذي إذ ولـدتـه أمـه عاجلها منه حسيباً فابتدر
حتى تفزعن النسا من حولها وقلن هذا هو أمر مبتكر
والولد الطيب قد جلله عنهن مولاه بثوب فاستتر

ثم إن أباه عليه السلام بعد أن قام بوظائف سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الجارية في الأولاد وعمل بها آباؤه من بعده من تحنيكه والأذان في أذنه اليمنى والإقامة في اليسرى وضعه في المهد وأمر أخته حكيمة بملازمة مهده وفي ما رأت من عجائب الإمامة وكرامات الأوصياء شاهدته رافعاً بصره نحو السماء ينظر يميناً وشمالاً ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فراعها ما شاهدته من مولود له ثلاثة أيام ولم تسمع من أبيه أنه الإمام القائم مقامه الناطق بالحكمة صغيراً كما يفوه بها كبيراً ففزعت إلى أخيها الرضى عليه السلام وأخبرته بما شاهدته من هذا المعجز الباهر فعرَّفها أبو الحسن عليه السلام بأن ما تشاهده من الكرامات والآيات البينة أكثر[٢].

ولد عليه السلام بالمدينة المنورة في العاشر من شهر رجب سنة **١٩٥** هـ[٣] فسماه أبوه (محمداً) لما كان يقرأه في الصحيفة النازلة من

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٢.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٧، إيران.
(٣) هذا على رواية ابن عياش كما في مصباح المتهجد للشيخ الطوسي =

السماء من هذا الاسم وكناه بكنية جده الباقر عليه السلام، أبي جعفر عليه السلام حتى إنه لم يخاطبه ولم يكتب إليه إلا بها قال محمد بن عباد كاتب الرضى بخراسان ضمه إليه الفضل بن سهل لم أسمع الرضى يذكر ابنه محمداً إلا بكنيته فيقول: كتب إلي أبو جعفر وكتبت إلى أبي جعفر وهو إذ ذاك صبي بالمدينة وترد كتبه إليه في نهاية الحسن والبلاغة[١].

ولقبه بالجواد والزكي والتقي كما نص عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين[٢] إلا أنه اشتهر بالجواد كما عرف بين الخاصة والعامة بباب المراد لكثرة ما صدر منه من قضاء الحاجات والكرامات ما لاذ به ملهوف إلا برد غلته ولا استغاث به أحد إلا وجده عوناً له ولا قصده مهموم إلا فرج همه فهو

= ومصباح الكفعمي فإن التوقيع الخارج في هذا اليوم من الناحية المقدسة على يد أبي القاسم الحسين بن روح يقول: اللهم إني أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني وابنه علي المنتجب وأتقرب بهما إليك خير القرب، وهناك أقوال أُخر ففي إعلام الورى للطبرسي: ص١٩٩، أنه لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وفي مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٦، لتسع عشرة خلت منه، وفي روضة الواعظين للفتال: ص٢٠٩، قيل للنصف من رمضان وفي وفيات الأعيان لابن خلكان خامس رمضان.

(١) عيون الأخبار للصدوق: ج٢، ص٢٦٦، ط. الأعلمي.

(٢) كفاية الأثر للخزاز القمي: ص٣٠٦، وص٣١٦.

سلام الله عليه غوث اللاجي وغيث الراجي وصريخ المستصرخ ونجعة المرتاد وريّ الصادي:

كهف الورى وغوث كل ملتجي في الضيق والشدة باب الفرج
وباب أبواب المراد بابه والحرز من كل البلا حجابه
وُجوده مصباح أنوار الهدى وَجوده مفتاح أبواب الندى
هو الجواد لا إلى نهاية وجوده غاية كل غاية
هو الجواد بالوجود الساري وجوده مظهر جود الباري
هو الجواد المحض لا لغاية فإنه المبدأ والنهاية
وكل ما في الكون فيض جوده والجود كالذاتي في وجوده
ومن بديع جوده الإبداع فإنه لأمره مطواع
فالمبدعات من معالي همه والكائنات نبذة من كرمه
وجنة النعيم من نعمائه وكيف والجواد من أسمائه[1]

لقد أشرق في يوم ولادته النور الإلهي بين لابتي العالم فأجلى البصائر والأبصار وتأهب اللطف الربوبي للشمول على أُمة الإسلام بعد منصرم أيام الرضى عليه السلام لئلا تبقى الأرض بغير حجة يسد الخلة ويسدد الخطى سنّة الله تعالى في من مضى من أئمة

(١) من أرجوزة لحجة الإسلام آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمه الله وستقرأها في آخر الكتاب بتمامها.

الدين ولن تجد لسنّة الله تحويلاً فصاغه المهيمن سبحانه جوهراً فرداً للإمامة تستفيد الأمة بنوره البهي ونجره الشذي وعلمه الجم وإرشاده المنقذ!

نعم كان هناك أناس تدب فيهم حسيكة النفاق يتحرون الوسائل للنيل من أمر الإمامة والفت في عضد الإمام بما وسعهم من وساوس وشبهات عسى أن ينطلي بعضها على الضعفاء فيكون مبدأً لتسرب الشك إلى عامة الناس فلم يجدوا من أمنيتهم المخفقة إلا الشبهة بعدم الشبه بين الوالد والولد فألجأُوا الإمام الرضى عليه السلام إلى عرض المولود المبارك على القافة[1] لعلهم يتوصلون بهم إلى

---

(١) القافة جمع القائف وهو الذي يتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه ويحكم بالنسب وللقيافة أثر عند العرب ولا خلاف بين علمائنا الإمامية في حرمة تعلمها وتعليمها وأخذ الأجرة عليها وإن اختلفوا بين من ظاهره إطلاق الحرمة كالعلامة في المنتهى والتذكرة والقواعد والتحرير والإرشاد والنهاية وابن إدريس في السرائر والشهيد في اللمعة والسبزواري في الكفاية والمقداد في التنقيح والسيد في الرياض وبين من قيد التحريم بما إذا رتب عليها محرم أو جزم بالإلحاق بها كالشهيد في المسالك والروضة والمحقق الثاني في جامع المقاصد والأردبيلي في شرح الإرشاد والميرزا الكرباسي في المناهج والشيخ المعظم في الجواهر واستظهر صاحب الحدائق عدم التحريم مستنداً إلى هذا الحديث ورده في الجواهر بأنه مع قصوره عن معارضة الإجماع يحتمل أن يكون قوله عليه السلام : ابعثوا أنتم إليهم، لبيان عدم المشروعية لا لدفع التهمة بل لعل ذلك منه لعلمه=

نواياهم السيئة وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فأكْدَت آمالهم وفشل سعيهم فلم تزدد الحجة إلا وضوحاً وبلج الحق إلا بزوغاً!

ففي الحديث عن علي بن جعفر جاء إخوة الرضى عليه السلام إليه وقالوا له: ما فينا إمام حائل اللون وقد كان الجواد عليه السلام مائلاً إلى السمرة، فقال لهم الرضى عليه السلام: إنه ابني قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى بالقافة فبيننا وبينك القافة، فقال: ابعثوا أنتم إليهم فأما أنا

= بصدق القيافة هنا واستظهاراً بما اقترحوه لإثبات الحجة عليهم وإلا فلا يتخيل من له أدنى درية بالشريعة عدم جواز الأخذ بها والعمل عليها على وجه تترتب عليه المواريث والأنكحة وجوداً وعدماً بل مشروعية اللعان أوضح شيء على عدم اعتبار القيافة انتهى.

وأما علماء السنة فيحكي النووي في شرح صحيح مسلم بهامش إرشاد الساري: ج٦، ص٢٢٦، خلافهم في العمل بها فنفاه أبو حنيفة والثوري وإسحاق وأثبته الشافعي وجماهير العلماء والمشهور عن مالك إثباته في الإماء دون الحرائر وفي رواية عنه إثباته فيهما قال ومورد العمل بها فيما لو وطئ المشتري والبائع الجارية في طهر قبل الاستبراء من الأول وجاءت بولد لستة أشهر من وطء الثاني ولدون أربع سنين من وطء الأول فإذا ألحقه القائف بأحدهما لحق وإن أشكل عليه أو نفاه عنه ترك الولد حتى يبلغ فينتسب إلى من يميل إليه منهما وإن ألحقه بهما فمذهب عمر بن الخطاب ومالك والشافعي يترك حتى يبلغ فينتسب إلى من يميل إليه وقال أبو ثور وسحنون يكون ابناً لهما وقال الماجشون ومحمد بن مسلمة المالكيان يلحق بأكثرهما شبهاً انتهى.

فلا ولا تعلموهم لما دعوتموهم إليه فلما جاءوا أقعدونا في البستان واصطف عمومته وإخوته وأخواته وألبسوا الرضى جبة صوف وقلنسوة منها ووضعوا على عنقه مسحاة وأدخلوه البستان كأنه عامل فيها وأحضروا أبا جعفر الجوادعليه السلام وقالوا للقافة: ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا: ليس له ههنا أب ولكن هذا عم أبيه وهذا عمه وهذه عمته وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان فإن أقدامهما واحدة ولما رجع أبو الحسنعليه السلام قالوا: هذا أبوه.

قال علي بن جعفر: فقمت ومصصت ريق أبي جعفرعليه السلام وقلت: أشهد أنك إمامي عند الله فبكى الرضىعليه السلام وقال: يا عم ألم تسمع أبي يقول: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله بأبي ابن خيرة الإماء النوبية الطيبة الفم المنتجبة الرحم[1]. يكون من ولده الطريد الشريد الموتور بأبيه وجده صاحب الغيبة يقال مات أو هلك في أي واد سلك فقال له علي بن جعفر: صدقت جعلت فداك[2].

وجاء في حديث محمد بن إسماعيل الحسني عن الحسن العسكريعليه السلام أن المرتابين قالوا في أبي جعفر إنه من سنيف الأسود مولاه أو من لؤلؤ فأخذوا أبا جعفر والرضى عند المأمون

---

(١) أصول الكافي، ج١، ص١٨٨، ح١٤، طـ. الأعلمي.
(٢) كشف الغمة: ص٢٨٥.

فعرضوه على القافة بمكة وعمر أبي جعفر خمس وعشرون شهراً فلما أدخلوه على القافة في المسجد الحرام وقد احتشد الناس ونظروا إلى النور الإلهي يسطع من أسارير جبهته وقد ارتدى بالإمامة وتقمص بالكرامة خروا لوجوههم وقالوا: ويحكم أمثل هذا الكوكب الدري والنور المنير يعرض على أمثالنا وهذا والله الحسب الزكي والنسب المهذب الطاهر والله ما تردد إلا في أصلاب زاكية وأرحام طاهرة والله ما هو إلا من ذرية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فارجعوا واستقبلوا الله واستغفروا لأنفسكم فعند ذلك نطق الإمام أبو جعفر بلسان فصيح يسمعه كل من حضر وقال: الحمد لله الذي خلقنا من نوره واصطفانا من بريته وجعلنا أُمناء على خلقه ووحيه، معاشر الناس أنا محمد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأنا ابن فاطمة الزهراء وابن محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

أفي مثلي يُشَكّ وعلى أبويَّ يفترى وأُعرض على القافة والله إنني لأعلم بهم أجمعين وما هم إليه صائرون أقوله حقاً وأُظهره صدقاً وعدلاً، علماً أورثناه الله قبل الخلق أجمعين وقبل بناء السموات والأرضين، وأيم الله لولا تظاهر أهل الباطل علينا

وغواية ذرية الكفر وتوثب أهل الشرك والشك والنفاق علينا لقلت قولاً يعجب منه الأولون والآخرون.

ثم وضع يده على فمه وقال: يا محمد اصمت كما صمت آباؤك من قبل واصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون.

ثم قبض على يد رجل إلى جنبه ومشى يتخطى رقاب الناس وهم يفرجون له فلما رأى شيوخ بني هاشم ذلك وسمعوا منه هذه المقالة قالوا: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقال الرضى عليه السلام لما بلغه هذا المجلس: الحمد لله الذي جعل فيَّ وفي ابني محمد أسوة برسول الله وابنه إبراهيم والتفت إلى من كان بحضرته من شيعته وقال: هل علمتم ما رميت به مارية القبطية في ولادتها إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا لا، أنت أعلم يابن رسول الله فخبرنا.

فقال: إن مارية أُهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعها جوارٍ قسمهن على أصحابه وأمسك مارية لنفسه وكان معها خادم يقال له جريح يؤدبها بآداب الملوك وأسلمت على يد رسول الله وأسلم جريح معها وحسن إيمانهما فحسدها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقبلت زوجتان من أزواجه إلى أبويهما يشكين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويذكرن

ميله إلى مارية وتفضيلها عليهن فسولت لهما نفسهما أن قالتا إن (مارية) حملت بإبراهيم من جريح فأقبل أبواهما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالا: لا يحل لنا أن نكتمك ما ظهر لنا من جناية واقعة بك إن جريحاً يأتي من (مارية) الفاحشة العظيمة فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ويحكما ما تقولان، قالا: إنه كذلك وإن جريحاً يفاكه (مارية) في مشربة ويلاعبها ويروم منها ما يروم الرجال من النساء فابعث إليه من يستخبره وأنفذ فيه حكمك[1] فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) إن هذه الفرية على أم إبراهيم زوج الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم رواها الشيخ الجليل الثبت علي بن إبراهيم القمي من علماء الإمامية في القرن الثالث في تفسيره المطبوع في إيران: ص٤٥٣، عن رجال أجلاء ثقات عن زرارة بن أعين قال: سمعت الباقر عليه السلام يقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله حزن عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه إنه ابن جريح القبطي، فبعث النبي علياً ليقتله فخاف منه جريح وتسلق نخلة في بستان فانكشف ثوبه فإذا ليس له ما للرجال فرجع علي عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بما رأى فقال الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت ثم نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ وروى في ص٦٤٠ من التفسير عن الصادق أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عالماً بكذبها ولكنه أراد أن يدفع القتل عن جريح وترجع المرأة عن ذنبها.
وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج٢، ص٤٥٧، كانت لعائشة جرأة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى كان منها في أمر مارية ما كان من الحديث الذي أسرته إلى الزوجة الأُخرى وأدى إلى تظاهرهما عليه فنزل فيهما قرآن يتلى في المحاريب يتضمن وعيداً غليظاً عقيب تصريح بوقوع الذنب انتهى.
هذه هي الحقيقة في أسباب نزول آية الإفك ولكن الأحقاد سترت ذلك =

علياً عليه السلام بأن يمضي إليهما فإن رآهما كما يصفان قتلهما فأخذ علي عليه السلام السيف وقال: يا رسول الله أكون كالسكة المحماة في النار أو الشاهد يرى ما لا يراه الغائب قال صلى الله عليه وآله وسلم: كالشاهد فتسور علي عليه السلام عليهما ودخل المشربة وكانت مارية جالسة مع جريح يؤدبها بآداب الملوك وسمعه يقول لها أعظمي حق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكنّيه وأكرميه ونحو من هذا الكلام فنظر جريح إلى أمير المؤمنين وسيفه مشهر بيده ففزع منه وأتى إلى نخلة في دار المشربة فصعد

= فروى المفسرون والمحدثون من العامة في نزول قصة الإفك بتبرئة المرأة ومنهم البخاري في صحيحه: ج٣، ص٣٣، ومسلم في صحيحه: ج٢، ص٤٥٥، والخازن في تفسيره: ج٣، ص٤٦، والبغوي بهامشه وابن جرير الطبري في تفسيره: ج٣، ص٦٧، بالإسناد إلى عروة بن الزبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعلقمة بن أبي وقاص عن عائشة فالمصدر في جميع أحاديثهم في قصته الإفك عائشة وارتاحوا لتنزيه (صاحبة الجمل) عما قيل فيها ولكن ما أدري ولا المنجم يدري كيف تغافل المسلمون عن نقل هذا الحادث الذي أصبح حديث الأندية وساء ذلك نبي الإسلام لأنه لم يتفق مع مقامه الطافح بالقدسية حتى نزل قرآن يتلى في افتضاح من أشاعه فلم يذكر أحد منهم ما روته عائشة وحكاه عنها أبوها وانفردا بنقله مع شدة حرص المسلمين على حفظ ما لا أهمية له من الحوادث أكلهم تواصوا بالكتمان والعادة تبعده أم أن للقصة تخريجاً آخر غير ما روته عائشة كما عرفت في رواية الثقات من أصحابنا الإمامية وألمح إليه ابن أبي الحديد.

عليها فنزل أمير المؤمنين إلى دار المشربة وكشف الريح عن أثواب جريح فإذا هو ممسوح فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: انزل فأنت آمن فنزل جريح.

وجاء به أمير المؤمنين عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له إن جريحاً ممسوح فصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجهه إلى الجدار وقال حل لهما يا جريح اكشف عن نفسك حتى يتبين غير ما جاءا به ما أجرأهما على الله وعلى رسوله فكشف جريح عن أثوابه فإذا هو خادم ممسوح كما وصف فسقطا بين يدي رسول الله وقالا يا رسول الله التوبة استغفر لنا فلن نعود فقال رسول الله: لا تاب الله عليكما فما ينفعكما استغفاري ومعكما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله قالا: يا رسول الله فإن استغفرت الله لنا رجونا أن يغفر لنا ربنا فأنزل الله تعالى الآية ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾.

قال الرضى علي بن موسى: الحمد لله الذي جعل فيّ وفي ابني محمد أُسوة برسول الله وابنه إبراهيم[1].

يابن الذي بلسانه وبيانه هدي الأنام ونزل التنزيل
عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدومه التوراة والإنجيل

---

(١) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ص١٩٧، طبعة الأعلمي، ورواه عنه في مدينة المعاجز: ص٥١٦ واختصره ابن شهرآشوب في المناقب: ج٢، ص٤٣١.

لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من أبيه بديل
هو مثله في الفضل إلا أنه لم يأته برسالة جبريل[١]

لقد أظهر أبو الحسن أمر ولده أبي جعفر بين أصحابه وأوضح لهم الطريق وهداهم إلى سواء السبيل إلا من انطمست بصيرته وعشا عن نور الحق واغتر بلذائذ الدنيا ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره.

دخل الحسين بن قياما على أبي الحسن الثاني عليه السلام فقال له: تخلو الأرض من إمام قال عليه السلام: لا، فقال الحسين: أيكون فيها اثنان، قال: لا، إلا واحد صامت لا يتكلم فقال: علمت أنك لست بإمام قال عليه السلام: من أين علمت فقال: لأنه ليس لك ولد وإنما هي في العقب قال عليه السلام: والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يولد لي ذكر من صلبي يقوم مثل قيامي يحيي الحق ويمحو الباطل[٢]. فلما ولد أبو جعفر عليه السلام قال عليه السلام لابن قياما: وهب الله تعالى من يرثني ويرث آل داود عليه السلام[٣].

وعرَّفه البزنطي أن ابن النجاشي يسأل عمن يقوم بالأمر بعده فقال له أبو الحسن الإمام ابني وحيث إنه عليه السلام واقف على غامض

---

(١) في مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٥، أنها للمعري.
(٢) رجال الكشي: ص٣٩١، رقم٤٢٦. طـ. الأعلمي.
(٣) بصائر الدرجات.

القضاء ومكنون الوصية وفيها ولادة أبي جعفر عليه السلام وقيامه بالحجة قال أبو الحسن للبزنطي: هل يجترئ أحد أن يقول ابني وليس له ولد[١].

وبعد ولادة أبي جعفر عليه السلام حضر علي بن أسباط وعباد بن إسماعيل عند الرضى عليه السلام «بمنى» وكان في المجلس ولده أبو جعفر فالتفت إليهما وقال هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام أعظم بركة منه على شيعتنا[٢].

وقال صفوان بن يحيى لأبي الحسن عليه السلام: كنا نسألك قبل أن يهب لك الله أبا جعفر فتقول يهب الله لي غلاماً فلقد أقر الله عيوننا به ولا أرانا يومك فإن حدث شيء فإلى من فأشار عليه السلام إلى أبي جعفر الجواد وكان حاضراً فكأنه استصغر سنه فقال له: جعلت فداك هذا ابن ثلاث سنين.

فعرَّفه الإمام بأن الإمامة حيث كانت من المهيمن سبحانه فهو المدبر له فقال في ذلك: وما يضره وقد قام عيسى عليه السلام بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين ولما نهض القوم التفت إلى من حضر وقال عليه السلام: رحم الله المفضل فإنه ليقنع بأقل من هذا[٣].

---

(١) إعلام الورى: ص٢٠٠.

(٢) إرشاد الشيخ المفيد.

(٣) روضة الواعظين للنيسابوري: ص٢٠٣.

ثم إنه عليه السلام يقول لمعمر بن خلاد أجلست أبا جعفر مجلسي وصيرته مكاني فإنّا أهل بيت يتوارث أصاغرنا أكابرنا القذة بالقذة[١].

ويأمر الحسين بن الجهم أن يجرد أبا جعفر فلما أنزعه قميصه نظر إلى شيء بين كتفيه شبيه بالخاتم في داخل اللحم فقال أبو الحسن عليه السلام: كان مثله في هذا الموضع من أبي صلوات الله عليه[٢].

وأما الإمام أبو إبراهيم موسى بن جعفر فعرّف محمد بن سنان ويزيد بن سليط الزيدي من ولد زيد بن علي بإمامة أبي جعفر وقيامه بالحجة بعد أبيه يقول ابن سنان دخلت على أبي إبراهيم قبل مقدمه العراق بسنة وكان ولده علي جالساً بين يديه فقال لي يا محمد ستكون في هذه السنة حركة فلا تجزع ثم عرَّفه بمصيره إلى الطاغية ولكنه لن يصيبه بسوء فأهم ابن سنان أمر الإمامة ومن يقوم بها بعده فقال: جعلت فداك ومن يكون بعدك، قال: من ظلم ابني هذا حقه وجحد إمامته كان كمن ظلم علي بن أبي طالب وجحد حقه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قلت له: لئن مد الله في عمري لأُسلمن له حقه وأُقر بإمامته فقال: صدقت يا محمد يمد

---

(١) إعلام الورى: ص٣٤٣. ط. الأعلمي.

(٢) أصول الكافي في باب النص على الجواد.

الله في عمرك وتسلم له حقه وتقر بإمامته وإمامة من يكون بعده قلت ومن ذاك قال ابنه محمد عليه السلام فقلت: له الرضا والتسليم[١].

وفي حديث يزيد بن سليط لقيت أبا إبراهيم موسى بن جعفر في بعض الطريق ونحن نريد العمرة فقال لي: إني أُؤخذ في هذه السنة والأمر بعدي إلى ابني علي سميّ علي وعلي أما الأول فعلي بن أبي طالب وأما الآخر فعلي بن الحسين أُعطي فهم الأول وحلمه ونصره ووده ودينه ومحنة الآخر وصبره على ما يكره وليس له أن يتكلم إلا بعد موت هارون بأربع سنين يا يزيد إذا مررت بهذا الموضع ولقيته وستلقاه فبشره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك وسيعلمك أنك لقيتني فأخبره عند ذلك بأن الجارية التي يكون منها هذا الغلام من أهل بيت مارية القبطية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله وإن قدرت أن تبلغها سلامي فافعل.

قال يزيد: لما مضى أبو إبراهيم لقيت ابنه علياً عليه السلام فقال: ما تقول في العمرة قلت: فداك أبي وأمي ذاك إليك وما عندي نفقة فقال: سبحان الله ما كنا نكلفك ولا نكفيك فخرجنا حتى إذا انتهينا إلى ذلك الموضع ابتدأني وقال: يا يزيد إن هذا الموضع لكثير ما لقيت فيه جيرتك وعمومتك قلت نعم[٢] ثم قصصت عليه

---

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٤، ط. الأعلمي.

(٢) لقي في هذا الموضع أبا عبد الله الصادق والكاظم والرضى عليهم السلام كما ينص=

الخبر فقال عليه السلام: أما الجارية فلم تجئ بعد فإذا جاءت بلّغتها منه السلام فانطلقنا إلى مكة واشتراها فلم تلبث إلا قليلاً حتى حملت وولدت ذلك الغلام.

قال يزيد وكان إخوة علي يرجون أن يرثوه فعادوني من غير ذنب فقال لهم إسحاق بن جعفر عليه السلام والله لقد رأيته ليقعد من أبي إبراهيم المجلس الذي لا أجلس فيه أنا[١].

ويحدث علي بن سيف عن بعض أصحابنا أنه قال لأبي جعفر الثاني عليه السلام إن الناس يتكلمون عن حداثة سنك، فقال عليه السلام: إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أن يستخلف سليمان وهو صبي يرعى الغنم فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم فأوحى الله إلى داود أن خذ عصا المتكلمين وعصا سليمان واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم فإذا كان من الغد فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة فأخبرهم بذلك داود وقبل القوم فلم تورق إلا عصا سليمان[٢].

وكان محمد بن الحسن بن عمار عند علي بن جعفر يكتب ما سمعه من أخيه موسى بن جعفر عليه السلام وبينما هما في المسجد إذ

= عليه هذا الحديث الذي اختصرناه.

(١) أصول الكافي: ج١، ص١٨٢، ح١٤، ط. الأعلمي.

(٢) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ص٥١٨، الباب ٥.

دخل أبو جعفر محمد بن علي الرضى عليه السلام فوثب علي بن جعفر بلا حذاء ولا رداء فقبل يده وعظّمه فقال له أبو جعفر: اجلس يا عم رحمك الله قال: يا سيدي كيف أجلس وأنت قائم فلما رجع علي إلى مجلسه وبخه أصحابه وقالوا له: أنت عم أبيه تفعل هذا معه فقال: اسكتوا إذا كان الله لم يؤهل هذه الشيبة ـ وقبض عليها ـ وأهل هذا الفتى ووضعه حيث وضعه أُنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون بل أنا عبد له[1]. وحدث الحسين بن موسى بن جعفر قال: كنت عند أبي جعفر بالمدينة وعنده علي بن جعفر وأعرابي من أهل المدينة فسأل الأعرابي عن أبي جعفر فقال له علي بن جعفر: هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الأعرابي: يا سبحان الله إن رسول الله مات منذ مائتي سنة وعمره كذا وكذا وهذا حدث فكيف يكون وصيّه فقال علي: هذا وصي علي بن موسى وهو وصي موسى بن جعفر وموسى وصيّ جعفر بن محمد وجعفر وصيّ محمد بن علي ومحمد وصيّ علي بن الحسين وعلي وصيّ

---

(١) أصول الكافي في باب وصية الرضا إلى ابنه الجواد وعلي بن جعفر جليل القدر عظيم المنزلة شديد الورع وثقه علماء الرجال واعتمدوا على أحاديثه لزم أخاه موسى وكتب عنه ولم يثبت سكناه الكوفة وبلدة قم وإن حكاه الوحيد البهبهاني عن جده المجلسي إلا أن المجلسي الثاني استبعده وجزم بدفنه في المدينة نعم لا إشكال في سكناه (العريض) حتى قيل لولده العريضيون وكان عمره ينوف على المائة بعشرين سنة «رجال المامقاني».

الحسين والحسين وصي الحسن والحسن وصيّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعلي وصيّ رسول الله صلوات الله عليهم أجمعين. ولما دنا الطبيب ليقطع له العرق قام علي بن جعفر وقال: يا سيدي يبدأ بي لتكون حدة الحديد فيَّ قبلك قال: ليهنك ثم فصده ولما أراد أبو جعفر النهوض سوّى علي بن جعفر له نعله حتى لبسها[١].

يابن الذبيح ويابن أعراق الثرى ... طابت أرومته وطاب عروقا
يابن الوصي وصي أفضل مرسل ... أعني النبي الصادق المصدوقا
يا أيها الحبل المتين متى أعذ ... يوماً بعقوته أجده وثيقا
أنا عائذ بك في القيامة لائذ ... أبغي لديك من النجاة طريقا
لا يسبقني في شفاعتكم غداً ... أحد فلست بحبكم مسبوقا
يابن الثمانية الأئمة غرَّبوا ... وأبا الثلاثة شرّقوا تشريقا
إن المشارق والمغارب أنتم ... جاء الكتاب بذلكم تصديقا[٢]

---

(١) رجال الكشي: ص٢٦٩.

(٢) في أعيان الشيعة للسيد الحجة الأمين: ج٤، ص٢٤٦، أنها لعبد الله بن أيوب الخريبي كان منقطعاً إلى الرضى وابنه الجواد عليهما السلام خاطب بها أبا جعفر بعد وفاة أبيه عليه السلام.

المجلس الثاني

في دلائل إمامته ونصائحه

عترة الوحي الذين ابتهجت لهم الدنيا بأنوار الوجود
سادة كانوا وما في الكون من سيد يفضي بأمر لمسود
سبقوا الكون وفيه سبقت لهم الحسنى من الله الودود
ما لهم في الوصف ند أترى لصفات الله يلفى من نديد
قد كفاهم أنهم من نوره خلقوا والناس طراً من صعيد
عاهدوا الله بأن لا ينقضوا كل ما أبرم فيهم من عهود
فقضوا بين سميم وقتيل ومضوا بين طريح وطريد
يا بني الزهراء أنتم عدتي وبكم يكثر إن قلَّ عديدي
بيتكم قصدي ومدحي لكم هو في نظم الثنا بيت قصيدي
أنا قد فزت بألطاف وجو د منكم فوزي بألطاف وجودي
ولكم جهري على سرّي شهيد أنكم ملاك غيبي وشهودي
أنتم المحور من دائرة أكملت قوسي نزولي وصعودي

أنتم حبل اعتصامي إن تكن ... بلغت نفسي إلى حبل وريدي
أنتم مبدأ إيجادي وما ... لسواكم مبدئ الخلق معيدي
تورد الناس على النار فمن ... ضامن لي صدري بعد ورودي
هل أرى برداً من العفو يقي ... أحداً حر لظى ذات الوقود
قد تحملت من الآثام ما ... ساء أحبابي وما سر حسودي
ولقد سوَّد صحفي عمل ... لي لم أتركه حتى أبيضّ فودي
فكأني عندما آتي به ... أنا خافٍ عن رقيب وعتيد
إنني أرجو نجاتي في غد ... بكم لا بركوعي وسجودي
ليس لي إلا ولاكم عمل ... آمن الهول به يوم الوعيد
ما لنقصي جابر غيركم ... يوم تدعو (سقر) هل من مزيد
فإذا أسلمتموني فلمن ... وإذا حدت إلى أين محيدي
أنا لو قطعت إرباً لم أحد ... في ولاكم عن رسومي وحدودي
حزنكم حزني واليوم الذي ... فيه تلفون سروراً هو عيدي[1]

كان الإمام الجواد عليه السلام على نهج سلفه الطاهرين من أئمة الدين في الإحاطة بكل ما يحتاج إليه موقف الإمامة الذي جعله

---

(١) للحجة المحقق الشيخ عبد الحسين الحلي من قصيدة في ولادة الحسين عليه السلام وهي طويلة ذكرت بتمامها في (سوانح الأفكار في منتخب الأشعار): ج٣، مخطوط للخطيب الأستاذ السيد محمد جواد شبر النجفي وذكرناها في ولادة سيد الشهداء عليه السلام.

الله تعالى محوراً لأحكام الدين وحدوده وفرائضه وسننه والأخلاق الكريمة وما فيها من مصالح ومناجح وما في الملكات الرذيلة من مساقط وموبقات وما في أسرار الكون من حكم وبدائع وما في العالم العلوي والسفلي من دلائل وعجائب وما يعتور العوالم كلها المكتشفة وغيرها من تطور وتغيُّر كل ذلك بإقدار من المهيمن جل شأنه فإنه لا يقيض أي أحد لتسنّم ذلك العرش الرفيع إلا ويمنحه الحيطة بجميع شؤون ما تحت نفوذه التكويني والتشريعي وهذا ما يقتضيه جعل الإمام حلقة الوصل بين المولى سبحانه وبين أجزاء العوالم المستمدة من فيضه الأقدس فمن المستحيل أن يمر فيض من المبدأ إلى المنتهى وليس للإمام وقوف عليه مع فرض كونه واسطة في إجراء ذلك الفيض الإلهي وهذا معنى ما ورد في الأحاديث إذا ولد الإمام رفع له عمود نور يرى به أعمال الخلائق وما كان ويكون.

وقد أشار أبو جعفر الجواد عليه السلام إلى هذا حين قال له عمر بن فرج الرخجي وكان معه على شاطئ دجلة إن شيعتك تدعي أنك تعلم كل ما في دجلة من الوزن فقال عليه السلام: يقدر الله أن يفوض علم ذلك إلى بعوضة من خلقه أم لا فقال له عمر: نعم يقدر فقال عليه السلام: أنا أكرم على الله تعالى من بعوضة ومن أكثر خلقه[1].

---

(١) عيون المعجزات: ص١١٣، للشيخ عبد الحسين بن عبد الوهاب من أهل القرن الخامس.

ولما أخبر أُم جعفر بما فاجأ بنت المأمون مما يعتري النساء عند العادة قالت له لا يعلم الغيب إلا الله قال عليه السلام وأنا أعلمه من علم الله[١] والتشكيك في علمهم بالغيب إما من جهة البخل في الفيض الربوبي أو من جهة عدم قابليتهم لذلك والشح لا يعتري ذاته القدسية ولا مانع من قابلية تلك الذوات الطاهرة بنص الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من شمول الكرم الإلهي لهم بإيقافهم على أمر الأولين والآخرين وما في السموات والأرضين بحيث يكون جميعها نصب عينه وتحت قبضته[٢].

فلا بدع حينئذ إذا صدر من أبي جعفر الجواد ما يبهر العقول من دون أن يدرس علماً أو يصحب عالماً فإنه وراثة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

كما قال الإمام الصادق إنا ورثنا رسول الله ولم يكن فرق بيننا وبينه إلا في النبوة والأزواج ولما أخبر أبو جعفر الجواد عليه السلام راعي الغنم بما كان يحيفه عليها قال له: من أين علمت ذلك فقال له: نحن خزان الله على علمه وعيبة حكمته وأوصياء أنبيائه

---

(١) البحار: ج١٢، ص١٢٩، عن مشارق الأنوار للبرسي.
(٢) مختصر البصائر: ص١٠١، عن الصادق عليه السلام.
(٣) المحتضر: ص٢٠.

وعباد مكرمون[١].

وإليك ما وجدناه في الزبر من آيات إمامته منها ما يحدث عنه بنان بن نافع قال: سألت الإمام الرضى عليه السلام عن الإمام بعده فقال: من يدخل عليك من هذا الباب فهو الحجة من الله بعدي وبينا هو على هذا إذ دخل أبو جعفر الجواد عليه السلام فابتدأ الكلام وقال: يابن نافع إنا معاشر الأئمة إذا حملته أمه أربعين يوماً يسمع الصوت وإذا أتى عليه أربعة أشهر رفع الله له أعلام الأرض وقرب له ما بعد عنه حتى لا يعزب عنه حلول قطرة غيث نافعة أو ضارة وإن قولك لأبي الحسن من الحجة بعدك فالذي حدثك عنه أبو الحسن هو الحجة عليك فعندها قال الرضى عليه السلام: يابن نافع سلِّم له وأذعن بالطاعة فروحه روحي وروحي روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

ودخل علي بن أسباط على أبي جعفر الجواد عليه السلام وكان خماسياً[٣] فجعل يتأمل صفاته وينظر إلى رأسه وقدميه ليصفهما إلى أصحابه بمصر وعلم الإمام بما أضمره في نفسه فأبان له

---

(١) مدينة المعاجز: ص٢٦٢، ح٩٦، طـ. الأعلمي.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٥.

(٣) في تاج العروس: ج٤، ص١٤١، عن ابن شميل يقال رباعي لمن بلغ أربعة أشبار وقال الليث الخماسي والخماسية من الوصائف لمن كان طوله خمسة أشبار ولا يقال سداسي ولا سباعي إذا بلغ ستة أشبار أو سبعة لأنه رجل.

الحقيقة بجلي البرهان فقال: يابن أسباط إن الله أخذ في الإمامة كما أخذ في النبوة فقال سبحانه عن يوسف ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ وقال تعالى عن يحيى ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[1].

واجتمع محمد بن ميمون مع الرضى بمكة قبل خروجه إلى خراسان فقال له: إني أريد الذهاب إلى المدينة فاكتب معي كتاباً إلى أبي جعفر، فتبسم وكتب إليه فلما وصل المدينة ودخل دار الرضى أخرج موفق الخادم أبا جعفر يحمله من المهد فناوله ابن ميمون الكتاب فأمر عليه السلام الخادم أن ينشره بين يديه فنظر فيه ثم قال لمحمد: ما حال بصرك فأخبره بأن العلة أصابت عينيه وأذهبت بصره فاستدناه ومر يده المباركة على عينيه فعاد بصره من وقته كأصح ما كان.

وشكا إليه إسماعيل بن عباس الهاشمي ضيق المعاش فرفع المصلى وأخذ من التراب سبيكة ذهب ودفعها إليه فكان وزنها ستة عشر مثقالاً[2].

وكان محمد بن حمزة الهاشمي عند أبي جعفر عليه السلام فأصابه العطش فنظر في وجهه وقال له: أراك عطشاناً، قال: نعم، فأمر الإمام غلامه بأن يسقيه ماءً فاغتم الهاشمي لما عرف من عزمهم

---

(١) البحار: ج٧، ص٢٠٧، عن كنز الكراجكي.

(٢) الحديثان في الخرائج للراوندي: ص٥٣، و١٠٥.

على سقي أبي جعفر شراباً مسموماً فلما جاء الغلام بالماء أخذه أبو جعفر وشرب منه أولاً ثم ناوله الباقي فشرب محمد بن حمزة وبعد ذلك عطش مرة أُخرى فدعا أبو جعفر بالماء وشرب منه أولاً ودفع الباقي إلى محمد بن حمزة فشرب فكان محمد الهاشمي يقول بعد ذلك أظن أبا جعفر يعلم ما في النفوس كما تقول الرافضة[١].

وقال أبو هاشم الجعفري دخلت على أبي جعفر الثاني ومعي رقاع ثلاث غير معنونة فاشتبهت علي واغتممت لذلك فتناول رقعة وقال: هذه من الريان بن شبيب وأخذ الثانية وقال: هذه من محمد بن حمزة وقال في الثالثة: هذه رقعة فلان فبهتّ فنظر إليّ مبتسماً. يقول أبو هاشم كلّمني جمّال أن أسأل أبا جعفر ليدخله في بعض أموره فدخلت عليه ورأيته يأكل مع جماعة فلم أُكلمه فأمرني بالأكل معهم ثم التفت إلى غلامه وقال: انظر الجمال الذي أتانا أبو هاشم من أجله فضمه إليك وسأله أبو هاشم أن يدعو الله بأن يصرفه عن أكل الطين وكان مولعاً به فسكت عنه وبعد أيام قال له قد أذهب الله عنك أكل الطين[٢].

وقال عمران بن محمد الأشعري دخلت على أبي جعفر فقلت

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٥.

(٢) إعلام الورى للطبرسي: ص٢٠٢.

له إن أُم الحسن تقرأك السلام وتسألك ثوباً من ثيابك تجعله كفناً لها فقال عليه السلام قد استغنت عنه فلم يهتدِ إلى معناه حتى ورد عليه الخبر بوفاتها[١].

وحدث الحسن بن علي أن رجلاً جاء إلى أبي جعفر وقال له: أدركني يابن رسول الله إن أبي مات فجأة وعنده ألف دينار ولا علم لي بها ولي عيال كثير فقال عليه السلام: إذا صليت العتمة فصلِّ على محمد وآله مائة مرة يخبرك به ففعل الرجل ما أمره به فرأى أباه في المنام يشير إلى المال فلما أخذه قال له: يا بني اذهب به إلى الإمام وأخبره بقصتي فإنه أمرني بذلك فلما انتبه الرجل جاء بالمال إلى أبي جعفر وهو يقول الحمد لله الذي أكرمك واصطفاك[٢].

وحدث علي بن خالد قال كنت «بالعسكر»[٣] فجيء برجل من الشام يقال فيه إنّه متنبِّئ فسألته عن قصته فقال: كنت أعبد الله في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على عبادة ربي تعالى إذ رأيت شخصاً يقول لي قم فقمت معه ومشى بي قليلاً وإذا أنا في مسجد الكوفة

---

(١) عيون المعجزات: ص١٣٣.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٥.

(٣) اسم سر من رأى.

فصلينا فيه ثم خرجنا نمشي قليلاً وإذا نحن في مسجد الرسول ﷺ ثم خرجنا وإذا نحن بمكة فطفنا بالبيت وخرجنا فإذا أنا في موضعي بالشام وغاب عني فبقيت متحيراً لا أعرف من الشخص ولمّا حال الحول أقبل عليَّ ذلك الشخص وفعل معي كما فعل في العام الماضي فلما أراد مفارقتي قلت له أسألك بحق الذي أقدرك على ما رأيت إلّا أخبرتني من أنت فقال: أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر صلوات الله عليهم فحدثت بذلك وأُخبر محمد بن عبد الملك بن الزيات[1].

فأخذني وكبلني كما ترى وادعى علي محالاً فرفع قصته علي ابن خالد إلى ابن الزيات فوقع على ظهرها قل للذي أخرجك من

---

(١) كان محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة الزيات من قرية تحت بغداد يقال لها جيلان وتعرف بالدسكرة وقيل له الزيات لأن جده أبان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد وكان أديباً شاعراً كاتباً وزر للمعتصم والواثق والمتوكل وكان شديد القسوة والغلظة صنع تنوراً من حديد رؤوس مساميره إلى داخل قائمة مثل المسالّ فإذا غضب على أحد عذبه بهذا التنور ولما غضب عليه المتوكل سلمه إلى إيتاخ أمير الشرطة فألقاه في هذا التنور وبقي أياماً ثم أخرجه وضرب على بطنه وظهره حتى مات فقيل أحرقت جثته وقيل دفعها إلى أولاده فدفنوه وذلك لأحد عشر من ربيع الأول سنة ٢٣٣، ترجمه في البداية: ج١٠، ص٣١١، والنجوم الباهرة: ج٢، ص٢٧١، وفهرست ابن النديم: ص١٧٧، ومروج الذهب: ج٢، ص٣٧٠.

الشام في ليلة إلى الكوفة ومنها إلى المدينة ثم إلى مكة وإلى الشام أن يخرجك من الحبس فحزن ابن خالد لما قرأ من تعنته وعناده وبكر في الغد إلى الحبس ليأمره بالصبر فوجد الحرس في هرج وهم يقولون لقد فقد من الحبس الرجل المحمول من الشام فلا يدرى أخسفت به الأرض أم خطفه الطير وكان علي بن خالد زيدياً فاعترف بالإمامة وحسن اعتقاده[١].

وحدث عبد الله بن رزين قال: كنت مجاوراً بمدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان أبو جعفر عليه السلام يأتي كل يوم مع الزوال إلى المسجد فينزل في الصحن ويصير إلى قبر رسول الله ويرجع إلى بيت فاطمة فيخلع نعليه ويقوم فيصلي فجرى في نفسي أنه إذا نزل آخذ من التراب الذي يطأ عليه فجلست في ذلك اليوم أنتظره لأفعل ما أردت فلما أن كان وقت الزوال أقبل على حمار له فلم ينزل في الموضع الذي كان ينزل فيه ونزل على صخرة بباب المسجد ثم دخل فسلم على رسول الله ورجع إلى المكان الذي يصلي فيه فصلى في نعليه ففعل ذلك فقلت في نفسي إنه لم يتهيأ

---

(١) اشتهرت هذه القصة بين العلماء وممن رواها الكليني في أصول الكافي في باب النص على الجواد والمفيد في الإرشاد والاختصاص وابن شهرآشوب في المناقب والطبرسي في إعلام الورى والفتال في روضة الواعظين والراوندي في الخرائج والصفار في بصائر الدرجات وفي مدينة المعاجز عن ثاقب المناقب.

لي ههنا ولكن أذهب إلى الحمام فآخذ من التراب الذي يطأه فسألت عن الحمام الذي يدخل فيه فقيل لي بالبقيع لرجل من ولد طلحة فتعرفت اليوم الذي يدخل فيه وصرت إلى باب الحمام وجلست إلى الطلحي أُحدثه وأنا أنتظر مجيئه فقال الطلحي إن أردت دخول الحمام فادخل فإنه لا يتهيأ لك بعد ساعة لأن ابن الرضا يريد الدخول فيه ولا يجوز أن يدخل معه غيره قلت ومن ابن الرضا قال رجل من آل محمد له ورع وصلاح فبينا أنا كذلك إذ أقبل ومعه غلمان وبين يديه غلام معه حصير فأدخله المسلخ وبسطه ووافى فسلم ودخل الحجرة على حماره ودخل المسلخ ونزل على الحصير فقلت للطلحي هذا الذي وصفته بما وصفت من الصلاح والورع فقال يا هذا ما فعل كهذا إلا في هذا اليوم فقلت في نفسي هذا من عملي أنا جنيته ثم قلت في نفسي أنتظره حتى يخرج فلعلي أنال ما أردت إذا خرج فلما خرج وتلبس دعا بالحمار فأُدخل المسلخ وركب من فوق الحصير وخرج فقلت في نفسي والله آذيته ولا أعود أروم ما رمت منه أبداً وصحّ عزمي على ذلك فلما كان وقت الزوال من ذلك اليوم أقبل على حماره حتى نزل في الموضع الذي كان ينزل فيه في الصحن ودخل فسلم على رسول الله ﷺ وجاء إلى الموضع الذي كان يصلي فيه في بيت فاطمة عليها السلام وخلع نعليه وصلى صلوات الله عليه وعلى آبائه[1].

---

(١) أصول الكافي في باب مولد الجواد الحديث: ٢.

وقال إسماعيل بن مهران لما خرج أبو جعفر عليه السلام من المدينة في الدفعة الأولى قلت له جعلت فداك إني أخاف عليك من هذا الوجه فإلى من الأمر من بعدك فكرَّ بوجهه إليَّ ضاحكاً وقال ليست الغيبة حيث ظننت في هذه السنة ولما خرج الثانية إلى المعتصم صرت إليه وقلت جعلت فداك أنت خارج فإلى من الأمر بعدك فبكى حتى اخضلت لحيته ثم التفت وقال عند هذه يخاف علي والأمر بعدي إلى ابني علي[١].

وحدث عمر بن زيد أنه سأل أبا جعفر عن علامة الإمام فقال إذا فعل هكذا ووضع يده على صخرة فبان أصابعه فيها يقول ورأيته يمد الحديد من غير نار ويطبع بخاتمه الحجارة[٢].

وحبس المأمون أبا الصلت بعد موت الرضا فبقي سنة وضاق عليه فدعا الله بمحمد وآله أن يفرج عنه فلم يشعر إلا وأبو جعفر داخل عليه الحبس وهو يقول ضاق صدرك يا أبا الصلت قم واخرج ثم ضرب بيده المباركة على القيود ففكها وأخرجه من

---

(١) أصول الكافي: ج١، في باب النص أبي الحسن الثالث، ص١٨٩، الحديث ١، ط. الأعلمي

(٢) مدينة المعاجز: ص٥٢٤.

الحبس أمام الحرس وهم لا يتكلمون وقال له أمضِ في ودائع الله فإنك لا تصل إليه ولا يصل إليك أبداً[١].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ص٣٥٤، وروضة الواعظين: ص١٩٨، وكشف الغمة: ص٢٧٨، وأبو الصلت كما في تاريخ بغداد: ج١١، ص٤٦، هو عبد السلام بن سليمان بن أيوب بن ميسرة مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي رحل في طلب الحديث إلى البصرة والكوفة والحجاز واليمن وبغداد وفي تهذيب التهذيب: ج٦، ص٣١٩، سكن نيسابور وخدم علي ابن موسى الرضى عليه السلام وكان موسراً يكرم المشايخ فيحدثونه ومما رواه عنهم الحديث الصحيح الذي رواه غير واحد وهو أنا مدينة العلم الحديث وكان يقول كلب للعلوية خير من بني أمية جميعاً فقيل له إن فيهم عثمان قال وفيهم عثمان اهـ.

ولشدة تشيعه وموالاته لأهل البيت طعن بعض العامة في أحاديثه كما هو ديدنهم مع من ثبت على الحق ولا ذنب له إلا الموالاة لأمير المؤمنين وولده المعصومين عليهم السلام فيقول ابن عدي كما في تهذيب التهذيب له مناكير في فضل أهل البيت وهو متهم فيها ويضرب أبو زرعة من يحدث عنه ولم يوثقه النسائي ويقول السمعاني إنه رأس مذهب الرافضة وينص الدارقطني والعقيلي على أنه رافضي خبيث ومهما أراد هؤلاء الحط من قدر ولي الله وصاحب سر الإمام الرضا عليه السلام فلم يواتهم الدهر على بغيتهم كيف ويأبى الله إلا أن تعلو كلمة الحق وتتقهقر دعوة الباطل فأجرى سبحانه الحقيقة على لسان المنحرفين عن أئمة الدين ليكون أدحض للحجة فيحكي ابن حجر عن ابن معين أنه صدوق ثقة إلا أنه يتشيع وفي تقريب التهذيب: ص٣٢٥، أنه صدوق له مناكير وكان يتشيع ولم يطعن له الخطيب البغدادي في صدقه ووثاقته ولا غمز فيه الحافظ الخزرجي في خلاصة=

. . . . . .

= تذهيب تهذيب الكمال: ص٢٠١، وفي ميزان الاعتدال للذهبي أنه رجل صالح إلا أنه شيعي وفي تاريخ بغداد للخطيب: ج١١، ص٤٦، كان صاحب قشافة ومن الآحاد المعدودين في الزهد قدم (مرو) أيام المأمون فأكرمه وجمع بينه وبين بشر المريسي فكان لأبي الصلت الظهور عليه وعلى أهل الأهواء المرجئة والجهمية والزنادقة والقدرية وكان لا يذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالجميل ولكن عنده أحاديث يرويها في المثالب.

وأما علماء الإمامية فلم تخفَ على المحققين منهم هذه الظاهرة فيقول الشهيد الثاني في حواشيه على الخلاصة كان الرجل مخالطاً للعامة راوياً لأخبارهم فلهذا التبس أمره على الشيخ رحمه الله فعده في الرجال من العامة وتبعه العلامة في القسم الثاني من الخلاصة ومثله كثير من الرجال كابن إسحاق صاحب السيرة والأعمش وغيرهم ولم يتباعد عن الإذعان بوثاقته وتشيعه أبو عمر الكشي والسيد ابن طاووس والتفريشي والمجلسي وقال الوحيد البهبهاني الأخبار الصادرة في العيون والأمالي صريحة في كونه من خواص الشيعة وفي (عيون الرجال) للسيد حسن الصدر أنه ثقة صحيح الحديث وفي رجال أبي علي الحائري كان ابن شهرآشوب يقول: الذي أعتقده أن أبا الصلت إمامي المذهب وذكره شيخ الطائفة الشيخ محمد طه نجف في قسم الثقات من اتقان المقال وقال حكي أن أحمد بن سعيد الرازي يقول فيه: إنه ثقة مأمون على الحديث إلا أنه يحب آل الرسول وهو دينه ومذهبه قال رحمه الله:

هذه من سهامهم إحداها وعلى هذه فقس ما سواها

وشيخنا الحجة الشيخ عبد الله المامقاني ذكر في تنقيح المقال أنه صاحب سر الرضا عليه السلام وخاصته وأورد من الأخبار الدالة على إماميته وفي سفينة=

وحدّث ابن أرومة قال: حملت إلي امرأة شيئاً من الحلي والدراهم والثياب على أن أبعثه إلى أبي جعفر عليه السلام ولم أسألها عن أنّ لغيرها فيه شيء لأني كنت متيقناً بأنه لها فحملت ذلك إلى المدينة مع بضاعات لأصحابنا وكتبت بعثت إليك من قبل فلانة كذا ومن قبل فلان كذا فجاء الجواب قد وصل ما بعثت به من قبل فلان والمرأتين تقبل الله منك ورضي عنك وجعلك معنا في الدنيا والآخرة ولما رأيت ذكر المرأتين شككت أنه غير كتابه لأني على يقين بأن كله للمرأة التي جاءت به فلما وصلت إلى البلاد جاءتني المرأة تسأل عن وصول ما كان لها ولأختها وعرفتني بما هو مختص بها فحمدت الله وزال ما توهمته.

قال محمد بن سهل بن اليسع كنت مجاوراً بمكة فصرت إلى المدينة ودخلت على أبي جعفر الثاني وأردت أن أسأله كسوة فلم يتيسر لي ذلك فعزمت على أن أكتب له ثم دخلت المسجد على أن أُصلي ركعتين وأستخير الله على ذلك فإن رجحت الاستخارة وإلا خرقت الكتاب ثم إني عدلت عن ذلك وخرقت الكتاب

= البحار للشيخ عباس القمي: ج٢، ص٣٩، ما يدل على صلاحه وتشيعه وحسن اعتقاده بأئمة الدين توفي كما في خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ص٢٠، سنة ٢٢٦ وقبره على ما في سفينة البحار بالقرب من مشهد الرضا وله مشهد كبير يزار ويتبرك به وينسب له موضع في قم قرب الموضع المعروف بدرب الري.

وخرجت من المدينة فبينا أنا سائر إذ رأيت رجلاً معه ثياب في منديل وهو يتخلل القطار يسأل عن محمد بن اليسع القمي فانتهى إلي فقال إن مولاك بعث بهذا إليك قال أحمد بن محمد بن عيسى فقضى الله أنني غسلته حين مات وكفنته بها.

وروى صالح بن محمد بن صالح بن داود البعقوبي أن الإمام لما خرج لاستقبال المأمون إلى ناحية الشمال أمر أبو جعفر أن يعقد ذنب دابته وكان اليوم صائفاً لا يوجد الماء فيه فقال بعض من حضر معه إنه لا عهد له بعقد ذنب البرذون في هذا الموضع فما مررنا إلا يسيراً حتى ضللنا الطريق ووقعنا في وحل كثير فأصابنا منه ما غيَّر ثيابنا ولم يسلم إلا أبو جعفر عليه السلام[1].

ويحدث إبراهيم بن سعيد قال: كنت جالساً عند محمد بن علي الجواد إذ مر بنا فرس أنثى فقال عليه السلام: هذه تلد الليلة فلواً أبيض الناصية في وجهه غرة فاستأذنته ثم انصرفت مع صاحبها فلم أزل أحدثه إلى الليل حتى أتت فلواً كما وصف فأتيته فقال: يابن سعيد شككت في ما قلت لك أمس؟ إن التي في منزلك حبلى بابن أعور فولدت المرأة والله محمداً وكان أعور[2].

وقال موسى بن القاسم شاجرني رجل من أصحابنا يقال له

---

(١) الخرائج: ص٥٣، وص١٠٤.

(٢) البحار: ج١٢، ص١١٣، عن النجوم.

إسماعيل في أبي الحسن الرضا فقال كان يجب على أبي الحسن أن يدعو المأمون إلى طاعة الله فلم أدرِ ما أُجيبه فانصرفت وأويت إلى فراشي فرأيت أبا جعفر محمد بن علي في منامي فقلت له جعلت فداك إن إسماعيل يسألني أنه كان يجب على أبيك الرضا أن يدعو المأمون إلى طاعة الله فلم أدرِ ما أجيب فقال عليه السلام: إنما يدعو الإمام إلى الله مثلك ومثل أصحابك ممن لا يتقيهم فانتبهت أحفظ الجواب من أبي جعفر عليه السلام وخرجت إلى الطواف فلقيني إسماعيل فقلت ما حفظته فكأني ألقمته حجراً ولما كان من قابل أتيت المدينة فدخلت على أبي جعفر فأجلسني موقف الخادم ولما فرغ من صلاته قال إيه يا موسى ما الذي قال لك إسماعيل بمكة في العام الماضي حيث شاجرك في أبي الرضا عليه السلام فحكيت له ما قال لي في الرؤيا وما قلته لإسماعيل وأنه لم يحر جواباً[1].

ورأى أحمد بن علي بن كلثوم السرخسي رجلاً من أصحابنا يعرف بأبي زينب فسأله عن الحكم بن بشار المروزي والأثر الذي في حلقه فعرَّفه بأنه رأى في حلقه شبه الخط كأنه أثر الذبح وسأله عنه مراراً فلم يخبره فقال له أبو زينب كنا سبعة نفر في حجرة واحدة ببغداد في زمان أبي جعفر الثاني فغاب الحكم من عند العصر ولم يرجع تلك الليلة وفي جوف الليل جاءنا توقيع من أبي

---

(١) مدينة المعاجز: ص٢٧٠، ح١١٢، طـ. الأعلمي.

جعفر عليه السلام: إن صاحبكم الخراساني مذبوح مطروح في لبد في مزبلة كذا وكذا فاذهبوا وداووه بكذا وكذا فذهبوا إلى المكان الذي وصفه فوجدوه كما وصفه الإمام فأخذوه وداووه بما أمر به فبرئ وكان من قصته أنه تمتع في دار قوم فعلموا به فذبحوه ولفوه في لبد وطرحوه في المزبلة وكان أحمد من المنكرين للرجعة وبهذه القصة رجع عما يستنكره[1].

ويحدث ميسر بن محمد بن الوليد بن زيد أنه أتى دار الجواد عليه السلام فوجد فيها أناساً كثيرين ورأى مسافراً بمعزل عنهم فجلس معه إلى أن زالت الشمس فقام فصلى النوافل والظهر ثم العصر وبعد أن فرغ رأى أبا جعفر وراءه فقام إليه وسلم عليه وقبل يديه ورجليه وجلس فقال له: ما الذي أقدمك يا ميسر وكان في نفسه شك من إمامته ثم قال له: سلم فقال ميسر: قد سلمت فقال عليه السلام: سلم، قال: قد سلمت، قال عليه السلام: ويحك سلم وتبسم في وجهه فعندها انتبه من غفلته وأبصر ألق الحق فقال له: سلمت إليك يابن رسول الله ورضيتك إماماً يقول والله لقد جلا عني الغم وأزال ما في قلبي من المرض في إمامته حتى لو اجتهدت أن أروم الشك فيه لما وصلت إليه ثم عدت من الغد فلم أر أحداً وأنا أتوقع أن يأتي أحد فضاق ذلك علي واشتد الحر والجوع

---

(١) رجال الكشي: ص٣٥١.

وأخذت أشرب الماء لأطفئ حر ما أجده فبينا أنا كذلك إذ أقبل نحوي غلام يحمل خواناً فيه طعام بألوان وغلام آخر معه طست وإبريق فقال لي إن مولانا يأمرك أن تغسل يدك وتأكل ففعلت وأقبل أبو جعفر فقمت إليه فأمرني بالجلوس والأكل وأمر الغلام بالأكل معي ولما فرغت من الأكل ورفع الخوان ذهب الغلام يرفع ما سقط من الخوان على الأرض فقال له: ما كان في الصحراء فدعه ولو فخذ شاة وما كان في البيت فالتقطه وكله فإن فيه رضا الرب ومجلبة الرزق وشفاء من الداء.

ثم قال عليه السلام: سل فقلت: جعلت فداك ما تقول في المسك، قال: إن الرضا عليه السلام أمر أن يتخذ له مسك فكتب إليه الفضل بن سهل الناس يعيبون ذلك عليك فكتب إليه يا فضل أما علمت أنّ يوسف الصديق عليه السلام كان نبياً ولبس الديباج مزرراً بالذهب واللجين فلم يضره ذلك ولم ينقص من نبوته وحكمته شيئاً وإن سليمان بن داود صنع له كرسي من ذهب ولجين ورصع بالجواهر والحلي وعمل له درج من ذهب ولجين فكان إذا صعد على الدرج اندرجت وراءه وإذا نزل انتشرت بين يديه والغمام تظله والجن والإنس وقوف لأمره والرياح تجري كما أمرها والسباع والوحوش والهوام مذللة عُكَّف حوله والملأ تختلف إليه فما ضره ذلك ولا نقص من نبوته شيئاً عند الله وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي

﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ثم أمر أن يتخذ له غالية فكان قيمتها أربعة آلاف دينار وعُرضت عليه فنظر إليها وإلى حسنها فأمر أن تكتب رقعة فيها عوذة وقال العين حق.

فقلت له: جعلت فداك فما لمواليكم من موالاتكم قال عليه السلام: كان للصادق جعفر بن محمد عليه السلام غلام يمسك بغلته إذا دخل المسجد فبينا هو في بعض الأيام جالس في المسجد إذ أقبلت رفقة من خراسان فأقبل رجل منهم إلى الغلام وفي يده البغلة وقال له: من في المسجد قال: مولاي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال الرجل: هل لك يا غلام أن تسأله يجعلني مكانك فأكون مملوكاً وأجعل لك مالي كله فإني كثير المال كثير الضياع وأشهد لك بجميعه وأكتب وتمضي إلى خراسان وتقبضه وأُقيم أنا معه مكانك؟

فقال الغلام أسأل مولاي الصادق عليه السلام فلما خرج قدم بغلته وركب حتى أتى منزله فقال الغلام: يا مولاي تعرف خدمتي وطول صحبتي فإن ساق الله لي خيراً تمنعنيه منه فقال: أعطيك من عندي وأمنعك من غيري حاش لله فحكى له حديث الخراساني.

فقال عليه السلام: إن زهدت في خدمتنا أرسلناك وإن رغبت فينا قبلناك فولى الغلام فقال له: أنصحك لطول الصحبة ولك

الخيار، قال: نعم قال عليه السلام: إذا كان يوم القيامة كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقاً بنور الله آخذاً بحجزته وكذلك أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة منهم عليهم السلام وشيعتنا معنا يدخلون مداخلنا ويردون مواردنا ويسكنون مساكننا فقال الغلام: يا مولاي أُقيم في خدمتك وأختار ما ذكرت فدفع له ألف درهم وقال: هذه خير لك من مال الخراساني وخرج الغلام إلى الرجل وعرَّفه بقول الصادق عليه السلام فاستأذن الخراساني عليه وذكر شدة ولايته له فقبل قوله وشكره ودعا عليه السلام له.

ثم أمر برزمة عمائم فأُحضرت فقال للخراساني خذها فستحتاج إليها فقبلها وسار من المدينة فقطع عليه الطريق وأُخذ جميع ما كان عنده إلا العمائم فباع منها ما أوصله إلى خراسان[1].

وكان محمد بن سنان مع الرضا بمكة فشكا إليه وجع العين فأخذ قرطاساً وكتب إلى أبي جعفر عليه السلام ودفعه إلى الخادم وقال له اكتم ثم أمره أن يذهب مع الخادم ولما وصلا المدينة سأل ابن سنان موفق الخادم أن يحضر أبا جعفر فأقبل به يحمله على صدره وفتح الكتاب بين يديه فجعل أبو جعفر ينظر فيه ويرفع رأسه إلى السماء ويقول ناج حتى فعل ذلك مراراً فذهب كل وجع في عينيه

---

(١) البحار: ج١٢، ص١٢٩، عن الخرائج، ومدينة المعاجز: ص٥٣٨ عن هداية الحضيني.

وأبصر بما لا يبصر به أحد فقال لأبي جعفر: جعلك الله شيخاً على هذه الأمة كما جعل عيسى بن مريم شيخاً على بني إسرائيل يا شبيه صاحب فطرس يقول محمد بن المرزبان قلت لمحمد بن سنان: ما عنيت بقولك يا شبيه صاحب فطرس فقال: إن الله غضب على ملك من الملائكة يدعى فطرس فدق جناحه ورمى به في جزيرة من جزائر البحر فلما ولد الحسين بعث الله تعالى جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم يهنّئه بولادة الحسين وكان جبرائيل صديقاً لفطرس فمر به وهو مطروح في الجزيرة فخبره بولادة الحسين وما أمر الله به وقال له: هل لك أن أحملك إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليشفع لك قال فطرس: نعم فحمله جبرائيل على جناحه وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فبلغه تهنئة ربه تعالى وحدثه بقصة الملك فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفطرس: امسح بمهد الحسين عليه السلام ففعل ذلك فطرس فجبر الله جناحه ورده إلى منزلته مع الملائكة[١].

فقال لرسول الله إن للحسين علي حقاً ومكافأتي له أن لا يزوره زائر ولا يسلِّم عليه مسلِّم ولا يصلي عليه مصلٍّ إلا أبلغته زيارته وسلامه وصلاته[٢] وكان يفتخر ويقول من مثلي وأنا عتاقة الحسين[٣].

---

(١) رجال الكشي: ص٣٥٩.

(٢) أمالي الصدوق: ص٨٤، مجلس ٢٨.

(٣) الدمعة الساكبة: ص٢٦٣.

ويروى أن السبب في غضب الله عليه امتناعه من قبول ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وأن النبي صلى الله عليه وآله عرض عليه الولاية فقبلها فأمره أن يمسح بمهد الحسين[١].

ولقد أشرقت على جامع هذه الدرر لمعة من النور الإلهي حين حللت ساحة ذلك الجلال الطافح بالعظمة القدسية ولذت بجنابه المنيع والتجأت إلى جواره يوم أعيتني الوسائل عن علاج ما برح بي من الداء وقد استمر الألم الشديد أكثر من ست سنين في ظهري والورك الأيسر ووسط الساق وعقب القدم الأيسر وربما ينتهي الحال إلى الإيماء في الركوع ويعسر جداً المشي إلى الحرم الأطهر وفي يوم وفاة الجواد عليه السلام آخر ذي القعدة توسلت بباب المراد لأنه:

غوث الورى إن نابها حادث ... ربيعها والعام محل جماد
قد شرع الله به للورى ... مناهج الحق وسبل الرشاد
حجته العظمى على خلقه ... والعروة الوثقى لكل العباد
ساد على العالم في جوده ... كذاك من ساد على الناس جاد
جمت مزاياه فأجدر بها ... إن فاقت الشهب علاً واتقاد

فأخذت من ماء الزعفران المعمول لأجل مأتمه ودهنت به

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص١٩، باب ١٦.

مواضع الألم وشربت الباقي فتأخرت نظرته الرحيمة ثلاثة أشهر وبعد زيارة الأربعين ذهبت إلى مرقده المقدس مستجيراً وعاتباً لأن معول العبد على سيده ومرجعه إلى مولاه ولا غرو على الشيعي إذا لاذ بفناء إمامه وألح في العتب عليه وهذا (صادق أهل البيت عليهم السلام) يقول:

شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا فلهم معنا قرابة يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا وقد أُوذوا فينا ولم نؤذَ فيهم فنحن نتألم لتألمهم ونترحم عليهم كل صباح ومساء.

فبقيت في الكاظمية عشرة أيام أتوسل به فلم تهب علي نسمة من نفحاته القدسية حتى أيست من البرء فأتيت الضريح عند الفجر وأنا أحمل عتاباً مقذعاً ولا أشعر حينئذ بما أقول ثم مسحت ظهري ورجلي بالقبر وقد استشفعت بجده الكاظم وعبد الله الرضيع عليهما السلام ثم خرجت من الحرم قاصداً عيادة بعض إخواني وقطعت سوق الاسترابادي فلم أجد ألماً فتوهمت أنه من عدم المشي عليها ثم استخبرتها فمشيت أكثر من ساعتين فلم أجد ألماً أصلاً ببركات تلك النظرة من باب المراد والنفحة المباركة التي هبت على عبد من مماليكهم وقد مر على هذه الكرامة إلى اليوم أكثر من عشر سنين وأنا لا أجد شيئاً من ذلك الألم ولا بدع من أئمة الدين الذين قيضهم المولى سبحانه رحمة للعالمين وبيمنهم رزق الورى وأخصبت الأرض وثبتت رواسيها ولولاهم لساخت بأهلها.

غرست بقلبي حب آل محمد فلم أجنِ غير الفوز من ذلك الغرس
بنفسي أفدي أربعاً وثمانياً وقلَّ إذا أفدي لمثلهم نفسي
لهم فرض الله الولاء وأوجب الصلاة عليهم في فرائضه الخمس
وقد أذن الباري برفع بيوتهم وطهرها الذكر الحكيم من الرجس
ومن حاد عنهم واقتفى أثر غيرهم فقد باع منه الحظ بالثمن البخس[1]

النصائح

من الواضح الجلي أن من لوازم منصب الإمامة إثارة القلوب والعواطف إلى جهة الحق الصمد وكبح جماح النفوس وتليين شراسة الطباع بالكلم الطيب وتنويرها بالعظات البالغة التي تعود مزيجة الأرواح فتدخل في الأسماع من غير إذن وتألفها الأفئدة مع كل رغبة وتكهرب الألباب بضوئها اللامع وتجذب القلوب إلى صقع القداسة بكلمات قصار تتفجر الحكمة من نواحيها أو خطب تبعث إلى ميت الأنفس حياة أبدية وإلى الأدمغة جدة النشاط إلى السير وراء الحق اللائح فلا تجد إماماً من أئمة الدين إلا وله الكثير الطيب مما فيه الهداية والرشاد وإليك ما يؤثر عن الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام من النصائح:

قال له رجل أوصني: قال عليه السلام أوتقبل، قال: نعم، فقال:

---

(١) هذه الأبيات وما قبلها للخطيب الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي تجدها في الذخائر: ص٩٠، و٥٩.

توسد الصبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى واعلم أنك لا تخلو من عين الله فانظر كيف تكون.

وكتب إلى بعض أوليائه: أما هذه الدنيا فإنا فيها مغترفون فمن كان هواه هوى صاحبه ودان بدينه فهو معه حيث كان والآخرة دار القرار وإن تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة والاعتلال على الله هلكة والإصرار على الذنب أمن لمكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وحمل إليه حمل بزّ له قيمة كثيرة فأُخذ في الطريق فكتب إليه الذي حمله يعرّفه الخبر فوقّع بخطه عليه السلام: إن أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة يمتع بما متع منها في سرور وغبطة ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره ونعوذ بالله من ذلك.

وقال عليه السلام: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله فقد عبد الله وإن كان الناطق عن لسان إبليس فقد عبد إبليس.

وقال: إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له[1] والمؤمن

---

(١) غرضه عليه السلام أن الشيء قد لا يقدر المرء على فعله في المستقبل أو لا يقدر له لحصول عرقلة تعوق عن فعله إما من جهة ساعٍ في ضده يحمله على ذلك العداء أو الحسد والبغي وإما من جهة أن القضاء المحتم لا يساعد عليه فيكون المذيع لهذا العمل قبل إتمامه مرمى للوم ومحلاً للقذف فيسقط محله ولا يصغى لقوله وهذا كله خلاف الكيس.

يحتاج إلى خصال ثلاث: توفيق من الله وواعظ من نفسه وقبول ممن ينصحه.

التحفظ على قدر الخوف.

الأيام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة.

من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة فقد عرض نفسه للهلكة والعاقبة المتعبة.

قد عاداك من ستر عنك الرشد اتباعاً لما تهواه.

راكب الشهوات لا تقال عثرته.

الثقة بالله ثمن لكل غالٍ وسلَّم لكل عالٍ.

كيف يضيع مَن الله كافله.

كيف ينجو مَن الله طالبه.

من انقطع إلى غير الله وكله الله إليه.

من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح[1].

من لم يعرف المصادر أعيته الموارد.

هجر المداراة مقاربة للمكروه[2].

---

(١) إلى هنا من البحار: ج١٧، ص٢١٤، عن أعلام الدين.

(٢) المداراة المأمور بها إنما هي في ما تبيحه الشريعة كمجاملة ضيّق الخلق=

مصاحبة الشرير كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره.

لا تكن ولياً لله تعالى في العلانية وعدواً له في السر.

كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة.

لا تعادي أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله فإن كان محسناً لا يسلمه إليك وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيكه فلا تعاده[١].

إذا نزل القضاء فقد ضاق الفضاء.

الحوائج تطلب بالرجاء وهي تنزل بالقضاء.

العافية أحسن عطاء.

عز المؤمن غناه عن الناس.

= شرس الطبع فإن مقابلة مثله تفكك عرى الأُخوّة المطلوبة وأما في ما ينافي الشريعة فالمكاشفة لازمة وتعريف خطئه وإرشاده إلى الحق من أعظم حقوق الإخوان.

(١) العلة في النهي عن المعاداة على تقدير العلم بالإساءة أحد وجهين أو هما معاً الأول أن المسيء لا يتحاشى عن الإيذاء بكل ما في وسعه ولعله يأتي بأمر عظيم فمكاشفته بالعداوة ربما تنجر إلى ما لا يحمد عقباه الثاني أنه بتقمصه بالإساءة أسقط محله فيجب أن لا يراه الإنسان كفواً حتى يقابله فيسقط محله بذلك هذا كله فيما إذا لم يعلم بتمكنه من ردعه عن الإثم وإلا فيجب من باب النهي عن المنكر إذا توقف على المعاداة.

لا يضرك سخط من رضاه الجور.

الشهوات من ضعف القلب.

من لم يرضَ من أخيه بحسن النية لم يرضَ بالعطية.

القصد إلى الله بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال.

تعزَّ عن الشيء إن منعته بقلة صحبته إذا أُعطيته[١].

التقوى عز والعلم كنز والصمت نور[٢].

ما هدم الدين مثل البدع.

لا يزيل الوقار مثل الطمع.

بالراعي تصلح الرعية.

بالدعاء تصرف البلية.

---

(١) يشير عليه السلام إلى أن خيرات الدنيا ليس لها بقاء إما بانعدامها أو بموت صاحبها وبعد العلم بذلك لا ينبغي للعاقل الاستياء بفقدان شيء محدود الأمد وهذا أكبر سلوة لمن يفقه هذه الدقائق.

(٢) إلى هنا من نزهة الناظر: ص٤٨، يشير عليه السلام إلى أن الصامت الذي لا يتسرع إلى رمي القول على عواهنه ويتروى في مقدمات الكلام ومقارناته ربما تنكشف له الحقيقة فيشع ذلك التريث ألقاً واضحاً فيأتي بما يناسب مقتضى الحال من كلام أو سكوت وإليه يوعز الحديث لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب وهذا هو المراد من تشبيه الصمت بالنور.

من شتم أُجيب.

من تهور أُصيب.

أهل المعروف أحوج إلى اصطناعه من أهل الحاجة لأن لهم أجره وفخره وذكره.

من أمل إنساناً هابه.

من جهل شيئاً عابه.

الفرصة خلسة.

عنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه.

عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه.

خفض الجناح زينة العلم[1].

---

(١) يريد عليه السلام بهذه الكلمة الذهبية إرشاد من تحمل مشاق الدراسة وهجر وطنه وأخلاءه في تهذيب نفسه لأجل أن يتحلى بفضيلة العلم ويزدان بالملكة النورانية ويظهر عليه جمال العلم ورونق الكمال لتقرب منه العامة فتستضيء بأنوار تعليماته ويتلقون منه النصائح الكافية ويبتاعون منه درراً ثمينة في تكميل النفوس وتهذيب الأخلاق وهذا إنما يحصل فيما إذا كان العالم لين الجانب متباعداً عن الخيلاء فإن من لم يتمكن من ذلك تتباعد عنه العامة فتفوته الغاية التي لأجلها تحمل المصاعب ولا تحصل للمفيد والمستفيد الزلفى الخالدة وسعادة الأبد.

الجمال في اللسان.

الكمال في العقل.

من صبر الرجل قلة شكواه.

من رفق الرجل بأخيه ترك توبيخه بحضرة من يكره.

من صدق صحبة الرجل إسقاط المؤنة عن أخيه.

من علامة الرفعة كثرة الموافقة وقلة المخالفة.

يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم.

من طلب البقاء فليعدّ للمصائب قلباً صبوراً.

العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم.

ثلاثة من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزيمة.

من نصح أخاه سراً فقد زانه ومن نصحه علانية فقد شانه[1].

من كثر همه سقم جسمه.

العفاف زينة الفقر.

الشكر زينة البلاء.

---

(١) إلى هنا من الإتحاف بحب الأشراف للشبراوي: ص٧٧.

التواضع زينة الحسب.

الفصاحة زينة الكلام.

الحفظ زينة الرواية.

إن لله عباداً يخصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوها فإن منعوها نزعها الله عنهم وحولها إلى غيرهم[١].

حفظ الأدب زينة الورع.

بسط الوجه زينة القناعة.

حسب الإنسان من كمال المروءة أن لا يلقى أحداً بما يكره.

من سخاء المرء برّه بمن يجب حقه عليه.

ما عظمت نعمة أحد إلا عظمت حوائج الناس إليه فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض النعمة للزوال.

---

(١) هذا في من لم يستدرجهم الباري بإدرار النعم عليهم لتدوم غفلتهم ويعشوا عن نور الحق ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وحينئذ فلا يورد على الحديث بأنّا كثيراً ما نرى من توفرت عليهم النعم مع أنهم لم يبذلوها في ما أراده الله تعالى لأن هذا الازدياد لم يكن خيراً لأنفسهم بل ليزدادوا إثماً بما قال جل شأنه ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

ترك ما لا يعني زينة الورع.

من كرم الرجل إيثاره على نفسه.

من إنصاف الرجل قبوله الحق إذا بان له.

من نصح الإنسان لأخيه نهيه عما لا يرضاه لنفسه.

من الشكر معرفة إحسان المحسن.

من التواضع معرفة المرء بقدره.

العالم بالظلم والمعين عليه والراضي شركاء[١].

من سلامة الإنسان قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بإصلاح عيوب نفسه.

من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل.

الطامع في وثاق الذل.

الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت.

---

(١) ذكر الفقهاء في كتاب القصاص إذا أمسك رجل إنساناً وقتله آخر وثالث ينظر إليهم فلم يخلصه أن القاتل يقتل والممسك يخلد في السجن وتسمل عينا الناظر مستشهدين عليه بقضاء أمير المؤمنين عليه السلام في نفر ثلاثة كان هذا حالهم والمراد من العالم بالظلم هو العامل به ولعل العالم تحريف العامل.

ثلاثة يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار ولين الجانب وكثرة الصدقة.

لو سكت الجاهل ما اختلف الناس[١].

مقتل الرجل بين فكَّيه.

الرأي مع الأناة.

بئس الظهير الرأي الفطير.

ثلاث يجلبن المودة: الإنصاف في المعاشرة والمواساة في الشدة والانطواء على قلب سليم.

الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته.

الناس إخوان فإن كانت الأخوّة في غير ذات الله فإنها تعود عداوة وذلك قوله تعالى ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه.

كفر النعمة داعية المقت.

---

(١) إن الجهل لما كان ملازماً للخطأ لعدم استضاءة الجاهل بنور العلم والمعارف وعدم تهذيبه بالملكات الفاضلة وخلوه عن النواميس الصحيحة فالأحرى به في الدنيا والدين السكوت فإنه إذا تكلم والحالة هذه عزبت عنه المراشد وأخطأ المرمى فلربما تولد من كلامه ما لا يحمد عقباه.

من جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك.

لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له.

من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه.

الشريف كل الشريف من شرفه علمه.

السؤدد كل السؤدد لمن اتقى ربه.

لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا.

لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثمانية عشر سنة فإذا بلغها غلبه عليه أكثرهما فيه.

لا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم.

ارحموا ضعفاءكم.

اطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم.

من أمل فاجراً كان عقوبته الحرمان.

ما أنعم الله نعمة على عبد فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبد ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه إلا غفر له قبل أن يستغفره.

من ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر.

من غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى.

موت الإنسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر.

من استفاد أخاً في الله فقد استفاد أخاً في الجنة.

من وثق بالله واتكل عليه نجاه الله من كل سوء وحرزه من كل عدو.

لو كانت السموات رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل له مخرجاً منها[١].

هذه عقود كافلة لسعادة البشر ونواميس تدعم طقوس الاجتماع ولو عمل بها الناس لحلتهم بالملكات الفاضلة وأحلتهم بالمقام الأسمى من رقي النفس وطهارة الروح وسداد العقل وحسن العمل وتباعدوا عن سيّئ الأفعال وفساد الأخلاق وطهرت قلوبهم عن أدران القبائح وأوساخ الملكات الرذيلة وكان سيرهم إلى الفضائل كلها في كل حين إلى الأمام فلا يتسرب إليهم رضوخ لشهوة أو نزوع إلى معصية أو انهماك في طمع أو ولع في الحطام أو شح في المال أو انتهاك للأعراض إلى غيرها مما يفكك عرى الاجتماع ويصرم حبل الدين والمدنية فهذه الدرر

---

(١) إلى هنا من نور الأبصار للشبلنجي: ص١٤٨.

الثمينة تأخذ بيد من يفقهها ويعمل بها إلى السعادة الأبدية والفوز الخالد ويكون له في سوق الحياة تجارة لن تبور.

بنو الوصي بن عمران بن شيبة ... الحامي الذمار اطراد غير منقسم
خيرة الهداة هداة الخير منعكس ... معنى علاهم على الإباء من قدم
تحيا العفاة بترديد النوال كما ... يحيا الرفات بهم من سورة العدم
بهم ومنهم وعنهم قد جمعت إلى ... رشدي هداي ارتفاعي سؤددي كرمي
أنفقت من بعدهم يا سعد ما ملكت ... عيناي من مدمع كالغيث منسجم
بالغ إن استطعت في آيات فضلهم ... وكيف والملأ الأعلى من الخدم
ضدان من وصف معناهم قد ائتلفا ... إن حاربوا قرنوا الذؤبان بالرخم
إذا حبوا أغرقوا بالمن وافدهم ... أو حاربوا صبغوا وجه الثرى بدم
لولا الغلو رمت بي من مآثرهم ... غراء في هوة الغاوي من الأمم
هم مذهبي في كلامي والكتاب على ... ما قلت شاهد عدل غير متهم
نفوا بإيجابهم شرع الأُلى سبقوا ... وما لما أوجبوا نافٍ من الأمم
هم رحمة الله ما الجزئي منحصر ... منها فهل يلحق الكليّ ذو همم
مهذبون قضى تهذيب شرعتهم ... لنا الهدى والورى تحنو على صنم
شادوا لدين الهدى صرحاً يؤيده ... شبا الرهيفين من سيف ومن قلم
قد عز عن ساحة التشبيه قدسهم ... كما يعز قياس النور بالظلم
حميد أفعالهم بالاشتقاق لهم ... من أحمد قد قضى اسماً لكل سمي
أجل معنى علاهم أن أشير له ... أنى وهم حجج الباري على الأمم
من أحمد وعلي لا يزال لهم ... حسن البيان وصدق الطعن في البهم

فهل يساويهم في فضلهم بشر وهم منار الهدى المنصوب للأمم[١]

(١) من قصيدة لحجة الإسلام آية الله الشيخ محسن آل الشيخ المقدس صاحب الجواهر أعلى الله مقامه عارض بها البردة ذكرنا ترجمته في كتاب (الصديقة الزهراء عليها السلام).

المجلس الثالث

في التزويج من ابنة المأمون وما جرى له مع القاضي

لما وضح للمأمون فضل أبي جعفر الجواد عليه السلام مع صغر سنه وبلوغه الغاية في العلم والحكمة والآداب وتفوقه على مشايخ قومه عزم على أن يزوجه من ابنته أم الفضل[١] فوجه من حمله من المدينة إلى بغداد[٢] وأنزله بالقرب من داره وكان له من العمر ستة عشر سنة[٣] وذلك في سنة ٢١١ فبلغ العباسيين ما عزم عليه المأمون فأنكروا عليه لأنهم خافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضى عليه السلام فمشى إليه أهل بيته الأقربون وأقسموا عليه بالله أن يعدل عن هذا الرأي وفيما قالوا له: لقد علمت ما بيننا

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد.

(٢) مرآة العقول: ج١، ص٢٣٨ للمجلسي.

(٣) دلائل الإمامة لابن جرير الطبري: ص٣٠٧.

وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا عليه السلام ما عملت فكفانا الله ألمهم من ذلك فالله الله أن تردنا إلى غم قد انحسر عنا واصرف رأيك عن ابن الرضى واعدل إلى من تراه من أهل بيتك صالحاً دونه.

فقال المأمون أمّا ما كان بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ولو أنصفتم القوم لكانوا منكم أولى وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم وأعوذ بالله من ذلك والله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الرضى عليه السلام ولقد سألته أن يقوم بالأمر وأنزعه من نفسي فأبى وكان أمر الله قدراً مقدوراً[1].

ثم حدثهم بفعل الخلفاء مع بني هاشم فقال لما ولي أبو بكر الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يولِّ أحداً من بني هاشم وفعل مثله عمر ولما ولي عثمان أقبل على أهله من بني عبد شمس فولاهم الأمصار ولم يولِّ أحداً من بني هاشم ولما ولي علي عليه السلام لم يولِّ أحداً من آل أبي طالب وأقبل على ولد العباس بن عبد المطلب فولى عبد الله البصرة وعبيد الله اليمن ومعبداً مكة وقثم البحرين وما ترك أحداً ممن ينتمي إلى العباس إلا ولاه فكانت له في

(١) الاحتجاج للطبرسي: ص٢٤٥.

أعناقنا فكافأته في ولده بما فعلت[١].

وأما أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام فقد اخترته لتبرزه في العلم والفضل على كافة أهل الفضل مع صغر سنه والأعجوبة فيه بذلك وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلمون أن الرأي ما رأيت.

فقالوا إن هذا الفتى وإن راقك هديه فإنه صبي لا معرفة له ولا فقه فأمهله ليتأدب ثم اصنع ما تراه بعد ذلك فقال لهم: ويحكم إني أعرف بهذا الفتى منكم وإن أهل هذا البيت علمهم من الله تعالى ومواده وإلهامه ولم تزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حد الكمال فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفت لكم من حاله.

قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه فخلِّ بيننا وبينه لننصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره وظهر للخاصة والعامة سديد رأي أمير المؤمنين فيه وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه فقال لهم المأمون: شأنكم ذلك متى أردتم منه.

---

(١) تذكرة الخواص: ص٢٠١، لسبط ابن الجوزي.

واجتمع رأيهم على يحيى بن أكثم[١] ووعدوه بأموال نفيسة على أن يعدّ له مسألة لا يهتدي إلى جوابها فأجابهم القاضي وعيّن المأمون وقتاً للمناظرة وحضروا في الوقت المضروب لهم.

وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دستاً له مسورتان متصلاً بدسته وجلس القاضي ابن أكثم بين يديه وقام الناس في مراتبهم واستأذنه في السؤال فأذن له أبو جعفر الجواد عليه السلام.

---

(١) أكثم بالثاء المثلثة أو المثناة من فوق عظيم البطن وكان مروزياً من أهل مدينة (مرو) من خراسان تولى القضاء بالبصرة من قبل ابن شكلَه إبراهيم سنة ٢٠٢ بعد الأمين وكان له عشرون سنة ولما استصغره أهل البصرة قال في جوابهم: أنا أكبر من عتاب قاضي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة عام الفتح وأكبر من معاذ بن جبل قاضي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليمن وأكبر من كعب بن سوار قاضي عمر في البصرة وبقي فيها إلى سنة ٢١٠ ثم ولاه المأمون قضاء بغداد وفي سنة ٢١٥ ولاه المأمون قضاء مصر ثم عزله لوشاية جماعة فيه فرجع إلى بغداد وبقي فيها معزولاً إلى أن ولي المتوكل فصيره قاضياً مكان ابن أبي دؤاد وفي سنة ٢٤٠ عزله وأخذ أمواله وألزمه بيته وفي سنة ٢٤١ حج بأخته وعزم على البقاء بمكة وبعد الفراغ من الحج اتصل به رضاء المتوكل عنه فتوجه إلى العراق وفي (الربذة) وافته المنية يوم الجمعة في النصف من ذي الحجة سنة ٢٤١ ودفن فيها وكانت ولادته سنة ١٨٨ وليس له مقام يعتمد عليه في الحديث فإن ابن معين يقول كذاب يشتري كتب الوراقين وينسبها إليه ويحدث عن عبد الله بن إدريس بما لم يسمع منه والأحاديث في ارتكابه عمل قوم لوط متواترة (تاريخ بغداد للخطيب: ج١٤، ص١٩١، وتهذيب التهذيب: ج١١، ص١٧٩).

فقال ابن أكثم ما تقول (في محرم قتل صيداً)؟

فعرَّفه الإمام بأن لهذه المسألة وجوهاً وصوراً وفي أي صورة يتعلق سؤاله وفي ما قال له: قتله في أرض الحل أو الحرم، عالماً كان المحرم أو جاهلاً، عمداً كان القتل أو خطأً، حراً كان المحرم أو عبداً، مبتدئاً بالقتل أو معيداً، مصراً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان القتل أو في النهار، محرماً بالعمرة حين القتل أو بالحج، من ذوات الطير كان أو من غيرها، من صغار الصيد أو من كبارها.

فإن لكل واحد من هذه الصور العشر حكماً وفدية.

فتحير القاضي وبان العجز والانقطاع عليه وتلجلج حتى عرف أهل المجلس ذلك منه ولم يدرِ ما يقول فقال المأمون الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم أعرفتم الآن ما كنتم تنكرون[1].

قاموا مقام علاً يخوله حق الحكومة غير مغتصب
زين المنابر والمجالس لم يعهد لهم زيغ لدى الغضب
علماء حق إن هم حكموا (وضعوا الهنا في موضع النقب)
وتقى يصدهم إذا قسموا إيثار ذي نسب على سبب

---

(١) إرشاد الشيخ المفيد.

من كل ذي رأي يصيب به عند الحكومة ما ورا الحجب
شهد العدو بفضلهم وكفى قول العدو لأعظم الغلب
هذا جناي وخير ما ادخرت مني اليدان ليوم منقلبي[1]

ثم سأله المأمون عن حكم هذه الصور فقال عليه السلام: المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير ومن كبارها فعليه شاة وإذا أصاب في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً وإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن وليس عليه قيمته وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ وإذا كان من الوحش فعليه في حمار وحش بقرة وفي النعامة بدنة فإن لم يقدر فإطعام ستين مسكيناً فإن لم يقدر فليصم ثمانية عشر يوماً وإن كان بقرة فعليه بقرة فإن لم يقدر فإطعام ثلاثين مسكيناً وإن لم يقدر فليصم تسعة أيام وإن كان ظبياً فعليه شاة فإن لم يقدر فإطعام عشرة مساكين وإن لم يقدر فصيام ثلاثة أيام.

وإن كان القتل في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة حقاً واجباً عليه أن ينحره (بمنى) إن كان في حج حيث ينحر الناس وإن كان في عمرة ينحره بمكة ويتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفاً وإن أصاب أرنباً فعليه شاة وإن قتل الحمامة

---

(١) لحجة الإسلام آية الله الشيخ محسن آل شيخ الطائفة صاحب الجواهر(قدس سره).

فعليه شاة ويتصدق بدرهم أو يشتري به طعاماً لحمام الحرم وفي الفرخ نصف درهم وفي البيضة ربع درهم[١].

وكل ما أتى به المحرم بجهالة فليس عليه فيه شيء إلا الصيد فإن عليه الفداء بجهالة كان أم بعلم عامداً أم مخطئاً.

وكل ما أتى به العبد فكفارته على سيده مثل ما يلزم السيد وكل ما أتى به الصغير الذي ليس ببالغ فلا شيء عليه فإن عاد فينتقم الله منه وليس عليه كفارة والنقمة في الآخرة وإن دل على الصيد وهو محرم فقتل فعليه الفداء والمصر عليه يلزمه بعد الفداء العقوبة في الآخرة والنادم لا شيء عليه بعد الفداء وإذا أصاب الصيد ليلاً في وكره خطأً فلا شيء عليه إلا أن يتعمد فإذا تصيد بليل أو نهار فعليه الفداء[٢].

فقال المأمون أحسنت يا أبا جعفر أحسن الله إليك فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك فقال عليه السلام ليحيى: أسألك، قال يحيى: ذاك إليك جعلت فداك فإن عرفت الجواب وإلا استفدته منك فقال أبو جعفر: أخبرني عن رجل يكون نظره إلى

---

(١) لم يذكر في الإرشاد والاحتجاج جزاء الأرنب والحمامة والفرخ.

(٢) اتفق على هذه الأحكام ابن جرير في دلائل الإمامة: ص٢٠٧، والمسعودي في إثبات الوصية: ص١٨٨ والحسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات: ص١١١.

امرأة أول النهار حراماً وعند ارتفاع النهار حلت له وعند الزوال حرمت عليه وفي وقت العصر حلت له وعند الليل حرمت عليه وفي وقت العشاء الآخرة حلت له وعند انتصاف الغروب حرمت عليه وفي وقت الفجر حلت له.

فلم يهتدِ ابن أكثم إلى وجه المسألة واعترف بالعجز وسأل الإمام عليه السلام عن الحكم فيها فقال أبو جعفر عليه السلام: هذه جارية لرجل من الناس يكون في أول النهار نظر الأجنبي إليها حراماً فلما ارتفع النهار اشتراها من سيدها فحلت له وعند الزوال أعتقها فحرمت عليه وفي وقت العصر تزوجها فحلت له وعند الغروب ظاهر منها فحرمت عليه وفي وقت العشاء كفّر عن الظهار فحلت له وعند انتصاف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه وفي وقت الفجر راجعها فحلت له.

فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته وقال هل فيكم أحد يهتدي إلى جواب المسألة أو يعرف القول فيها وفي ما تقدم من المسألة الأولى قالوا لا والله إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى.

فقال لهم: ويحكم إن أهل هذا البيت خصوا من الخلق بما ترون من الفضل وإن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال أما علمتم أن رسول الله افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين وقبل منه الإسلام وحكم له به ولم

يدعُ أحداً في سنه غيره وبايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابنا دون ست سنين ولم يبايع صبي غيرهما أفلا تعلمون الآن ما اختص الله به هؤلاء القوم وأنّهم ذرية بعضها من بعض يجري لآخرهم ما يجري لأولهم.

قالوا صدقت يا أمير المؤمنين ونهض القوم صاغرين محجوجين[١] فعندها قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام اخطب لنفسك على ابنتي أم الفضل فقال عليه السلام: الحمد لله منعم النعم برحمته والهادي إلى فضله بمنته[٢] والحمد لله إقراراً بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته[٣] وصلى الله على محمد خير خلقه الذي جمع فيه من الفضل ما فرقه في الرسل قبله وجعل تراثه إلى من خصه بخلافته وسلَّم تسليماً[٤] أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال سبحانه ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾.

ثم إن محمد بن علي بن موسى بن جعفر عليهم السلام يخطب أُم

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد.
(٢) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٨٧.
(٣) إعلام الورى للطبرسي: ص٢٠٣.
(٤) دلائل الإمامة لابن جرير: ص٢٠٧.

الفضل بنت عبد الله المأمون وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو خمسمائة درهم جياد فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على الصداق المذكور[١].

فقال المأمون: الحمد لله الذي تصاغرت الأمور لمشيئته ولا إله إلا الله إقراراً بربوبيته وصلى الله على محمد عبده وخيرته أما بعد فإن الله جعل النكاح الذي رضيه لكمال سبب المناسبة ألا وإني قد زوجت (زينب) ابنتي من محمد بن علي بن موسى بما ذكر لها من المهر[٢] فقال أبو جعفر عليه السلام قد قبلت النكاح على الصداق المذكور[٣].

وجرت مراسيم التبريك فنثرت على أبي جعفر عليه السلام بنادق[٤] من فضة فيها مسك معجون بالزعفران وفي وسطها رقاع مكتوب فيها أموال جزيلة وضياع وأقطاعات فالتقطها الخاصة فكل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة والتمس ما فيها ونثرت البدر على القواد وأرباب الدولة وأُخرجت آنية من فضة شبيهة بالسفينة مملوءة من الطيب فتطيب منها الخاصة والعامة ووضعت المائدة

---

(١) روضة الواعظين: ص٢٠٥.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٩.
(٣) روضة الواعظين: ص٢٠٥.
(٤) إثبات الوصية: ص١٨٩.

فأكل الناس ثم انصرفوا وهم أغنياء ببركة أبي جعفر الجواد عليه السلام[١].

وأُدخلت عليه أم الفضل في دار أحمد بن يوسف التي هي على شاطئ دجلة وبقي فيها إلى أيام الموسم فسافر بأهله إلى مكة ثم إلى المدينة[٢].

وفي بعض الأيام أرسلت إليه أم جعفر بنت الرشيد تطلب منه المصير إلى دارها فلما وافى المنزل لاقته أم جعفر بالحفاوة والتكريم وسألته أن يجتمع مع زوجته في بيتها فدخل عليه السلام البيت والستور تشال بين يديه فما لبث أن خرج يقرأ ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾

---

(١) الإرشاد للمفيد.

(٢) تاريخ الطبري: ج١٠، ص٢٨٠، كان أحمد بن يوسف بن صبيح الكوفي مولى بني عجل الذين منازلهم بسواد الكوفة وجده صبيح عبد لبحر بن العلاء العجلي وقال إنه قبطي اشتراه السري بن بشر فأعتقه ولأحمد ذكاء وفطنة وكان من الشعراء المجيدين وله في الكتابة ارتفاع ولم يفت ذلك أخاه القاسم وأولادهما تولى أحمد ديوان الرسائل للمأمون وحظي عنده وكان أبوه كاتباً لبني أمية ولعبد الله بن علي عم المنصور ولم يتحقق السيد الحجة المحقق السيد محسن الأمين تشيع المترجم وإن كان مظنوناً له بعد أن توثق من تشيع أخيه القاسم توفي أحمد في رمضان سنة ٢١٣ (ترجمته في معجم الأدباء: ج٥، ص١٦١، وتاريخ بغداد: ج٥، ص٢١٦، وأعيان الشيعة: ج١٠، ص٣٥٥).

فقالت له أم جعفر: لماذا لم تتم النعمة علي يا سيدي فقال عليه السلام: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ قد حدث ما لم يحسن إعادته فسألت أم الفضل عما حدث فقالت لها يا عمة وما علمه بذلك إنه ساحر والله لما طلع علي جماله حدث لي ما يحدث للنساء عند العادة فبهتت أم جعفر وأقبلت على أبي جعفر وسألته عما حدث قال عليه السلام: هو من أسرار النساء قالت له: أتعلم الغيب قال عليه السلام: لا قالت: أنزل عليك الوحي، قال عليه السلام: لا، قالت: فمن أين علمته ولا يعلم الغيب إلا الله فقال عليه السلام: وأنا أعلمه من علم الله.

فقالت له: وما كان إكبار النسوة قال: هو ما حصل لأم الفضل من الحيض[1].

ولما خرج أبو جعفر عليه السلام من بغداد منصرفاً من عند المأمون ومعه زوجته أم الفضل والناس يشيعونه إلى الكوفة فلما وصل إلى دار المسيب دخل وقت المغرب فدخل المسجد وكان في صحنه (نبقة) يابسة لم تحمل فتوضأ في أصل النبقة وصلى بالناس صلاة المغرب فقرأ في الأولى الحمد وإذا جاء نصر الله وفي الثانية الحمد وقل هو الله أحد وقنت قبل ركوعه وصلى الثالثة وتشهد وسلم ثم جلس هنيئة يذكر الله وقام من غير أن يعقب فصلّى النوافل أربع ركعات وعقب بعدها وسجد سجدة الشكر[2] ثم صلى العشاء

---

(١) البحار: ج١٢، ص١٢٩، عن مشارق الأنوار للبرسي.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد.

الآخرة[١] ولما خرج وانتهى إلى النبقة رآها الناس حملت حملاً حسناً فأكلوا منه فإذا هو نبق حلو لا عجم له[٢]. وفي حديث شهراشوب أن الشيخ المفيد أكل منه فلم يجد له عجماً[٣].

فضائلهم جلت مناقبهم علت مدائحهم شهد منائحهم ند
علوا في الورى جَدّاً وأُمّاً ووالداً فطابوا وطاب الأم والأب والجد
بأسمائهم يستجلب البر والرضا بذكرهم يستدفع الضر والجهد[٤]

بهم اتضحت سبل الهدى وبهم سلم من سلم من الردى وبحبهم ترجى النجاة غدا وهم أهل المعروف والندى كل المدائح دون استحقاقهم وكل مكارم الأخلاق مأخوذة من كريم أخلاقهم وكل صفات الخير مخلوقة في عنصرهم وأعراقهم فالجنة في وصالهم والنار في فراقهم وهذه الصفات تصدق على الجمع والواحد وتثبت للغائب منهم والشاهد حبهم فريضة لازمة ودولتهم باقية لازمة وأسواق سؤددهم قائمة وثغور محبيهم باسمة كفاهم شرفاً أن جدهم محمد وأبوهم علي وأمهم فاطمة فمن

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٤.
(٢) إعلام الورى: ص٢٠٥.
(٣) المنتخب: ص٩٣، النجف للشيخ الجليل نادرة الزمان الشيخ فخر الدين الطريحي النجفي المتوفى سنة ١٠٨٥هـ.
(٤) المناقب: ج٢، ص٤٣٤.

يجاريهم في الفخر ومن يسابقهم في علو القدر وما تركوا غاية عز إلا انتهوا إليها سابقين ولا مرتبة سؤدد إلا ارتقوها آمنين من اللاحقين وهذا حق اليقين بل عين اليقين والناس كلهم عيال عليهم ومنتسبون انتساب العبودية إليهم عنهم أخذت المآثر وبشرفهم شَرُف الأول والآخر ولو أطلت في صفاتهم لم آتِ بطائل ولو حاولت حصرها نادتني اين الثريا من يد المتناول[١].

«أربعة وعشرة جعلتهم» معتصمي برغم كل جاحد
أدعوك يا رب بهم فإنهم «وسائلي عندك في الشدائد
«يكفي جميع الناس جاه واحد» منهم إذا دعاك في المقاصد
فكيف بي وكلهم أئمتي «فنجِّني بجاه كل واحد»[٢]

---

(١) من إنشاء السعيد علي بن عيسى الإربلي المتوفى سنة ٦٨٧ في كتابه كشف الغمة: ص٢٩٠.

(٢) في سوانح الأفكار في منتخب الأشعار للخطيب الفاضل السيد محمد جواد شبر النجفي: ج٣، مخطوط أن البيتين للسيد محمد زيني والتشطير للخطيب الشيخ حسن سبتي النجفي.

المجلس الرابع

في شهادته وما جرى له مع الخلفاء

لما قبض الإمام أبو الحسن الرضى عليه السلام كان لأبي جعفر الثاني ثماني سنين فكبر على جماعة الشيعة موته وقلقوا لما يرون من صغر أبي جعفر عليه السلام وقد فاتهم أن الإمامة حيث إنها من المولى فلا جرم أن المتقمص بها ذوات اشتقوا من النور الإلهي الأقدس وقد منحهم منشئ كيانهم الوقوف على خواص الطبائع وأسرار الكائنات فلا يعزب عنهم صغير ولا كبير فعلمهم حضوري من لدن حكيم عليم وأبو جعفر عليه السلام متفرع من تلك الشجرة الأحمدية فلا بدع إذا أحله الله محل آبائه المعصومين عليهم السلام وجاء بالخوارق وأخبر بما كان ويكون كما جعل عيسى في المهد نبيّاً ولم يخف هذا الألق الوضاح على من سار وراء الحقيقة واستضاء بنور اليقين غير أن أُناساً جهلوا موقف الإمام فظنوا أن الخلافة لا تتفق مع صغر السن.

فاجتمع من سائر النواحي في دار عبد الرحمن بن الحجاج ببغداد في محلة (بركة زلزل)[١] وقد حضر المجلس الريان بن الصلت وصفوان بن يحيى ومحمد بن حكيم ويونس بن عبد الرحمن فتذاكروا أمر الإمامة وبكوا لما حل بهم من المصيبة بفقد إمامهم أبي الحسن عليه السلام فقال لهم يونس بن عبد الرحمن: دعوا البكاء وانظروا إلى من يقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا الصبي يعني الجواد عليه السلام فقام إليه الريان بن الصلت ووضع يده في حلقه ولم يزل يضربه ويقول: أنت تظهر الإيمان وتبطن الشرك والشك والله إن كان أمره من الله تعالى فلو أنه ابن يوم لكان بمنزلة ابن مائة يوم ولو لم يكن أمره من الله سبحانه فلو عمر ألف سنة فهو

---

(١) في تاج العروس: ج٧، ص١٨، بركة زلزل ببغداد بين الكرخ والصراة وباب المحول وسويقة أبي الورد تنسب لزلزل غلام عيسى بن المنصور حفر هذه البركة ووقفها على المسلمين فنسبت المحلة إليه وفيها يقول نفطويه النحوي:

لو أن زهيراً وامرأ القيس أبصرا ملاحة ما تحويه بركة زلزل
لما وصفا سلمى ولا أُم جندب ولا أكثرا ذكر الدخول فحو مل

وفي معجم البلدان: ج٢، ص١٥٢، جاء إبراهيم الموصلي بزلزل الضارب وبرصوما الزامر من سواد الكوفة وعلمهما وجوه الغناء فخدما الخلفاء بذلك وفي الأغاني: ج٥، ص٢٢، اسم زلزل منصور غضب عليه الرشيد فحبسه عشر سنين ثم رضي عنه وأكرمه وكانت أخته تحت إبراهيم الموصلي فولدت منه.

كواحد من الناس وأقبل من حضر على يونس يعذله[١].

وعند الموسم قصد الحج خلق كثير لمشاهدة أبي جعفر الثاني عليه السلام وكان فيهم محمد بن جمهور القمي والحسن بن راشد وعلي بن مدرك وعلي بن مهزيار ولما وصلوا المدينة سألوا عن الخلف بعد أبي الحسن عليه السلام فقيل لهم إنه بصرياً قرية على ثلاثة

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٨٤، النجف، ولا ريب في جلالة يونس بن عبد الرحمن وثباته على الحق حتى إنه بذل له مال كثير ليقول بالوقف فأبى وكان وكيل الرضى عليه السلام وخاصته وقد أرشد أصحابه إليه في أخذ معالم دينهم وضمن له الجنة ثلاث مرات وعرض أبو هاشم الجعفري على الحسن العسكري عليه السلام كتاب عمل يوم وليلة ليونس فقال عليه السلام: أعطاه الله بكل حرف نوراً يوم القيامة وهو ممن أجمعت العصابة على تصحيح ما يصح عنهم وكان غرضه بقوله (دعوا البكاء) الذي لم يهضمه الريان استخبار الجماعة الحاضرين ومعرفة الثابت منهم على الحق ليسعى في ارشاد من حاد عنه ولم يتوقف النجاشي والكشي والعلامة الحلي والمجلسي والمحقق البحراني والجزائري والشيخ فخر الدين الطريحي والكاظمي في جلالته وثقته وأنه من أعيان الإمامية وفي فهرست ابن النديم: ص٣٠٩، كان كثير التأليف على مذهب الشيعة ثم ذكر كتبه توفي سنة ٢٠٨ بعد شهادة الرضى عليه السلام بست سنين وكان من موالي آل يقطين.
وأما عبد الرحمن بن الحجاج فهو من شيوخ أصحاب الصادق عليه السلام ومن متكلميهم وفقهائهم وأستاذ صفوان وانقطاعه إلى أهل البيت أشهر من أن يحتاج إلى بيان وكان قوي العارضة له مع ابن أبي ليلى وابن شبرمة محاججات استظهر فيها عليهم وشهد له الصادق عليه السلام بالجنة ولم يتوقف في وثاقته وموالاته للأئمة علماء الرجال.

أميال من المدينة أسسها أبو الحسن الأول موسى بن جعفر عليه السلام فدخلوا القصر والناس محتشدون فيه فجلسوا مع الناس وبينا هم على هذا إذ خرج عبد الله بن موسى بن جعفر فقال الناس هذا صاحبنا فصاح الفقهاء إنا قد روينا عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: لا تجتمع الإمامة في أخوين غير الحسن والحسين عليهما السلام فليس هذا بصاحبنا فقال رجل: ما تقول ـ أعزك الله ـ في رجل طلّق امرأته عدد نجوم السماء قال عبد الله بانت منه بصدر الجوزاء والنسر الطائر والنسر الواقع فتداخل على من حضر غم وحيرة[1].

فقال آخر: ما تقول في رجل أتى بهيمة، قال عبد الله: تقطع يده ويجلد مائة وينفى من البلد فكبرت على القوم هذه الفتيا إذ لم يسمعوا بمثل هذه الأحكام عمن مضى من المعصومين عليهم السلام وكثر لغط الحاضرين وقالوا: لقد حالت الإمامة وأرادوا الانصراف.

وبينا هم على هذا إذ فتح باب من صدر المجلس وخرج موفق الخادم بين يدي أبي جعفر عليه السلام وخرج الجواد عليه السلام عليه قميصان وإزار عدني وعمامة بذؤابتين إحداهما من قدام والأُخرى من خلف وفي رجليه نعلان بقبالين فسلم وجلس فأمسك الناس كلهم هيبة له وإجلالاً لما شاهدوا من أنوار النبوة وأُبهة الخلافة

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٩.

الإلهية وبعد أن استقر في المجلس سأله صاحب المسألة الأولى فقال عليه السلام: اقرأ في كتاب الله تعالى الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان يعني في الثالثة[١] والطلاق لا يكون إلا بخمس: شهادة شاهدين عدلين في طهر من غير جماع بإرادة عزم يا هذا هل ترى في القرآن عدد نجوم السماء قال لا[٢].

وقال عليه السلام في جواب المسألة الثانية يعزر الفاعل ويحمى ظهر البهيمة وتخرج من البلد لئلا يبقى على الرجل عارها[٣] ويغرم ثمنها ويحرم ظهرها ونتاجها وتخرج إلى البرية حتى تأتي عليها منيتها سبع يأكلها أو ذئب فقال الرجل إن عمك أفتى بكذا وكذا فقال الجواد عليه السلام يا عم إنه لعظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك لم أفتيت عبادي بما لا تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك قال عبد الله رأيت أخي الرضى عليه السلام أفتى بمثل هذا فعرَّفه أبو جعفر الجواد عليه السلام باختلاف المسألتين فإنه سئل عن نباش نبش قبر امرأة فسرق كفنها وفجر بها فأمر بقطعه للسرقة والحد للزنا والنفي للتمثيل ولو كان محصناً لوجب القتل[٤].

---

(١) إثبات الوصية: ص١٨٥.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٩.

(٣) إثبات الوصية: ص١٨٥.

(٤) مناقب ابن شهرآشوب: ج٤، ص٦٩٨، ط. الأعلمي.

ففرح الحاضرون ببلوغهم الغاية وأبصروا ألق الإمامة ورسخت عقيدتهم بالولاء له وانثال الناس عليه يسألونه عما أبهم عليهم من أمر الدين حتى سألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة[١].

وقال له موسى بن القاسم: أردت أن أطوف عنك وعن أبيك فقيل لي إن الأوصياء لا يطاف عنهم، فقال عليه السلام: طف ما أمكنك فإن ذلك جائز. وبعد ثلاث سنين قال له: إني أستأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك فأذنت لي في ذلك فطفت عنكما ما شاء الله ثم وقع في قلبي شيء فعملت به قال: ما هو، قلت: طفت يوماً عن رسول الله فقال عليه السلام ثلاث مرات: صلى الله على رسول الله، ثم اليوم الثاني عن أمير المؤمنين واليوم الثالث عن الحسن والرابع عن الحسين والخامس عن علي بن الحسين والسادس عن

---

(١) استبعاد ما في الحديث باستلزام ذلك ثلاث ختمات للقرآن لو كانت كل مسألة بيتاً واحداً في غير محله بعد احتمال أن يكون إشارة إلى كثرة ما يستنبط من كلامه المشتمل على القواعد الكلية المتفرع منها أحكام كثيرة كما في البحار ويقوي صاحب صحيفة الأبرار: ص٣٠٠، احتمال أن يكون أكثر الأسئلة لا يبلغ مع الجواب عشرين حرفاً كأن يسأل ما (قاف) فيقول جبل محيط بالدنيا وما (صاد) فيقول عين تحت العرش وهل يجوز المسح على الخفين والتأمين في الصلاة والتكتف فيقول لا إلى أمثال ذلك والأصوب احتمال عرض الكتب والطوامير المشتملة على المسائل الكثيرة ويكون التوقيع بخارق العادة وقد صدر من آبائه مثله كثيراً.

أبي جعفر محمد بن علي والسابع عن جعفر بن محمد والثامن عن أبيك موسى والتاسع عن أبيك علي والعاشر عنك يا سيدي وهؤلاء الذين أدين الله بولايتهم فقال عليه السلام: إذاً والله تدين الله بالدين الذي لا يقبل من العباد غيره، فقال له: وربما طفت عن أمك فاطمة وربما لم أطف فقال عليه السلام: استكثر من هذا فإنه أفضل ما أنت عامله[1].

وكتب إليه أبو طالب القمي أبيات شعر ذكر فيها أباه وسأله أن يأذن له في القول فيه فقطع أبو جعفر عليه السلام الشعر وكتب إليه في صدر ما بقي من القرطاس: قد أحسنت فجزاك الله خيراً اندبني واندب أبي[2].

وسأله الشريف عبد العظيم الحسني عن المهدي عليه السلام فقال: المهدي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره وهو الثالث من ولدي وإن الله يصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمه موسى عليه السلام حيث ذهب ليقتبس لأهله ناراً.

هو سمّي رسول الله وكنيّه تطوى له الأرض وقيل له القائم لأنه يقوم بعد موت ذكره وارتداد النفر من القائلين بإمامته وسمّي

---

(١) فروع الكافي بهامش مرآة العقول: ج٣، ص٢٨٤، في باب الطواف والحج عن الأئمة عليهم السلام.

(٢) رجال الكشي: ص٣٥٠.

المنتظر لأن غيبته يطول أمرها فينتظر خروجه المخلصون وينكره المرتابون ويهلك المستعجلون[١].

وكتب إليه علي بن مهزيار أن خيران الخادم وجه إليه ثمانية دراهم أُهديت إليه من طرسوس وكانت منهم فهل تأمر بقبولها فكتب إليه عليه السلام إذا أُهدي إليك دراهم أو غيرها اقبلها فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يردّ هدية على يهودي أو نصراني.

وكتب عليه السلام إلى ابن مهزيار جواباً عما كتبه إليه وفيه: لقد فهمت ما ذكرت وزادني سروراً فسرك الله وأنا أرجو من الكافي الدافع أن يكفيني كيد كل كائد إن شاء الله وأسأل الله أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك وفي كل حالاتك وأبشر فإني أرجو أن يدفع الله عنك وأسأل الله أن يجعل لك الخيرة في ما عزم لك من الشخوص في يوم الأحد فأخر ذلك إلى يوم الاثنين صحبك الله في سفرك وخلفك في أهلك وأدى عنك أمانتك وسلمك بقدرته فاشخص إلى منزلك صيرك الله إلى خير منزل في دنياك وآخرتك.

وقد فهمت ما ذكرت من أمر القميين خلصهم الله وفرج عنهم وسررتني بما ذكرت من ذلك ولم تزل تفعله سرّك الله بالجنة ورضي عنك برضائي عنك وأنا أرجو من الله العفو والرأفة وأقول حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) الخرائج للراوندي: ص١٩٩، ط. الهند.

وأما ما سألت من التحليل لما في يديك فوسع الله عليك ولمن سألت له التوسعة في أهلك ولك يا علي ما عندي أكثر من التوسعة وأنا أسأل الله أن يصحبك بالتوسعة والعافية ويقدمك عليه إنه سميع عليم.

وأما ما سألت من الدعاء فإنك لست تدري كيف جعلك الله عندي وربما سميتك باسمك ونسبك مع كثرة عنايتي بك ومحبتي لك ومعرفتي بما أنت إليه صائر فأدام الله لك أفضل ما رزقك من ذلك وبلَّغك بيتك وأنزلك الفردوس الأعلى برحمته إنه سميع الدعاء حفظك الله وتولاك ودفع السوء عنك برحمته[١].

وكتب إليه: يا علي أحسن الله جزاك وأسكنك جنته ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة وحشرك الله معنا يا علي قد بلوتك وخبرتك في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليك فلو قلت إني لم أرَ مثلك لرجوت أن أكون صادقاً فجزاك الله جنّات الفردوس نُزُلاً فما خفي عليَّ مقامك ولا خدمتك في الحرّ والبرد وفي الليل والنهار فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمة تغتبط بها إنه سميع الدعاء[٢].

---

(١) رجال الكشي: ص٣٤١.

(٢) الاختصاص للشيخ المفيد مخطوط. وذكر النجاشي في الفهرست: ص١٧٧، أن أباه كان نصرانياً وقد منّ الله تعالى على علي بمعرفة هذا الأمر وهو صغير وتفقه ولزم أبا الحسن الرضا والجواد والهادي عليهم السلام وتوكل لهم وكان ثقة في الرواية صحيح الاعتقاد لا يطعن فيه وفي رجال=

وسأله أبو هاشم الجعفري عن معنى قوله تعالى ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ فقال عليه السلام: إن أوهام القلوب أرقّ من أبصار العيون وأنت قد تدرك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك وإنه سبحانه وتعالى لا تدركه أوهام القلوب فكيف تدركه أبصار العيون[1].

مع الخلفاء

لم يكن تظاهر المأمون بالتزلف إلى الأئمة الأطهار بتقريب الإمام الجواد عليه السلام وتزويجه من ابنته أم الفضل وإكبار أبيه من قبل وتوليته العهد ورفع مقامه بين الناس وما صدر منه من الاحتجاج مع العباسيين، عن إيمان خالص وولاء لا تمازجه الأغراض المستهدفة وقد ظهر على فلتات لسانه وما انطوى عليه ضميره فإنه لما عزم على عقد الخلافة لأبي الحسن عليه السلام أتاه عبد الله بن سهل ابن نوبخت وكان صاحب سره وله معرفة بالنجوم فعرَّفه بأن الوقت الذي اختاره ذو الرياستين للبيعة لا يتم إلا بقتل المعقود له

= الكشي ص٣٤٠ إذا طلعت الشمس سجد فلا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من إخوانه قبل نفسه وفي تنقيح المقال للحجة الشيخ عبد الله المامقاني ج٢، ص٣١١ اسم أبيه إبراهيم ولكنه اشتهر بالنسبة إلى جده مهزيار ودفع الاستبعادات في تشرفه بخدمة الإمام المنتظر عجل الله فرجه وكان دورقيّ الأصل وهي كما في معجم البلدان بلدة بخوزستان.

(١) التوحيد للصدوق.

لأن المشتري وإن كان في بيت شرفه إلا أن السرطان برج منقلب وفي بيت العاقبة وهو نحس وقد خفي هذا على ذي الرياستين فاستصوب المأمون رأيه لأن له معرفة بعلم النجوم ولكن حذره من إطلاع ذي الرياستين عليه لئلا ينتقض عزمه ثم عرَّفه السر الدقيق في إقدامه على عقد الخلافة وذلك أنه رأى آل أبي طالب مختفين من حكومة بني العباس حذار سطوتهم وقد اعتقد بهم العوام ما اعتقدوه بالأنبياء وقالوا فيهم ما يخرجهم عن الشريعة بالغلو وأراد معاقبة العامة على ذلك إلا أنه فكر إذا فعل بهم ازداد إغراؤهم ولم يأمن من سعي الطالبيين في نقض ملكه فنظر في الأمر نظراً دقيقاً وهو أنهم لو ظهروا ورأوا منهم فسق الفاسق وظلم الظالم لسقطوا من أعينهم ولانقلب مدحهم ذماً ولو أعلن لهم الأمان وأُمروا بالظهور لخافوا وتستروا وظنوا السوء بهذا الإعلان فالرأي الصحيح أن يقدّم شيخهم وعميدهم للإمامة فإذا رأوا ذلك أنسوا وظهروا واطمأنوا من وخامة العاقبة وظهر ما عندهم من الحركات الموجودة في الآدميين فيتحقق للعوام حالهم ودؤوبهم على منافيات الشريعة وإذا تحقق هذا وتبين لهم حال ولد علي بن أبي طالب من ارتكاب الشهوات أزلت من أقمته ورددت الأمر إلى حالته الأولى[1].

---

(١) نعرف من هذا الحديث وأمثاله السر في امتناع الإمام الرضا عليه السلام من قبول=

وقوي هذا الرأي في نفس المأمون وكتم باطنه عن خواصه وأظهر للفضل بن سهل أنه يريد أن يقيم إماماً من آل أبي طالب وأنه فكر في من يصلح لذلك فلم يرَ أقدم وأولى من أبي الحسن الرضا صلوات الله عليه ووافقه الفضل على ذلك وهو لا يعلم باطن الأمر وأخذ يعمل لاختيار وقت البيعة باختيار طالع السرطان وفيه المشتري[1].

وهذا الحديث يوقفنا على السر الدقيق في تظاهر المأمون بالإحسان إلى أبي الحسن وابنه أبي جعفر الجواد عليهما السلام والإكثار من إطرائهما والمبالغة في التفضيل على قومه وعشيرته من بني العباس وغيرهم فإنه لم يقصد بكل ذلك إلا تهدئة خواطر شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الجائشة من جراء اضطهاد العترة الطاهرة وما قام به سلفه من شره الاستئثار باستئصال شأفة القوم والفتك الذريع بهم فأراد بذلك تسكين فورة القلوب عسى أن يتدارك ما فات آباءه من خرق لا يسده رقاء ثم ينال من الإمامين عليهما السلام بصورة مستورة لا

= ولاية العهد وإلا فليس من المعقول أن يردّ إمام الأُمة حقاً واجباً له وقد خلي بينه وبينه مع رفع الحواجز.

(١) أخبار الحكماء للقفطي: ص١٤٩، ونقله الطبرسي في إعلام الورى: ص١٩٤، والشريف ابن طاووس في فرج المهموم: ص١٤٢، طبع النجف عن الفضل بن سهل عن أخيه والظاهر أنه المذكور في أخبار الحكماء.

تتسرب إليه معها تهمة وقد أصاب بعض الغرض حتى إنك تجد إلى الآن من يشكك في إقدامه على سم الإمام الرضى عليه السلام[١].

إلا أن المستشف لتاريخ الرجل مع الإمامين عليهما السلام لا يشك في أنه كان في فجوات احتفائه بهما يتربص بهما الدوائر ويحاول إسقاط محلهما ويدبر الحيلة في اتهامهما فلعله يجد مساغاً إلى قتلهما.

---

(١) لم يتوقف المحققون من العلماء في إقدام المأمون على سم الرضى عليه السلام فلقد رواه الشيخ الصدوق في العيون والأمالي من طرق كثيرة واعترف به الشيخ المفيد في الإرشاد، والطبرسي في إعلام الورى، والفتال في روضة الواعظين، والكفعمي في المصباح، والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية، والسيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز، وابن أمير الحاج في شرح ميمية أبي فراس، والحر العاملي في المنظومة، والفتوني في المنظومة، والسيد محمد جد بحر العلوم في رسالته مواليد الأئمة، والشيخ محمد حسين الأصفهاني في أرجوزته، ومن علماء العامة الخزرجي في خلاصة تذهيب الكمال، وهو الظاهر من ابن حجر في تهذيب التهذيب، والهيثمي في الصواعق المحرقة، وابن طلحة في مطالب السؤول، وابن الصباغ في الفصول المهمة، واليعقوبي في تاريخه، والشبلنجي في نور الأبصار، وجماعة أُخرى نسبوه إلى القيل منهم ابن خلكان في الوفيات، واليافعي في مرآة الجنان، وابن العماد في شذرات الذهب، وظاهره أن وجود القائل لم يكن مستحدثاً بل النسبة لها أثر حتى في زمان هؤلاء ومع هذا فلا يُعبأ بما في الطبري كما شرحنا ذلك في كتاب الإمام الرضى عليه السلام.

فمن ذلك ما رواه محمد بن الريان من أن المأمون احتال على أبي جعفر الجواد بكل حيلة فلم يمكنه شيء فيه فلما أراد أن يبني عليه بابنته دفع إلى مائة وصيفة من أجمل ما عنده جاماً فيه جوهر وأمرهن أن يستقبلن أبا جعفر إذا قعد في موضع الأختان فلم يلتفت إليهن الإمام وكان رجل يقال له مخارق صاحب صوت وعود طويل اللحية فقال للمأمون أنا أكفيك أمره فقعد بين يدي أبي جعفر عليه السلام وشهق بصوته فاجتمع إليه من في الدار وأخذ يضرب بعوده ويغني فرفع أبو جعفر عليه السلام إليه رأسه وصاح به اتقِ الله يا ذا العثنون فسقط العود من يده وبطلت حركتها ولم ينتفع بيده إلى أن مات وسأله المأمون عما دهاه فقال: لما صاح بي أبو جعفر عليه السلام فزعت فزعة أدهشتني ولم أفق منها أبداً[1].

هذه هي الغايات التي يتوخاها المأمون في أبي جعفر عليه السلام وأبيه من قبل غير أن الله سبحانه وتعالى كلأ الإمام الجواد عليه السلام عن كل ذلك فلم يستطع المأمون أن ينال من أبي جعفر ابن الرضى عليه السلام ولا أن يريد سوءاً غير غصب الخلافة الذي لم يزل هو وآباؤه يقاسونه من طواغيت زمانهم.

فأبقى ذلك الشقاء الخالد والخزاية الأبدية لأخيه المعتصم الفظ الغليظ الذي عاد بعمله فضضاً من اللعنة وقد ساجل الصخر

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٩.

قلبه فكان أقسى منه وكاثرت الحصى مساوئه فكثرتها وقد فاتته الرأفة على بضعة النبوة وفقدته الرحمة من شتى نواحيه فاصطلى جهنم بين نار الضغائن بقلبه ونار لظى في قبره ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فخط له قلم الجماح في صحيفة المهانة من شية العار ما رتل حروفه الملوان وأحسن من خلد له صغار الأبد دعبل الخزاعي رضوان الله عليه إذ قال:

بكى لشتات الدين مكتئب صب ... وفاض بفرط الدمع من عينه غرب
وقام إمام لم يكن ذا هداية ... فليس له دين وليس له لب
وما كانت الأنباء تأتي بمثله ... يملك يوماً أو تدين له العرب
ولكن كما قال الذين تتابعوا ... من السلف الماضين إذ عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة ... ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة ... خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
وإني لأُعلي كلبهم عنك رفعة ... لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم ... وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان[1] يسلم ثلمة ... يظل لها الإسلام ليس له شعب

---

(١) في الآداب السلطانية للفخري ص١٧٤: كان وزيراً للمعتصم عامياً لا علم عنده رديء السيرة جهولاً بالأمور نكبه المعتصم وأخذ أمواله فبقي يتنقل في الخدمات حتى مات أيام المستعين.

وقال لما مات المعتصم معارضاً أبيات ابن الزيات:

قد قلت إذ غيبوه وانصرفوا في شر قبر لشر مدفون
اذهب إلى النار والعذاب فما خلتك إلا من الشياطين
ما زلت حتى عقدت بيعة من أضر بالمسلمين والدين[1]

قال أرباب السيرة: لما قام المعتصم بالأمر بعد المأمون ومضى له سنة ونصف كثر عليه القول باختلاف الناس إلى أبي جعفر الجواد وأخذهم المسائل عنه وكثرت دلائل إمامته فأهمه الأمر وأشخصه من المدينة إلى بغداد فدخلها في الثامن والعشرين من المحرم سنة **٢٢٠** وحبسه سنة[2] ولم يأذن لأحد بالدخول عليه وكان يتربص الحيلة في الفتك به فأوعز إلى جماعة من خاصته أن يشهدوا عليه زوراً بأنه يريد الخروج عليه فأحضر الإمام عليه السلام وعاتبه فأنكر عليه السلام ذلك فدعا المعتصم بالشهود فشهدوا بأنه أراد الخروج عليه وههنا لم يستطع أبو جعفر أن يغض الطرف على مثل هذا المنكر الذي أريد فيه الإتيان على شخص الإمام الحجة واستئصال بقية الله مع علمه بتأخر القضاء الواجب عليه التسليم لأجله فأراهم من آيات الخلافة الإلهية ما أبهر عقولهم وهو يقظة لكل يقظان حين رفع يديه بالدعاء قائلاً اللهم إن كانوا

---

(١) الأغاني: ج١٨، ص٤٠.

(٢) الإرشاد للمفيد ومناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٢٧.

كذبوا علي فخذهم فنظر الحاضرون إلى المكان يرجف بهم يذهب ويجيء وكلما قام واحد سقط لوجهه فقال المعتصم يابن رسول الله أنا تائب مما قلت فادعُ الله أن يسكنه بنا فقال الجواد عليه السلام: اللهم أسكنه فسكن المكان وعادت إلى الحاضرين نفوسهم[١].

ولم يجدِ هذا المعجز في نفس المعتصم ولا خفف من غلوائه فهذا زرقان صاحب القاضي أحمد بن أبي دؤاد[٢] يحدث أن سارقاً جيء به إلى المعتصم وقد أقر على نفسه بالسرقة وأراد

---

(١) الخرائج للراوندي: ص١٠٦.

(٢) في تاج العروس دؤاد كغراب وفي وفيات الأعيان بضم الدال المهملة وفتح الواو بعدها ألف ثم دال مهملة واسمه فرج بالجيم المعجمة وعند بعضهم بالحاء المهملة وصحح ابن كثير في البداية أن اسمه كنيته ولم يتعرض أحد ممن ترجمه إلى سبب الكنية وكيف كان فقد ولد أحمد بالبصرة سنة ١٦٠ ونشأ بها ودان بمذهب الاعتزال لاتصاله بأربابه ثم انتقل إلى بغداد واتصل بالمأمون فأعجبه وأوصى المعتصم بملازمته وألا يخالف رأيه فعمل المعتصم بالوصية وتمكن ابن أبي دؤاد منه في كثير من الأمور السياسية وكانت له ولاية القضاء وعند وفاته أوصاه بالصلاة عليه وفي سنة ٢٣٣ أصابه الفالج فألزمه الفراش وقام ابنه محمد مقامه ثم غضب عليهما المتوكل فأخذ أموالهم وحبس محمداً وإخوته وفي سنة ٢٤٠ مات احمد ببغداد ودفن بداره بعد وفاة ابنه محمد بعشرين يوماً ترجمته في (وفيات الأعيان والبداية: ج١٠، ص٣١٩، وتاريخ القضاء في الإسلام: ص١٨٣).

الخليفة تطهيره بالحد فسأل الفقهاء الذين عنده عن حد القطع فاختلفوا فيه فقال ابن ابي دؤاد يقطع من الكرسوع لأن اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع والله تعالى يقول: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۚ﴾ ووافقه جماعة ممن حضر وقال آخرون: يقطع من المرفق لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ فالتفت المعتصم إلى الجواد وسأله عن الحكم فاستعفاه فلم يقبل إلا أن يذكر ما عنده فقال عليه السلام: أما إذا أقسمت علي بالله فإني أقول إنهم أخطأوا فيه السنة فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف لقول رسول الله صلى الله عليه وآله السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ له يد يسجد عليها وقد قال الله تبارك وتعالى ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾.

فأعجب المعتصم كلامه وأمر بقطع يد السارق من مفصل أصول الأصابع دون الكف[1].

وحدث أحمد بن الفضل الخاقاني من آل رزين قال: قطع الطريق (بجلولاء) على السابلة من الحجاج وغيرهم وأفلت القطاع وطلبهم العامل إلى أن ظفر بهم فكتب بخبرهم إلى

---

(١) الوسائل للحر العاملي: ج٣، في حد السرقة عن تفسير العياشي.

المعتصم فجمع الفقهاء وفيهم ابن أبي دؤاد وسألهم عن الحكم فقالوا قد سبق فيهم حكم الله فإنه يقول: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾.

ولأمير المؤمنين أن يحكم بأي ذلك شاء فالتفت المعتصم إلى الجواد عليه السلام وسأله عما عنده من الحكم فعرَّفه عليه السلام بأن الواجب النظر في هؤلاء الذين قطعوا الطريق فإن أخافوا السبيل فقط ولم يقتلوا أحداً ولا أخذوا مالاً أُودعوا السجن وهذا معنى نفيهم من الأرض بإخافتهم السبيل وإن أخافوا السبيل وقتلوا النفس قُتلوا وإن أخافوا السبيل وقتلوا النفس وأخذوا المال قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبوا بعد ذلك.

فكتب المعتصم إلى العامل أن يفعل بهم كما حكم أبو جعفر عليه السلام[1] فكبر هذا على ابن أبي دؤاد وهو قاضي القضاة وبحكمه تفصل الخصومات فتمنى الموت وأن لا يسمع بمثل هذا ولم تدعه نفسه الشريرة ألّا يتحرى الوقيعة بحجة الوقت وإمام الأمة فجاء إلى المعتصم بعد ثلاثة أيام مظهراً للنصيحة الواجبة عليه وفي ما قال إن حق أمير المؤمنين علي لازم ونصحه بما فيه

---

(١) الوسائل للحر العاملي: ج٣، ص٤٥٥ في باب حد المحارب عن تفسير العياشي.

بقاء ملكه واستقرار أمره لا أحيد عنه وإن أوجب دخول النار فاستفز المعتصم من ذلك وسأله عما دهاه فقال ابن أبي دؤاد إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته لأمر واقع في الدين وسألهم عن الحكم فعرَّفوه بما ثبت لديهم بحضور وزرائه وقواده وأهل بيته وتسامع به العامة من وراء بابه ثم يعدل عنه ويأخذ بقول رجل تقول أكثر هذه الأمة بإمامته وإنه الأوْلى بالمقام من أمير المؤمنين فكيف يأمن من انتقاض الحالة عليه فكأن المعتصم نائم واستيقظ فتغير وجهه وتلون وجزاه عن نصيحته خيراً[1] وعزم على الفتك به ليأمن الغائلة التي نبهه عليها القاضي فاختلى بجعفر بن المأمون لعلمه بانحرافه عن أبي جعفر الجواد عليه السلام فإنه لم يزل ساعياً في قتله فذكر له ما عليه الناس من الخضوع لإمامة الجواد عليه السلام وما يترتب عليه من نقض أساس ملكهم ورجوع الأمر إلى آل أبي طالب فقوي عزمه على الفتك به واجتمع رأيهما على إتيانه من طريق زوجته أم الفضل لتغيرها عليه من جهة تفضيله أُم الهادي عليه السلام عليها مع أنها لم ترزق منه ولداً فدخل جعفر على أخته أم الفضل وكانت من أمه وأبيه فأشار عليها بأن تسمّ أبا جعفر الجواد عليه السلام فأجابته إلى ذلك[2].

---

(١) البحار: ج١٢، ص٩٩، عن تفسير العياشي.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي: ص١٩٠ النجف.

وعمدت إلى سم وضعته في منديل وبعد أن أصاب منها دفعته إليه فلما علم قرب الأجل المحتوم ونزول القضاء أخذه منها وقضى فيه حاجته وبعد أن نفذ السم فيه وأحس بحرارته تغير لونه فندمت وبكت على هذه الفعلة التي تزلزل الجبال الرواسي وتنفطر لها السموات.

فقال عليه السلام: ما بكاؤك والله ليضربنك الله بعقر لا ينجبر وبلاء لا ينستر فابتليت (بناسور) في أغمض المواضع من بدنها فكانت العلة تنتقض عليها في كل وقت فأنفقت ما لها وجميع ما ملكته حتى احتاجت إلى الاسترفاد[1] وكانت تنتصب للاطباء فلم تنتفع

---

(١) إثبات الوصية: ص١٩٠ ودلائل الإمامة: ص٢٠٩، وعيون المعجزات: ص١١٨، وفي هذه الكتب انها سمته بعنب رازقي ويروي السيد هاشم البحراني في مدينة المعاجز: ص٥٣٦ أنه سم بطعام وفي مناقب ابن شهراشوب: ج٢، ص٤٣٠، أن المعتصم أنفذ إليه مع أشناس شراب حامض الأترج فيه الثلج وألزمه بشرابه ويبعد كل ذلك دعاء الإمام عليه السلام عليها بالبلاء الذي لا ينستر حتى أصيبت بالناسور في فرجها فإن هذا إنما يناسب حديث المنديل ولا استبعاد في سريان السم من المنديل إليه بعدما شهد التاريخ بوقوعه في آخرين ففي (الدرر الكامنة): ج٣، ص٢١٤، أن غازان محمود بن أرغون بن ابغابن هلاكوخان سمته زوجته بمنديل مسح به بعد الجماع. وفي تاريخ دول الإسلام ج٣ ص١٨٤ تأليف رزق الله منقربويس الصدفي أن بيري زوجة الشاه طهماسب بن الشاه إسماعيل =

بكل علاج حتى هلكت[١].

تعساً وبؤساً لابنة المأمون ... من غدرها لحقدها المكنون
فإنها سر أبيها الغادر ... مشتقة من أسوأ المصادر
فكم سعت إلى أبيها الخائن ... به لما فيه من الضغائن
حتى إذا تم لها الشقاء ... أتت بما اسودّ به الفضاء
ويل لها مما جنت يداها ... وفي شقاها تبعت أباها
بل هي أشقى منه إذا ما عرفت ... حق وليها ولا به وفت
ولا تحننت على شبابه ... ولا تعطفت على اغترابه

ولم تتأخر النقمة الإلهية عن جعفر بن المأمون فإنه سكر ذات يوم وأكثر من الشراب حتى اختل عقله وأخذ يتخبط فتردى في بئر أُخرج منه ميتاً[٢] ولعذاب الآخرة أشد وأخزى.

وبقي أبو جعفر بن الرضى عليه السلام يعاني حرارة السم في ليلته ويومه[٣] ومضى إلى ربه تعالى شهيداً صابراً مظلوماً يوم الثلاثاء

= سمته بمنديل دفعته إليه لما أصاب منها وفي (مقتل الخوارزمي): ج١، ص١٣٢، النجف، أن معاوية أرسل إلى جعدة بنت الأشعث منديلاً مسموماً مع خمسين ألف درهم على أن تسمّ الحسن عليه السلام به فلما أصاب منها دفعته إليه فكانت به منيّته.

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٢، ص٤٣٥.

(٢) إثبات الوصية: ص١٩٠.

(٣) مدينة المعاجز: ص٥٣٧.

على ساعتين من النهار[١] سنة **٢٢٠** عن خمس وعشرين سنة.

قضى شهيداً وهو في شبابه ... دس إليه السم في شرابه
أفطر عن صيامه بالسم ... فانفطرت منه سماء العلم
فانشقت السماء بالبكاء ... على عمود الأرض والسماء
وانطمست نجومها حيث خبا ... بدر المعالي شرفاً ومنصبا
وانتثرت كواكب السعود ... على نظام عالم الوجود
وكادت الأرض له تميد ... بأهلها إذ فقد العميد
تبكي على غربته الأملاك ... تنوح في صريرها الأفلاك
تبكيه حزناً أعين النجوم ... تلعن قاتليه بالرجوم
وناحت العقول والأرواح ... بل ناحت الأظلال والأشباح

وأُخرج نعشه من داره ووضع في أول رحبة أسوار بن ميمون من ناحية قنطرة البردان فصلى عليه الواثق[٢].

هذا على الظاهر وإلا فالمعتقد الحق أن المتولي لأمره ولده أبو الحسن الهادي عليه السلام لأن الإمام لا يتولّى أمره إلا إمام مثله إذ الذوات المشتقة من النور الأقدس لا يمسها عند مفارقة هذه الحياة وعروجها إلى (مبدأ الحق) جل شأنه إلا من كان من أهل هذه المرتبة والذي أحضر أباه الجواد وهو ابن سبع سنين من

---

(١) دلائل الإمامة لابن جرير: ص٢٠٨.
(٢) البحار: ج١٢، ص١٠١.

المدينة إلى خراسان ليقوم بشؤون الرضى عليه السلام قادر على أن يحضر الإمام الهادي عليه السلام من المدينة إلى بغداد لتجهيز أبيه المعصوم عليه السلام والصلاة عليه ودفنه وإن كان ابن ست سنين.

وحديث مناظرة الرضى عليه السلام مع علي بن حمزة شاهد له فإن أبا الحسن عليه السلام قال له أخبرني عن الحسين بن علي كان إماماً قال بلى فقال عليه السلام فمن ولي أمره قال ابن حمزة تولاه علي بن الحسين السجاد فقال عليه السلام فأين كان علي بن الحسين قال ابن حمزة كان محبوساً عند ابن زياد بالكوفة ولكنه خرج وهم لا يعلمون حتى ولي أمر أبيه ثم انصرف إلى السجن.

فقال الرضى عليه السلام إن من مكَّن علي بن الحسين أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه ثم ينصرف يمكَّن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه وليس في حبس ولا في إسار[1].

ولقد شيع أبو جعفر الجواد عليه السلام أحسن تشييع وجاءت به الشيعة إلى مقابر قريش فدفنوه في ظهر جده موسى بن جعفر عليه السلام[2] ولكن الأمر الأفظع أن روح الإسلام وريحانة الرسول وفلذة كبد البتول وسيد شباب أهل الجنة...

---

(١) إثبات الوصية: ص١٧٣.

(٢) نص عليه الكليني في أصول الكافي والشيخ المفيد في الإرشاد والطبرسي في إعلام الورى وابن شهر آشوب في المناقب والمسعودي في إثبات الوصية والحسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات.

غسلوه بدم الطعن وما كفنوه غير بوغاء الثرى
قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكسا
ميت تبكي له فاطمة وأبوها وعلي ذو العلا
لو رسول الله يحيى بعده قعد اليوم عليه للعزا
حملوا رأساً يصلون على جده الأكرم طوعاً وإبا
يتهادى بينهم لم ينقضوا عمم الرأس ولا حلّوا الحبا

تاريخ الشهادة

لا خلاف في شهادة أبي جعفر الجواد عليه السلام مسموماً في خلافة المعتصم سنة ٢٢٠ نص عليه الشيخ الصدوق في الاعتقادات وابن شهر آشوب في المناقب: ج٢، ص٤٣٥، والمسعودي في إثبات الوصية: ص١٩٠، وابن جرير الطبري في دلائل الإمامة: ص٢٠٩، والحسين بن عبد الوهاب في عيون المعجزات: ص١١٨، والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية: ص٢٢٧. والسيد هاشم البحراني في معالم الزلفى: ص٩٩، ومدينة المعاجز: ص٥٣٧ ولم يعاصر من الخلفاء غير المأمون والمعتصم فإنه بعد أن مضى من خلافته سنة ونصف أشخصه من المدينة إلى بغداد فبقي فيها سنة واستشهد عليه السلام.

نعم وقع الخلاف في شهر الوفاة ويومها على أقوال:

(الأول): ما هو المشهور آخر ذي القعدة نص عليه الشيخ

الكليني في الكافي وابن شهر آشوب في المناقب والطبرسي في إعلام الورى والفتال في روضة الواعظين والسيد في الأنوار النعمانية والشهيد الأول في الدروس والعلامة الحلي في المنتهى وابن حجر في الصواعق المحرقة.

(الثاني) خمس خلون من ذي الحجة ذكره المسعودي في إثبات الوصية وابن خلكان في الوفيات وابن جرير في دلائل الإمامة وسبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص**٢٠٢**.

(الثالث) ست خلون من ذي الحجة حكاه في كشف الغمة: ص**٢٨٨** عن دلائل الحميري عن محمد بن سنان.

(الرابع) خمس بقين من ذي الحجة ذكره ابن تغربردي في النجوم الزاهرة: ج**٢**، ص**٢٣١**..

(الخامس) ثلاث خلون من ذي الحجة ذكره ابن جرير الطبري في دلائل الإمامة قولاً.

(السادس) عاشر رجب ذكره الشيخ الكفعمي في الجدول وشارح ميمية أبي فراس في الجدول.

(السابع) أول ذي القعدة حكاه الشريف الحجة السيد محمد علي الشاه عبد العظيمي في الإيقاد قولاً.

(الثامن) حادي عشر ذي القعدة حكى في الإيقاد قولاً.

(**التاسع**) الثلاثين من ذي الحجة ذكر في جدول الإيقاد.

ملاحظة

من يعلم أن حاجة الناس إلى الإمام كحاجتها إلى النبي ﷺ لتوقف اتساق أنظمتها الدينية والدنيوية عليه لا يعزب عنه العلم بأنه مقتدى البشر في أعماله كما هو مقتداهم في أقواله فلهم به أسوة في تروكه وأفعاله وإذا جوزنا الإمامة للصبي وقلنا بأنه في وسع المولى سبحانه الذي قيضه لها أن يوفر له العلم والحكمة والحنكة في الأمور كلها صغيراً كما يوفرها له كبيراً وقد فعل ذلك بالماضين من الرسل فأرسل يحيى للنبوة صبياً وجعل عيسى في المهد نبياً.

فلا نرتاب في أن هذا المقام القدسي لا يلتئم مع شيء من مقتضيات الطفولة لأن أوقاته أثمن من أن يصرفها في ما لا يعنيه وإن فعل اقتدت به الأمة لخضوعها لإمامته واتخاذه ناموساً لا يتخطى عنه فتختل حينئذ شؤونها وتفسد أخلاقها ويسقط محله عندها ومن أجله وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ والسهو والنسيان والملاهي إلى غيرها وفي حديث معاوية بن وهب قلت للصادق عليه السلام ما علامة الإمام الذي هو بعد الإمام قال طهارة المولد وحسن المنشأ[1].

---

(١) قال المجلسي في البحار: ج٧، ص٢٠٣، بعد إيراد الحديث المراد من حسن المنشأ ظهور آثار الفضل عليه من حد الصبا إلى آخر العمر.

ولا يلهو ولا يلعب وقال عليه السلام لأبي جعفر الباقر عليه السلام وهو صغير بأبي أنت وأمي لا تلهو ولا تلعب[١].

وفي الأثر أن صبياً قال ليحيى بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال عليه السلام ما خلقنا للَّعب[٢].

وعلى هذا فما أرسله ابن طلحة الشافعي من حديث وقوف الإمام الجواد مع الصبيان لا يُعبأ به وإن تابعه آخرون لا يعرفون مقام الخلافة الإلهية ولا صفات المؤهل لها قال ابن طلحة (لما توفي علي الرضا وقدم الخليفة إلى بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أنه بعد ذلك خرج يتصيد فاجتاز بطرق البلد والصبيان يلعبون ومحمد واقف معهم وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها فلما أقبل الخليفة المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف أبو جعفر محمد فلم يبرح مكانه فقرب منه الخليفة فنظر إليه فكأن الله قد ألقى مسحة من قبول فوقف الخليفة وقال له يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان فقال محمد مسرعاً يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأُوسعه عليك بذهابي ولم تكن لي جريمة فأخشاها وظني بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له.

فوقف المأمون وأعجبه كلامه ووجهه فقال له ما اسمك قال

---

(١) البحار: ج١١، ص١٠٩.

(٢) النبراس في أحوال بني العباس: ص٩٦.

محمد قال ابن من أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا ابن علي فترحم على أبيه وساق إلى وجهته فلما بعد عن العمارة أخذ بازاً وأرسله على دراجة فغاب عن عينيه طويلاً ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة فأُعجب الخليفة من ذلك غاية العجب ثم أخذها من يده وعاد إلى داره في الطريق الذي أقبل منه فلما وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان يلعبون على حالهم فانصرفوا كما فعلوا أول مرة وابو جعفر لم ينصرف ووقف كما وقف أولاً فلما قرب منه الخليفة قال له يا محمد قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال له ما في يدي فألهمه الله تعالى أن قال يا أمير المؤمنين خلق الله تعالى بمشيئته في بحر قدرته سمكاً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء فيختبرون بها سلالة أهل النبوة فلما سمع كلامه المأمون عجب وجعل يطيل نظره إليه وقال أنت ابن الرضا حقاً وضاعف إحسانه إليه)[1].

وتابعه على نقلها ابن حجر في الصواعق المحرقة وابن الصباغ في الفصول المهمة والشبلنجي في نور الأبصار وعندهم تحديد عمر الجواد بتسع سنين وينص ابن شهر آشوب على أن الباز صاد حية فوضعها المأمون في بيت الطعم وقال لأصحابه قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي ثم عاد وابن الرضى

---

(١) مطالب السؤول: ص٨٧.

في جملة الصبيان فقال له المأمون ما عندك من أخبار السموات فقال نعم يا أمير المؤمنين حدثني أبي عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عن رب العالمين أنه بين السماء والهواء بحر عجاج متلاطم الأمواج فيه حيات خضر البطون رقط الظهور يصيدها الملوك بالبزاة الشهب يمتحن بها العلماء فقال صدقت وصدق آباؤك وصدق جدك وصدق ربك وأركبه معه وزوَّجه اهـ[1].

بهذا يتحدث علماء السيرة عن هذه الكرامة للإمام الجواد عليه السلام ولا بدع من علة الإيجاد ومدار الكائنات أن يطلعه المولى سبحانه على ما في الكون من عجائب فطرته ودقائق حكمته فيخبر العباد بما يكون له الحجة عليهم يوم فصل الخطاب وكم لأبي جعفر عليه السلام أمثال ذلك من أعلام الإمامة وبراهين الخلافة مما تحار له العقول ولكن ويا للأسف ألبسها رواة السوء ثوب الاستخفاف بالأئمة الهداة حتى أُلحقت بأمثالها من الموضوعات ولقد حذرنا أُمناء الوحي المبين عن الإذعان لهذا النحو من الكرامات ففي حديث إبراهيم بن أبي محمود قلت للرضا عليه السلام يابن رسول الله عندنا أخبار في فضائل أمير المؤمنين وفضلكم أهل البيت وهي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عنكم أفندين بها فقال يابن أبي محمود لقد أخبرني أبي عن أبيه

---

(١) المناقب: ج٢، ص٤٣٣.

عن جده عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من أصغى إلى ناطق فقد عبده فإن كان الناطق عن الله تعالى فقد عبد الله وإن كان الناطق عن إبليس فقد عبد إبليس.

ثم قال الرضى عليه السلام يابن ابي محمود إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو والثاني التقصير في أمرنا والثالث التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو فينا وسمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا وقد قال الله عز وجل ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾.

يابن أبي محمود إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا فإنه من لزمنا لزمناه ومن فارقنا فارقناه إن أدنى ما يخرج الرجل من الإيمان أن يقول للحصاة هذه نواة ثم يدين بذلك ويبرأ ممن خالفه يابن أبي محمود احفظ ما حدثتك به فقد جمعت لك فيه خير الدنيا والآخرة[1].

وعلى كل فإني ألفت نظر القارئ الكريم إلى الأخطاء الواقعة في حديث ابن طلحة الشافعي قال: (لما توفي الرضا وقدم

---

(١) البحار: ج٧، ص٣٣٢، عن العيون ولا يخفى أن النهي عن الاعتقاد بما تفرد به المخالفون من فضائلهم لا ينافي جواز الاحتجاج عليهم بأخبارهم فإنه لا يتأتى إلا بذلك.

المأمون إلى بغداد بعد وفاته بسنة اتفق أنه بعد ذلك خرج يتصيد فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون ومحمد واقف معهم وكان عمره يومئذ إحدى عشرة سنة فما حولها).

وقد أخطأ في تحديد عمره الشريف فإنه ذكر وفاة الرضا سنة **٢٠٣** فيكون للجواد ثماني سنين لأنه ولد سنة **١٩٥** ومن هنا عدل من وافقه على نقل هذه الحادثة كالهيثمي وابن الصباغ والشبلنجي عن هذا التحديد إلى التحديد بتسع سنين.

وقوله (ومحمد واقف معهم الخ) والخطأ فيه أن المأمون هو الذي أشخص الجواد من المدينة إلى بغداد وذلك في سنة **٢١١** ولأبي جعفر عليه السلام حينئذ **١٦** سنة كما عرفت في ما تقدم وقد كان إمام الشيعة ومرجعهم في حل ما أبهم عليهم من أمر الدين والدنيا وقد مضى على إمامته بعد أبيه ثماني سنين وإنما أشخصه إلى بغداد ليكون تحت رقابته فيعرف من يدخل عليه ويستنير برأيه فيكون على بصيرة في قمع من يريد التوثب عليه فهل والحالة هذه لا يعرف شخص الإمام الحجة حتى يحتاج إلى السؤال عن اسمه ونسبه ـ كلا ـ وقوله (ولما رجع المأمون وفي يده الباز الخ) ههنا نسأل المنصف عن الوقت الذي يستغرق سفر المأمون للصيد فلا أقل من الساعتين فهل يليق ذلك بأبي جعفر وهو الإمام والمرجع للشيعة بعد أبيه وقد مضى لإمامته ثماني سنين وعرفته الشيعة مفزعهم في المشكلات ـ حاشا ـ

ولو قيل بأن وقوفه مع الصبيان لنكتة إظهار المعجز قلنا إنا نعتقد في أئمة الدين القدرة على التصرف في الأشياء حسبما تقتضيه الحكم والمصالح وحينئذ كان على الإمام عليه السلام أن يجلس في بيته ويتصرف في نفس المأمون فيبعث إليه حينما يجمع العلماء للكشف عن تلك السمكة فيظهر المعجز بدون أن يرتكب ما لا يتفق مع مقامه القدسي.

على أنّا نعتقد في أئمة الهدى من آل الرسول عليهم السلام منذ نشأتهم لا يفترون عن الخشوع والرهبانية لله تعالى وأن جميع أوقاتهم مشغولة بالتسبيح والتقديس ولا يصدر منهم ما ينافي إقبال الناس عليهم والركون إليهم وأخذ معالم الدين منهم وكل أحد يعلم بتنفّر العامة والخاصة عن رجل لا حاجز له عن اللهو واللعب فيشغل فراغاً كبيراً من وقته بالنظر إلى ملاعب الصبيان.

ومما يشهد لذلك حديث إسحاق بن إسماعيل قال حججت في السنة التي خرج فيها الجماعة إلى أبي جعفر الجواد عليه السلام وقد أعددت له في رقعة عشر مسائل لأسأله عنها وكان لي حمل فقلت إذا أجابني عن مسائلي سألته أن يدعو الله بأن يجعله ذكراً فلما سأله الناس قمت والرقعة بيدي لأسأله عن مسائلي فلما نظر إلي قال لي يا إسحاق سمه أحمد فولد لي ذكر سميته أحمد فعاش مدة ومات.

وكان ممن خرج مع الجماعة علي بن حسان الواسطي

المعروف بالمنمِّس قال حملت معي إليه من الآلة التي للصبيان بعضاً من فضة وقلت أُتحف مولاي أبا جعفر بها فلما تفرق الناس وقد أجاب جميعهم مضى عليه السلام فاتبعته فلقيت موفقاً الخادم فقلت استأذن لي على أبي جعفر عليه السلام فدخلت وسلمت فردّ علي السلام وفي وجهه الكراهة ولم يأمرني بالجلوس.

فدنوت منه وفرغت ما كان بكمي بين يديه فنظر إلي نظر مغضب ثم رمى به يميناً وشمالاً وقال ما لهذا خلقني الله ما أنا واللعب فاستعفيته فعفا عني وخرجت[1].

وهذا الحديث كما يرشدنا إلى أن أبا جعفر عليه السلام كان بالمدينة يوم دخول الجماعة عليه في مصيرهم إلى الحج نعرف أنهم دخلوا عليه سنة وفاة أبيه الرضى عليه السلام لأن جماعة من شيوخ بغداد قصدوا الحج تلك السنة لمشاهدة أبي جعفر عليه السلام واختبار حاله من العلم والفضل وكان عمره تلك السنة ثماني سنيني لأنه ولد سنة ١٩٥ وتوفي أبوه سنة ٢٠٣.

ولقد أفادنا هذا الحديث بعض صفات الإمام وما يجب أن يكون عليه في جميع أطواره من الانصراف بكله إلى جهة مولاه سبحانه والفكرة في معارفه وبدائع صنائعه وما قيض له من بث التعاليم الصحيحة لتهذيب النفوس وأن أوقاته مصروفة إلى فكر أو

---

(١) مدينة المعاجز: ص٥٢٧، باب ٣٩.

ذكر أو عبادة أو دعوة إلى الله تعالى فلا تستهويه الملاعب ولا النظر إليها ولا هو بالذي يضيع أمداً طويلاً من وقته الثمين في ذلك وهذه الحالة شرع سواء فيها أئمة الدين في حالتي الصغر والكبر وقد مر عليك حديث يحيى بن زكريا (ما خلقنا للعب) وقول الصادق للباقر وهو صغير بأبي وأمي لا تلهو ولا تلعب.

هذا هو القول الفصل في المقام لكن رواة السوء الذين يتحرون الوقيعة في أئمة الدين ألصقوا بالحقيقة مثل هذه السفاسف وأفرغوها في قالب الفضيلة لتهوي إليها أفئدة الأمة؛ فمن خاضع للنقل يأخذ به على علاته فيترسّخ معها في قلبه أنّ الإمام عليه السلام كأحد من الناس الذين لا تبارحهم نواميس الطبيعة من مقتضيات الطفولة في الصغر وعوامل الشهوات، ومن منقب يجد أنّ مقياس الإمامة لا يلتئم مع هذه الزيادة في الحديث فيرمي جميع أجزائه بقوس واحد ويضعه في مدحرة البطلان غفلة عن حقيقة الحال وفي كل من هاتين الحالين لمن يريد السوء بأهل البيت وتشويه سمعتهم مأرب وأمل.

ومن الغريب أن المؤلفين لم يلتفتوا إلى هذه الدقيقة عند تدوين الحديث في كتبهم وفيهم البحاثة والنقاد كما خفي على الكثير منهم جملة من الموضوعات التي جاءت بها رواية المخالفين.

ثم إن حديث الباز والسمكة مروي بصورة أُخرى عن الإمام موسى ابن جعفر عليه السلام مع الرشيد وإليك نص الحديث وإن لم أضمن صحته:

كان للرشيد باز أبيض فأرسله في بعض متصيداته حتى غاب عن العيون فعاد وفي يده حيوان متحرك يلمع فأخذه من يده ولم يعرفه فسأل عنه الحكماء والفقهاء والأطباء والقضاة فلم يكن عندهم شيء من علمه فأشار عليه أبو يوسف بإحضار الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع جماعة من شيعته لكشف الحال عنه فلما حضر الإمام عنده قال له الرشيد يا أبا الحسن إنما أحضرتك شوقاً إليك فقال عليه السلام دعني من شوقك إن الله تعالى خلق بين السماء والأرض بحراً مكفوفاً عذباً زلالاً كف بعضه على بعضه من جوانبه لئلا يطغى على خزنته فينزل منه مكيال فيهلك ما تحته وخلق فيه سكاناً على صور السمك صغاراً وكباراً له رأس مثل الآدميين وله أنف وأذنان وعينان والذكر له سواد في وجهه مثل اللحى والإناث لها شعور في رأسها كشعر النساء وأجسادها كأجساد السمك له فلوس كفلوس السمك وبطون كبطونها ومواضع الأجنحة مثل الأكف والأرجل من الآدميين تلمع أرجلها لمعاناً عظيماً لأنها متبرجة بالأنوار كانت وظيفتها التقديس والتسبيح والتهليل والتكبير فإذا قصر أحدها في التسبيح كانت طعمة للبزاة البيض ولا يحل لك أن تأخذ من هذا الباز رزقه.

فنظر الرشيد إلى السمكة فإذا هي كما وصف أبو إبراهيم عليه السلام[1]

(١) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني: ص٤٦٨، باب ١٢٢، وقد اختصرناه.

المدح والرثاء

لحجة الإسلام آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني المتوفى سنة ١٣٦١ هـ

سبحان من جاد على الذوات ... بمقتضى الأسماء والصفات
فقد تجلى باسمه الجواد ... في مصدر الخيرات والأيادي
في عنصر النبوة الخيميّه ... بصورة الولاية العليه
حقيقة الأمانة المعروضة ... رقيقة الديانة المفروضة
صحيفة المكارم الجميلة ... لطيفة المعارف الجليلة
سر النبي خاتم النبوة ... في العلم والحكمة والمروة
ومهجة المخصوص بالأُخوة ... في الحلم والإباء والفتوة
سليل ياسين وسبط طاها ... فقد تعالى شرفاً وجاها
سلالة الخليل في وفائه ... وصفوة الصفي في صفائه
ساحل جوده هو الجودي ... به نجيّ ربنا نجّي
بل هو للكليم تاج رأسه ... في بطشه وفي شديد بأسه

بل هو روح الروح في ابن مريم ... وهو من الكلام أُم الكلم
وحشمة الله رهين نعمته ... في ملكه وعلمه وحكمته
ولا ترى في الأنبياء مكرمة ... إلا وفيه كل معنى الكلمة
ووجهه مصباح نور النور ... طلعته منصة الظهور
ونور وجهه كنور الباري ... يذهب بالألباب والأبصار
غرته بارقة الكمال ... شارقة الجلال والجمال
وعينه في عالم التكوين ... إنسان عين الحق واليقين
وقلبه عرش مليك المعرفه ... بل عرش من لا اسم له ولا صفه
وصدره خزانة الغيوب ... في سره مسرة القلوب
لسانه شريعة الأحكام ... لا بل لسان الوحي والإلهام
لسانه ينطق لا عن الهوى ... فإنه من الشديد في القوى
يمثل النبي في منطقه ... فإن هذا النور من مشرقه
كأنه أريد ذاك المنطق ... هذا كتابنا عليكم ينطق
كلامه أُم جوامع الكلم ... ومنه سر الكل في الكل علم
كلامه هو الكتاب الناطق ... آياته الغر هي الحقائق
حقيقة السبع المثاني ذاته ... والكلمات كلها آياته
سر علي في علو المنزلة ... فهو إذاً نقطة باء البسملة
ووجوده مصباح أنوار الهدى ... وَجوده مفتاح أبواب الندى
دليل أهل الأرض والسماء ... بل سره معلم الأسماء
وليس عندي عاليات الأحرف ... إلا رموز سر سره الخفي

هو الجواد لا إلى نهاية ... وجوده غاية كل غاية
هو الجواد بالوجود الساري ... وجوده مظهر جود الباري
هو الجواد المحض لا لغاية ... فإنه المبدأ والنهاية
وكل ما في الكون فيض جوده ... والجود كالذاتي في وجوده
ومن بديع جوده الإبداع ... فإنه في أمره مطاع
فالمبدعات من معالي همه ... والكائنات نبذة من كرمه
وجنة النعيم من نعمائه ... وكيف والجواد من أسمائه
هو الجواد بالعلوم والحِكم ... بل كل ما في الكون يسطر القلم
له يد المعروف بالمعارف ... فإنها قرة عين العارف
بل يده البيضاء تعالت عن صفه ... إذ هي بيضاء سماء المعرفه
وهي يد الجواد بالإفاضة ... أكرم بهذه اليد الفياضة
وباب أبواب المراد بابه ... والحرز من كل البلا حجابه
كهف الورى وغوث كل ملتجي ... في الضيق والشدة باب الفرج
وكعبة البيت لكل ناسك ... وقبلة الضراح للملائك
معتكف للتاليات ذكرا ... مختلف المدبرات أمرا
وهو مدار الفلك الدوار ... ومركز الثابت والسيار
والحجب السبعة سر بابه ... والحضرات الخمس في قبابه
والعرش كرسي بباب داره ... ومستوى الرحمة في جواره
كيف وباب الجود للجواد ... واسم الجواد مبدأ الإيجاد
وكم لأرباب العقول المرسله ... باب من الخير وباب الجود له

كل المعالي في أئمة الورى ... هو الجواد أولاً وآخرا
وكلهم أسماء حسنى الباري ... والجود مبدأ الوجود الساري
وكلهم جواهر الكنز الخفي ... واسم الجواد مبدأ التعرف
وكل اسم مبدأ العنايه ... واسم الجواد مبدأ وغايه
من جاد ساد فله السياده ... في ملكوت الغيب والشهاده
والمكرمات كلها في الجود ... أكرم به من خلق محمود
عين الرضا لا بد منه فيه ... فهو إذاً سر الرضا أبيه
بل هو كالكاظم في مراتبه ... فإنّ كظم الغيظ جود صاحبه
يمثل الصادق في ما وعدا ... إذ صادق الوعد جوادٌ أبدا
يمثل الباقر في المكارم ... فإن نشر العلم جود العالِم
يمثل السجاد في فضائله ... فإن بذل الجود جود باذله
وليس كالشهيد من جواد ... بالنفس والأموال والأولاد
ومن كعمه الزكي المجتبى ... فإنه الكريم من آل العبا
بل حلمه من جود العظيم ... فلا أحق منه بالتكريم
هو الجواد صفوة الأجواد ... ونخبة الوجود والإيجاد
يمثل المبدأ جوداً جوده ... والمثل الأعلى له وجوده
كل مبادي الجود والإيجاد ... لا تنتهي إلّا إلى الجواد
كأن ماء الحيوان جوده ... حياة كل ممكن وجوده
وليس في الأيدي يد الأيادي ... على الورى إلا يد الجواد
ولا يد المعروف إلا يده ... فهو لكل مصدر مورده

هو الجواد لا جواد غيره ... لا خير في الوجود إلا خيره
وجاد بالتكوين والتشريع ... بمقتضى مقامه المنيع
حتى إذا لم تبقَ منه باقية ... جاد بأنفَس النفوس الراقية
جاد بنفسه سميماً ظاميا ... نال من الجود مقاماً ساميا
والعروة الوثقى التي لا تنفصم ... تقطعت ظلماً بسمِّ المعتصم
قضى شهيداً وهو في شبابه ... دس إليه السم في شرابه
أفطر عن صيامه بالسم ... فانفطرت منه سماء العلم
وانشقت السماء بالبكاء ... على عماد الأرض والسماء
وانطمست نجومها حيث خبا ... بدر المعالي شرفاً ومنصبا
وانتثرت كواكب السعود ... على نظام عالم الوجود
وكادت الأرض له تميد ... بأهلها إذ فقد العميد
قضى بعيد الدار عن بلاده ... وعن عياله وعن أولاده
تبكي على غربته الأملاك ... تنوح في صريرها الأفلاك
تبكيه حزناً أعين النجوم ... تلعن قاتليه بالرجوم
وناحت العقول والأرواح ... بل ناحت الأظلال والأشباح
صبت عليه أدمع المعالي ... هدت له أطوادها العوالي
بكت لربانيها العلوم ... ناحت على حافظها الرسوم
قضى شهيداً وبكاه الجود ... كأنه بنفسه يجود
يبكي على مصابه محرابه ... كأنه أصابه مصابه
تبكي الليالي البيض بالضراعه ... سوداً إلى يوم قيام الساعه

تعساً وبؤساً لابنة المأمون من غدرها لحقدها المكنون
فإنها سر أبيها الغادر مشتقة من أسوأ المصادر
قد نال منها من عظائم المحن ما ليس ينسى ذكره مدى الزمن
فكم سعت إلى أبيها الخائن به لما فيها من الضغائن
حتى إذا تم لها الشقاء أتت بما اسودّ به الفضاء
سمته غيلة بأمر المعتصم والحقد داء هو يعمي ويصم
ويل لها مما جنت يداها وفي شقاها تبعت أباها
بل هي أشقى منه إذ ما عرفت حق وليها ولا به وفت
ولا تحننت على شبابه ولا تعطفت على اغترابه
تبت يداها ويدا أبيها مصيبة عز العزاء فيها

للعلامة الشيخ ميرزا محمد علي الاوردبادي الغروي

بأي ثناء اقتفي محكم الذكر بمدح بنيك المصطفين أولي الأمر
وإني وإن أفنيت فيهم مشاعري كمن شبه الطود الممنع بالذر
وإن كان في الآي الكريمة ذكرهم فماذا عسى أن يقتني فيهم شعري
فأيام تشريق بهم كل دهرهم وعن ليلهم يحكي السنا ليلة القدر
وآخر دعوانا أن الحمد كله لمن خصنا بعد الولاية بالشكر
فلي من علي والحسين وصنوه ذخائر تنجيني لدى موقف الحشر
وإن بزين العابدين وحبه يهون غداة الموت حشرجة الصدر
ولي من ولاء الصادقين وسيلة تطيب بها في برزخي نومة القبر

وفوزي في الدنيا بموسى بن جعفر ... ويصلح في يوم الحساب به أمري
وأرجو بمولاي الرضا كل حظوة ... لديه وأنجو عند مقتبل الضر
وهذا أبو الهادي سيصبح جُنتي ... متى أعوزت يوم اللقا جُنن النصر
له جذم فيه النبوة تزدهي ... وآصرة تزدان في طيِّب النجر
ونفس أناطت بالقديم حوادثاً ... مضت قيد أمر منه أو منتهى زجر
وقدسيُّ فيضٍ منه بث على الدنا ... فأثَّر في الأكوان طيباً على نشر
وإن قلت في حِلم فثهلان دونه ... وإن قلت في بأس ففي الجحفل المجر
وإن قلت في عزم يدك رواسي الـ ... ـجبال فأرسل بالمهندة البتر
وعن رأيه لوح المقادير نضدت ... صحائفه حيث القضاء بها يجري
ويستصغر الأطواد باذخ علمه ... كما استنزر الدأماء بالنائل الغمر
وفي مبدأ الإيجاد أول صادر ... له عنت الأشباح في عالم الذر
وقد نيطت الآفاق فيه بأنفس ... عليهن أضحى موئل النهي والأمر
لئن يمشِ في صقع الشهود فمستوى الـ ... ـقداسة منه شع في عالم الأمر
مُواليه في يوم التغابن رابح ... كما أن من ناواه فيه على خسر
وأرجو نجاة منه في يوم فاقتي ... كما طاب قبلاً في مودته نجري
ويا بعد أم الفضل مما أتت به ... لمعتصم في فعله بعرى الكفر
أحالت صباح الدين أسود فاحماً ... دجنة غيٍّ من جنوح إلى غدر
أبا جعفر أبكيت شرعة أحمد ... وغادرت طرف الدين أدمعه تجري
وأذكيت في الأحشاء جذوة لوعة ... عليك فأحنيت الضلوع على جمر

للعلامة الشيخ قاسم محيي الدين

بكيت على رسم درسن منازله ... وناحت لفرط الوجد فيه بلابله
وقفت بها والعين تنشر جفنها ... سحاباً وقد سحَّت نجيعاً هواطله
وقد غالني الدهر الخؤون بفادح ... به نسفت أطواد صبري زلازله
فأصبحت ترتاد الرزايا حشاشتي ... ومني نجيع الدمع فاضت جداوله
دهتني رزايا قد ألمّت بسيد ... فضائله مشهودة وفواضله
جواد خضم الجود أسرار كفه ... ولا زال تهمي البرَّ سحّاً أنامله
سليل الرضا سبط النبي محمد ... جواد الورى من لاَ يُخَيَّب سائله
أبو جعفر مدحي علاه فريضة ... وإن كبرت عن مدح مثلي نوافله
فبعداً لقوم لا تراعي عهوده ... ولم يرعَ فيه حق أحمد خاذله
فكم جرعته الهون قسراً فلم يزل ... حليف شجون دمعه سح هاطله
وكم ناضلته عصبة بسهامها ... عناداً وبغياً لا تزال تناضله
فأصمت حشا الدين القويم وإنها ... أصابت إماماً قد تعالت فضائله
وما نقموا منه سوى الفضل والعلى ... فظلت بفرط الجور غدراً تواصله
فأصبح رهناً للرزايا ومرتمىً ... لنبل كفور غال بالحتف غائله
فما حفظوا في قربه قرب أحمد ... غداة بعظم المكر قسراً تخاتله
إلى أن قضى بالسم ظلماً مجرعاً ... كؤوس عِداه والحتوف مناهله

وله أيضاً

إذا رمت الشفاعة في المعاد ... فلذ بحمى محمد الجواد

شفيعاً للأنام وخير غوث ... مغيث للورى يوم التناد
به الأملاك قد شرفت وفيه ... سمت شأواً على السبع الشداد
إمام لو دعا المقدور وافى ... لنافذ حكمه سلس القياد
مناقبه الثواقب ليس تحصى ... بها اعترف الموالي والمعادي
بأخمصه رقي أوج المعالي ... وطاول عرشها سامي العماد
جواد ما دعي للجود إلا ... غدت كفاه تهمي كالغوادي
فلا عجب إذا نعشو إليه ... فساطع نوره للخلق هادي
ومَن غير الجواد أبي عليٍّ ... شفيع الخلق في يوم المعاد
له فضل يفوق الرسل فيه ... وهل فضل حكى فضل الجواد
فيا لهفي له كم من ملمٍّ ... أراع حشاه من باغٍ وعاد
وكم من عصبة عضت عليه ... بنان الغيظ من فرط العناد
ألا بعداً لقوم لم يراعوا ... عهودكم وجدّوا بالفساد
فكم ساموكمُ حرباً فسالت ... دماؤكمُ كمنسكب العهاد
عتوا عن أمركم وبغوا إلى أن ... تطامنتم على شوك القتاد
سعيداً عشت في زمن يسير ... أجل ومضيت محمود الأيادي
قضيت بسمِّ أُم الفضل غدراً ... ولم تحفظ لكمُ حق الوداد
قضيت بظلم من ظلموك صبراً ... وجرَّعك العِدا صاب النكاد
بكاك الدين مذ قوضت حزناً ... عليك قد اكتسى ثوب الحداد
وفقدك قد أثار جوى لُؤيٍّ ... وغادرها محالفة السهاد
وأشجى قلب خير الرسل حزناً ... ومنه الدمع منهل الغواد

وأذكى في حشا الهادي عليٍّ لظى الأحزان وارية الزناد
وغادر فاطم الزهراء ثكلى مجللة برزئك في السواد
وأبكى المجتبى حسناً وأقذى مصابك مذ دهى عين الرشاد
وأبكى خير مقتول صريع بكته الأرض مع سبع شداد

للعلامة الشيخ محمد طاهر آل فقيه الطائفة الشيخ راضي قدس سره[1]

رضاك وكل ما أبغي رضاك فما شئت افعلي ودعي جفاك
على عيني عتابك إن عتبت إذا ما كان عتبك عن رضاك
معاتبتي على التشبيب فيها ولم أذكرك لا وعلا هواك
ذكرت من المها جيداً وعيناً ومن شجر القنا خوط الأراك
فبالله انصفي هل ذاك ذنبي يعد إذا هما لم يخطئاك
وقيل من الحبيبة قلت شمس فما انصرف الجواب إلى سواك
وحيتني فقلت أشم مسكاً فلامت قلت لومي فيه فاك
فديتك حين ألقاك امهليني فإني سوف يخرسني ارتباكي
كأن القلب بعدك في ظلام فإن فاجأت أرمضه ضياك
لوَ ان القرط يجذبه جمال إذا لم تشتريه لاشتراك
يطل على جنان من خلود ويهمس منك في أذنيْ ملاك

(١) أخذناها من كتاب (سوانح الأفكار في منتخب الأشعار) للخطيب الأستاذ السيّد محمد جواد شبر النجفي.

وليس المشط في معروش فرع ... بسجن والشباك ضفيرتاك
أُعاوضه الفضا لو كنت طيراً ... وأغبنه بسجن في الشباك
ملكت عليَّ آفاقي جميعاً ... سواء في سكوني أو حراكي
أُفكر إن لقيتك في فراق ... وإن فارقت أُشغل في لقاك
وفي مدح الجواد أبي عليٍّ ... شغلت عن اقترابك أو نواك
فيا بغداد نور الله هذا ... وأرضك فيه أشرف من سماك
فقل لابن الرشيد عداك رشد ... رميت فرد سهمك درع شاكي
أتسأل عنه عن سمك وهذا ... الخبير فسله عن خلق السماك
وشقشقة ابن أكثم لا تهيجي ... وردّي القهقراء إلى وراك
وهذا لا يلاك لديه فك ... ولو أن الفضاء يكون فاك
ولا عجب هو الله اصطفاه ... وأنت الشرك خارك واصطفاك
أأُم الفضل ويك بأي عذر ... ستعتذرين في يوم التشاكي
تركت الدار موصدة عليه ... وما في الدار من أحد سواك
فعلت وما رحمت له شباباً ... فهلّا قد رحمت أنين شاكي
وكم قطعوا له رحماً وقربى ... وهذا القطع عن قطع الأراك
وقتلكِ عن سقيفتهم تمشّى ... وقبلك قتل آباك الزواكي
وهب سمَّتك أم الفضل لكن ... تسبب كل ذلك عن صهاكِ
فأي مصابكم نبكي عليه ... لسمٍّ أو لقتل وانتهاك
يزيد على مصائبكم حسين ... فقد رضَّته بالطف المذاكي
عليه قضت أمية وهو ظامٍ ... فلا روى الإله غداً ظماك

جنيت عليه تمثيلاً وقتلاً ... وليت بأن ذلك قد كفاك
فسقت إلى دمشق نساه أسرى ... وتلطم كل باكية وباكي

للعلامة عميد جمعية منتدى النشر في النجف الشيخ محمد رضا المظفري

حيٍّ قلباً تذيبه الحسرات ... إنما الموت في التصابي حياة
كل ما تعرف الورى عن حياة ... النفس في غير حبها منكرات
أبهذا الخليّ حسب المعنى ... خلسة في الدجى رعتها الوشاة
ينثني في طلا الغرام فيصحو ... فيرى السكر ما عليه الصحاة
شت نحو الفضاء عيناً على البعد ... وعين الوصال فيه الشتات
حيث تلك الزلفى وقد هجع النا ... س ومالت عليهم الغفلات
حيث دار الهوى بكأس تناجيه ... فحطمن دونه الكاسات
حيث ألقى طمر السفاسف وارتا ... ح لقدس عنه السماء مرآة
فاعتلى غبطة يطل على الكو ... ن بحيث اطمأنت الحركات
واختلى والخيال بالإلف لا ... تلهيه إلا بإلفه السكرات
إن في ذلك التجلي تخلي ... النفس عما جاذبته الشهوات
أنا فارقت في هوى الإلف صحبي ... وكذا الناس في الهوى أشتات
إن نفساً تعلقت فيه تكفيها ... ابتهاجاً بذكره اللذات
وحياتي فيه افتضاحي لتقفو ... الناس إثري فتكثر الأموات
أيهذا الخليّ حيٍّ على الحب ... فهذي المناهل المترعات

خلٍّ في ذلك الفضاء سبيل الـ ـقلب حيث القلوب منتهلات
أترى القلب يستقيم سبيلاً وحنايا الضلوع منحنيات
إنما الماء بالإناء فلا تط ـبع إلا بظرفه الهيئات
ظلمات هذي الحياة ولا مصباح إلا ما أوقدته الهداة
عنصر للوجود كوَّنه الله فكانت بنوره النيرات
مثل النور والزجاجة والمصباح أنتم وأنتم المشكاة
أنتم النور للكليم على الطور وأنتم لآدم الكلمات
أنتم باب حطة من أتاه كان أدنى ما يرتجيه النجاة
وكفى مفخراً بغير ولاكم لا تتم الصلات والصلوات
بالإمام الجواد منكم تمسكت وحسبي من قدسه النفحات
حدث قلِّد الإمامة فانقا دت لعلياء حكمه الحادثات
ابن سبع ويا بنفسي قد قام إماماً تجلى به الكربات
إن هذا السر الخفيَّ وما أجلاه تجلى بنوره الظلمات
لا تخل ويك وهْو في المهد طفل هذبته بدرّها المرضعات
هو نور من قبل أن تتجلى بسنا الحق هذه الكائنات
جاء للأرض هادياً ونذيراً فتنزلن بالهنا المرسلات
طاب في شهر طاعة الله مو لوداً فنيطت بحبه الطاعات
واصطفاه الإله للخلق قوا ماً فقامت لفضله المعجزات
عن علاه قاضي القضاة فسله ولكم ضلت السبيل القضاة
سله لما خانته نجواه غيّاً كيف دارت بجهله الدائرات

زعم الغض من معاليه حتى ... فضحته المزاعم الفاسدات
وعليه المأمون مذ مرَّ سله ... أترى من أماه كن البزاة
حين جاء البازي يحمل من ... حيات بحر أمواجه الزاخرات
ليبين الحق الصراح وتعلو ... لسنا بيت أحمد المكرمات
ليس يلهو وليس يلعب مذ كا ... ن ولكن لتظهر الكائنات
وسل السدرة التي قد حباها ... بطهور فاضت به البركات
أورقت غبطة فباهت فخاراً ... سدرة المنتهى وهذي الهبات
أثمرت حين أثمرت بالجني الغض ... وما فيه كالثمار النواة
وسل الجعفري مذ جاء مغتمّاً ... له والرقاع مشتبهات
وأبا سلمة الأصم فشافاه ... هنيئاً فهذه الحظوات
معجزات تفني النجوم حساباً ... كيف تحصى أنوارها هيهات
أتراني أستطيع مدح إمام ... نزلت في مديحه الآيات
إن بيتاً له انثنى العرش طوعاً ... قصرت عن ثنائه الأبيات
يا أبا جعفر وما أنت إلا البحر ... جوداً له الهدى مرساة
أنا عبد قد مسني الضر وافيت ... وهذي بضاعتي المزجاة
أتراني أعود في صفقة الخسـ ... ـر وأنتم للمستجير الحماة
صمت عن حب ما سواكم لأزكوا ... وكذا الصوم للأنام زكاة
عذب الله أمة جعجعت فيكم ... مقاماً قامت به الكائنات
قد تصابوا إلى لظى غضب ... الجبار صبّت عليهم اللعنات
عنكم حادت العبيد فسادت ... أأبى الدهر أن تسود الأُباة

يا وليَّ الأقدار كيف جرى المقـ ـدور حتى عدت عليك العداة
كيف تقضي سمّاً غريباً وباسم الله تجري وباسمك الحادثات
أنت أدرى بما أتت فيه أُم الفضـ ـل لكن شاءت لك النازلات
يا له حادث تزعزع منه العر ش حزناً ومادت الراسيات
يَقْصُر المِقْوَل الأبيُّ عن التصـ ـريح لولا ما تبرز الزفرات
يا لها النقص ما استفادت سوى العار بيوم لا تنفع الحسرات
قد كفاها في العار عاجل داء عز فيه الإسا وخاب الأساة
قد حباها المأمون في زعمه الفاسد فيها ما هكذا الحبوات

العلامة الحاج محسن مظفر

باب المراد ولا كصدرك إذ تؤم في حاجة رحب إليه الجم ضم
وبحسب آمال تزم لغاية إن الجواد محط آمال تزم
هو للذي وهب الهداية بابه بالرغم ممن بات يختبط الظلم
باب له في الآي أي مفاتح فتح الإله بها الهدى وبها ختم
رهط المباهلة الجليلة رهطه أدريت من بهم المباهل قد خصم
أجر الرسالة ودّهم وكفى به إما يراع الفخر مفخرة رقم
ينحط عن تطهيرهم في آية التطهير حتى الفضل ينتعل القمم
ملك بأمر الله جل متوّج إن كان تاج سواه تعقده الأمم
وقف على أمر المهيمن أمره وببعض ما عنه نهى ما كان هم
متجرد لله جرد عزمه لرضاه مذ هزءا جميعاً بالسأم

ذو طلعة بهر النواظر حسنها ... متطلعات للضياء عليه نم
ذو نشأة أعيى التفكر كنهها ... سبحان من أنشاه من علق ودم
غذاه درَّ العلم قبل فصاله ... فنما كما ينمو وبالعلم انفطم
أجرى إليه العلم بالقلم الذي ... يجري على اللوح المعلِّم بالقلم
تعنو الشيوخ إلى الصبي متى استوى ... في الدست يشرع الحكومة والحكم
وبحضرة المأمون أُفحم سائل ... للامتحان أتى فعاد مخيط فم
قد أخرس ابن أكثم فانثنى ... يومي لمن حضر وأبان العلم جم
أوما سمعتم ما سمعت فدونكم ... ثمر الجناية فاجتنوا نكباً وهم
يليانكم ما دمتمُ لم تقطفوا ... من ينعها غير التحسر والندم
هلا اقتديتم بالأُلى في الآل قد ... بذلوا ليخفوا فضلهم أقصى الهمم
نحلوا العيون تمد للأعيان والآ ... ذان ترهف للصدى صداً وصم
ضربوا الستور حيالهم كي يحجبوا ... منهم عن البصر الحديد بدور تم
وأبيتم إلا انتدابي ضلةً ... للندب كم خصم بحجته انخصم
فلكَم تبصر ذو عمىً في ما له ... فبهتمو كم غافل ولكم وكم
أعلنتم السر الذي كتموا كما ... قاضي قضاتكم الحقيقة قد كتم
فجرى بمجرى الجهل سابق علمه ... بمصيره متعثراً حتى ارتطم
هوذا مفاد إشارة سبقت لهم ... لتنوب عن فهمه الذي الحجر التقم
نكروه وهي بحالها قد فسرت ... من هيئة المندوب ما كان انبهم
ثم انبرى ذو التاج ثمة قائلاً ... والكل تحسب من وجوم كالصنم
لكأن طيراً قد علا تلك الرؤو ... س فمن بحضرته سوى المولى وجم

وخطابه للرهط لاموه بمن ... بأبيه قبل ملامهم فيه ألم
يالائمي وعذركم من جهلكم ... في ما علمت فلو علمتم لم أُلم
جاريتكم كي تفهموا من أمره ... ما غم بعد عليكم وخلاه ذم
هذا ابن ورثة نبوة العلم غير ... مدافعين فما لنا ولمن ظلم
ورثوه منه حيث كان نصيبهم ... مهما الخلاف من الخلا لهم حرم
خلق الخلاف حديث لا وجميعهم ... ترك المهم مع الخلاف إلى الأهمّ
فرضوا الحديث مخالفاً للذكر إذ ... في الإرث مفترضاً لمثلهم حكم
هذا سليمان النبي ومثله ... يحيى وإرثهما من العلم الأعم
ما يصنع التأويل والعرب الأُلى ... تركوا الفصيح إلى رطانات العجم
في ظاهر اللفظ الذي هو حجة ... عند الخصام لمن لمحكمه احتكم
دعوى أبيها الزوج قوم قيلها ... وسكوت عم الجد فريته دعم
ولئن زوي ميراثهم فبحسبهم ... علم زواه الله عن زوج وعم
علم له حتى المعاند مذعن ... فمقالكم (أمهله . .) سم في دسم
فهنالكم مرقت من الأُكم العيو ... ن فأبصرت شبحاً تستر بالأكم
ماذا يريد ترون وهو محاضر ... في علمه بالنبش عن تلك الرمم
همساً لبعضهم ألا فلتقنطوا ... (فابن الرضا) لولاية العهد استلم
يا للمفاجأة البغيضة إنه ... فيها أعاد اللحم منا للوضم
ها إن للابن بعد أبيه قد ... أعطى زمام الأمر أقحم أم خرم
بينا هم في مثل ذاك وكلهم ... مما أطار اللب ينفخ في حمم
وإذا المحاضر عند فصل خطابه ... يصل الحديث بما عليه قد عزم

فتراه يقبل بالحديث على الذي ... من أجله شمل الحضور قد التأم
يابن الرضا وبك الرضا اعرض فد ... يتك وابنتي زوجت منك رضيت أم
فإذا تألق نجم سعدي طالعاً ... وقبلت أم الفضل زوجاً قل نعم
واخطب لنفسك حيث شئت فمهرها ... مهما غلا مني فلا يعلوك هم
فأجابه المولى بما انبسطت له ... نفس الأمير كمن تنفس عنه غم
ولقد تحول حيث هيأ كل ما ... أوحى به لأمينه نحو الخدم
فبدوركم يا غلمتي هيا اقبلوا ... بنثاركم فالطيب فالعقد انتظم
هيا انثروا في الحاضرين وعطروا ... فالبشر كل الكائنات أراه عم
شكراً لذي نعم أراني ضوؤها ... عند اقتران النيرين مدى النعم
فإذا الندى وندە الفياح قد ... ملأ الفضا مترنح من خمر شم
وإذا البلاط وكل شيء ضاحك ... حتى الرقاع كثغر حسناء ابتسم
والرشد وقع بابتهاج مشعراً ... بسروره الهادين في بر ويم
رقصت قلوب المهتدين لضربه ... بنياطها لا الضرب في أوتار بم
أنشودة الأفراح لحنها الوفا ... ء بثاني العهدين في أشهى رنم
جارى الموقع صوته فكأنما ... مزمار داود أعارهما النغم
والكون يرفل في مطارف غبطة ... خيطت بهدب العين لا بذوات سم
بل كل ما في الكون تحسب من هوى ... في العرس أفناناً تنسمت النسم
عرس تحاماه الخيال فلم يطق ... تصويره للمعجمين بما رسم
عرس توهمه الجميع سعادة ... لشتيتهم شعث الجميع بها يلم
عرس به الدنيا تزف وضيئة ... للدين من أنواره البدر استتم

بغداد لم تشهد وكم شهدت من الأ ... عراس كالعرس العبوس له بسم
بغداد وهي بعصرها الذهبي لم ... تر مثله نثر الفرائد قد نظم
لكنني لنتيجة حصلت له ... أدعو وإن عجلت ومن يدعو عتم
يا ويح ذاك العرس ينقصه الهنا ... يا ليت لو تعطى المنى ما كان تم
فلقد جنى مراً وأعقب لوعة ... منحا الشجى حلقي وقلبي للضرم
يا ويح أم الفضل غادر سمها ... إنسان عين الفضل ثم صريع سم
يا ويحها خبثت فغادر فضلها ... أما تبنت بعده الغدر الأذم
غدرت بأرعى العالمين لعهده ... راعت بفعل الشر رغبة شرٍّ عم
تركته منفرداً يجود بنفسه ... في الدار بارحها القطين خلا الألم
تركته يلتمس الممرض لم يجد ... فيها سوى سقم يمرض ذا سقم
الله من فعل القضاء بمرتجي ... لدفاعه ولحله إما انبرم
ذو الوجه عند الله يصبح وجهه ... يا للأسى كالآس غضَّنه الشبم

الأستاذ المحقق الخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي

نيل الأماني وبلوغ المراد ... بين ظبى البيض وسمر الصعاد
أُعلل النفس بيوم به ... يُطفى جوى القلب ويشفى الفؤاد
ما لليالي أوخمت مرتعي ... لم يحلُ لي عيش ووردي ثماد
وما لهذا الدهر غاراته ... علي تعدو رائحات غواد
قد نفد الصبر وما للجوى ... بين ضلوعي أبداً من نفاد
علي للعيس يدان سرت ... رامية بي غير هذي البلاد

فليتها لا بلغت مورداً ... إن لم تبلّغني لباب المراد
حيث الثرى تغبط حصباءه ... كواكب السبع الطباق الشداد
فإن في القلب صدى لم يكن ... يرويه إلا فيض جود الجواد
غوث الورى إن نابها حادث ... ربيعها والعام محل جماد
قد شرع الله به للورى ... مناهج الحق وسبل الرشاد
حجته العظمى على خلقه ... والعروة الوثقى لكل العباد
ساد على العالم في جوده ... كذاك من ساد على الناس جاد
جمّت مزاياه فأجدر بها ... إن فاقت الشهب علاً واتقاد
قد طاف بالشامي في ساعة ... حزن الفيافي وسهول الوهاد
سار لكوفان به وانتحى ... طيبة والبيت وللشام عاد
واضطر يحيى باحتجاجاته ... عليه بالإذعان والانقياد
آه على شمل بني المصطفى ... صاحت بنو العباس فيه بداد
شادوا بناءً أسّة الأُلى ... ويل لمن أسس منهم وشاد
ما حفظت عهد أبي جعفر ... قوم لها الغدر سجايا وعاد
أيتمه مأمونهم واقتدى ... المعتصم الخائن فيه وزاد
دس لأم الفضل سماً به ... غالت أبا الهادي كما قد أراد
لهفي لمسموم قضى بعدما ... قاسى عظيم الجور والاضطهاد
ملقى ثلاثاً ليس يدرى به ... هل هو ميت أم عليل يعاد
للّه خطب من شجا وقعه ... قد مارت الغبراء والعرش ماد

ثلَّت عروش الدين فيه ولا بدع فقد قوَّض منها العماد
يا غيث من وافاه مستجدياً ومن إذا أبدى العطايا أعاد
حسبي إذا ما قل زادي غداً ولاؤكم فإنه خير زاد
ما لي سواه عمل صالح وليس لي إلا عليه اعتماد
فلا ندىً يرجى سواكم له ولا هدىً من غيركم يستفاد
دونكها قافية كلما أنشدتها في محفل تستعاد
أبت على الروّاض لكنها لم تلقِ إلا في حماك القياد
كفيتني الدنيا فلا أبتغي جزاءها إلا بيوم المعاد

الخطيب الأستاذ الشيخ أحمد الوائلي

حدِّث فإنك في الأجيال نشّاء وقل فمنّا إلى ماضيك إصغاء
مرت بمسرحك الأحقاب عابرة وعندها صور بيض وسوداء
فعامرات من الإيمان يملأها وفارغات من الوجدان جوفاء
وعاطرات كأن الورد وشحها ومنتنات فأقذار وأقذاء
ومائرات من الأخلاق طابعها وفاجرات من الأجرام عوراء
يا فدفد الدهر كم جازتك قافلة حدا بها للذي تبغيه حدّاء
شتان بين مناحيها فواحدة هزيلة العقل في التفكير عجفاء
مستامة ترتعي أقصى مطامحها عود ودنّ وماخور وهيفاء
أما النهار فعند الباز يأربها دراية فهو عند الصيد عدّاء

والليل إن جنّ سل إسحاق قصته ... فعنده من حديث الليل أشياء
ومعشر حلقت بالروح صافية ... مما يدنس قدس النفس غبراء
ما أترعت جامها خزياً ولا رتعت ... في مرتع وخم عقباه شوهاء
يلف منهم ظلام الليل كل فتى ... تنجاب عن صفحتيْ خدّيه ظلماء
يعاقر الليل كأساً من مدامعه ... وتسكر الفجر من نجواه أصداء
وتعبق الأرض طيباً من مساجده ... وترتوي من صبيب الدمع حصباء
مراوحاً بين كفيه وجبهته ... ما مسهن لعظم الشوق إعياء
حتى إذا الصبح أرخى من غلائله ... ومازجت سبحات النور أنداء
شعت له من سماء الفكر صافية ... بالعلم والحلم والتوجيه أضواء
هيا بنا لربى الزوراء نسألها ... عن ثلتين هما موتى وأحياء
فقد مشت وبني العباس سامرة ... في ألف ليلة حيث العيش سراء
تجبك أن ديار الظلم خاوية ... وإن للمتقين الخلد ما شاؤا
ومل إلى الكرخ وانظر قبة شمخت ... تجاذبتها الثريا فهي شماء
وحي فيها جواداً من أناملة ... سحابة الفضل والأنعام وكفاء
يابن البتول وحسبي من مآثرها ... بأنها في مجالي المجد زهراء
كم رام منك بنو العباس ما عجزوا ... عنه وفي فشل من غدرهم باؤوا
جاؤا ويحيى بحشد من مسائلهم ... فرحت توسعهم شرحاً لما جاؤوا
حتى إذا وهنوا ألقيت مسألة ... كل المفوَّه عنها فهو فأفاء
وعند قطع يمين السارق اختلفوا ... فكان منك برغم القوم إفتاء

هو الصواب ووحي الله مدركه وكيف لا وبه جبريل عدّاء
وفي أحاديث طي الأرض مكرمة لدى أبي الصلت منها ثم أنباء
يا نفحة الروض في ريّا شمائله وطلعة البدر حيث البدر وضاء
وعبقة من أريج المجد أنجبها محمد وعلي فهي أشذاء
وخفقة النور من إشعاع فاطمة تحدرت فهي إشعاع ولألاء
يا ليت كفاً سقتك السم واهتصرت نامي شبيبتك الفينان أشلاء
تحش منك نياط القلب ناقعة من السموم ويبري جسمك الداء
ملقى على السطح لم يحضرك من أحد تصارع الموت لا ظل ولا ماء
حتى قضيت برغم المجد منفرداً لم يكتنفك أحباء وأبناء

الطبيب النطاسي الأستاذ الشيخ محمد الخليلي

طوى الهجر مني أضلعاً وفؤادا وأذكى بأحشاي الغرام زنادا
وأسلم قلبي للوجيب فلم تذق جفوني في ليل المطال رقادا
فبتّ بليل ليس يرجى صباحه تشاركني فيه النجوم سهادا
فيرمقني مستهزئاً غير آبه وأشكو إليه لوعة وبعادا
ويضحك مني قائلاً كيف تأ مل الوفاء وترجو أن تنال مرادا
فكم مرت الأحقاب بي إثر بعضها رأيت لكم هجراً بها ووادا
وعاشرت كل العاشقين فما اشتكت إلي سوى هجر الحبيب عنادا
ولم أر معشوقاً وفى بوعوده لصبٍّ رآه في هواه تمادى

فلا الوامق المسكين يطرح الهوى إلى جانب كيما يريح فؤادا
ولا الهجر ينهيه الحبيب بوصله ولم أره يوماً بذلك جادا
فدع عنك ما يردي النفوس سفاهة ويبعد عنها عفة وسدادا
فما مغريات الحب إلا حماقة تجر إلى عقل النبيل فسادا
وكن كيساً واخلد لرشدك فالهوى يدكّ من الجسم السليم عمادا
ولذ منه إن رمت النجاة بسيد زكا طرفاه تالداً وتلادا
أبوه الرضا والجد موسى بن جعفر إلى المصطفى المختار طاب نجادا
إمام به تقضى الحوائج من أتى إليه وتستهدي الأنام رشادا
سما في الورى عزاً ومجداً كما سمت فضائله في العالمين وسادا
جواد يبذ المعصرات ندىً كما له الجود ينمي مبدأً ومعادا
له مكرمات ليس تجحد في الورى أقر بها من ضل عنه وحادا
ولا بدع أن عم العفاة بفيضه فنائله لم يشك قط نفادا
أليس هو ابن المصطفى وابن حيدر وفرخ ابنة الهادي الأمين ولادا
ألم يأته المأمون ممتحناً له بصيد فأنباه به وأفادا
أما جادلوه في العلوم فبذّهم وقد حضر المأمون حين أجادا
ألم يكبروه مذ رأوا علم أحمد لديه وقد هز الندي ومادا
رأوا فيه من نور النبوة هيبة عليه وفي برد الجلال تهادى
ولكنهم مهما رأوا منه معجزاً غلا حقد هاتيك القلوب وزادا
وهاج بهم ضغن تقادم عهده فكادوا له بغضاً له وعنادا

إلى أن قضى سماً ولم يقضِ خمسة ... وعشرين عاماً لا تزيد عدادا
قضى ظمئاً والسم قطع قلبه ... وقد وسدته النائبات وسادا
غريباً سميماً صابراً لم يجد له ... نصيراً ولم يلفِ الجواد جوادا
قضت منه أُم الفضل أوتار رهطها ... وما خشيت يوم المعاد معادا
حكت زوج لوط في الخيانة فاغتدت ... تكابد آلام السقام شدادا
فلهفي له والدين ينعاه معولاً ... ويندب كهفاً للهدى وعمادا
فيا آل بيت المصطفى جل رزؤكم ... جعلت لها صدق الولاء مدادا
فإن قبلت أُعطيتها باليمين في ... غد وغدت يوم التناد سنادا
فجد لي فما لي غير جودك شافع ... وما خاب مرمى من يؤمّ جوادا

الخطيب الأستاذ الشيخ محمد جواد قسام

بكم آل بيت الله يستدفع الضر ... وفي فضلكم قد صرح الوحي والذكر
فأنتم هداة الخلق للحق والهدى ... وفيكم ومنكم لا لغيركم الفخر
تشيَّد هذا الدين في سيف جدكم ... ولولاه لم يخضع لتصديقه الكفر
فما أسلموا إلا لحقن دمائهم ... ولما التقى الجمعان في أُحد فرّوا
وجاهدتم في الله حق جهاده ... فبان له في بذل جهدكم النصر
وأنتم رعاة الناس حقاً وحبكم ... من الله فرض كيف يعصى لكم أمر
صبرتم على جور الطغاة وإنما ... سلاح رجال المصلحين هو الصبر
عزيز على الإسلام ما حل فيكم ... من الضيم ما يشجى لسامعه الذكر

فبين قتيل بالطفوف معفّراً توزع في أحشائه البيض والسمر
وبين عليل بالقيود مصفّداً يرى حرماً في الأسر سائقها زجر
ولهفي لكم بالسيف بعض وبعضكم بسمٍّ قضى هذا لعمري هو الجور
وإن أنس لا أنسى الجواد محمداً أبا جعفر من فيض أنمله بحر
معاجزه كالنجم لاحت منيرة فليس لها نكر وليس لها حصر
أقر بها الحساد بالرغم منهم فسل عنه يحيى حين حل به الحصر
لقد أشخصوه عن مدينة جده لبغداد قهراً عندما دبر الأمر
ودسوا له سماً على يد زوجة بها من أبيها كامن ذلك الغدر
فظل يعاني السم في الدار وحده ثلاثة أيام أما علمت فهر
قضى فوق سطح الدار والطير فوقه تظلله كيلا يؤلمه الحر
ولكن على وجه الصعيد مجرداً بقي جده ثاوٍ وأكفانه العفر

المحتويات

المقدّمة ٥
ولادة الرضا ٧
النص على الإمام ١١
المعاجز ١٥
فضله ٢٣
أخلاقه ٢٧
مواعظه ونصائحه ٣١
مع الرشيد ٣٥
مع المأمون ٣٩

نص العهد ٥١
توقيع الإمام عليه السلام ٥٥
شهادة الإمام عليه السلام ٦٣
الشهادة بالسم ٧٧
أولاده ٨٥
المديح والرثاء ٨٧
المقدّمة ١١٥
المجلس الأول ١٢١
في تعريف أمه، وولادته، وأسمائه، وصفاته، والنص عليه . ١٢١
المجلس الثاني ١٤٣
في دلائل إمامته ونصائحه ١٤٣
النصائح ١٦٧
المجلس الثالث ١٨١
في التزويج من ابنة المأمون وما جرى له مع القاضي ١٨١
المجلس الرابع ١٩٥
في شهادته وما جرى له مع الخلفاء ١٩٥
مع الخلفاء ٢٠٤
تاريخ الشهادة ٢١٩

المحتويات ٢٥٩

ملاحظة ٢٢١

المدح والرثاء ٢٣١

المحتويات ٢٦١

المحتويات ٢٦٣